

حَسَنَاتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

الجزء الأول

المرجع الديني للمسلمين

الشيخ صالح آل صالح

صاحب أحسن تفسير للقرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله مالك السموات والأرض وما فيهن ملك تصرف ومشية ، وفي التنزيل ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(١).

لقد أحصى الله عز وجل كل شئ عدداً ، وجعل لكل شئ أمداً ، ولكل انسان أجلاً ليغادر بعدها إلى عالم البرزخ ، ثم عالم النشور والحساب ، ثم الجزاء إذ قال تعالى ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾^(٢).

اللهم اغفر لنا وارحمنا ، وتقبل منا القليل وبارك لنا في أرزاقنا ، وأعنا على طاعتك وعبادتك ، وتقبل منا ، وتجاوز عن سيئاتنا فانك عظيم العفو حسن التجاوز .

وأدخلنا الجنة التي ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٣) ، ونجنا من النار ، والإلتقاء فيها مع المشركين عبدة الأوثان ، وأجرنا من خزي الدنيا ، وعذاب الآخرة .
اللهم لك الحمد أن أنعمت علينا بصدور الأجزاء ٢٤٥-٢٤٧-٢٥٨ من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) بخصوص (علم الإحصاء القرآني غير متناه).

اللهم فاجعل حمدنا وشكرنا لك من اللامتناهي .
الحمد لله على نعمه التي لا تحصى ، سواء على الفرد أو الجماعة ، وعلى البر والفاجر .

(١) سورة الحديد ٤.

(٢) سورة الشورى ٧.

(٣) سورة آل عمران ١٣٣.

إذ تفضل الله عز وجل وجعل الدنيا دار رحمته ، وهباته وإحسانه لبيان أن رحمته تعالى في الآخرة أكبر وأعظم ، وفيه فضل من الله يبعث الطمأنينة في النفوس ، ولطف لتقريب الناس إلى منازل الإيمان ، وأداء الفرائض العبادية ورجائهم العفو والمغفرة من عند الله عز وجل.

و(عن سلمان قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أن الله خلق مائة رحمة يوم خلق السموات والأرض ، كل رحمة منها طباق ما بين السماء والأرض ، فأهبط منها رحمة إلى الأرض ، فيها تراحم الخلائق ، وبها تعطف الوالدة على ولدها ، وبها يشرب الطير والوحوش من الماء ، وبها تعيش الخلائق.

فإذا كان يوم القيامة انتزعها من خلقه ثم أفاضها على المتقين ، وزاد تسعاً وتسعين رحمة ، ثم قرأ ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾^(١) (٢).

ومن مصاديق قوله تعالى ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣) عجز الإنسان عن إحصاء النعم الإلهية عليه ، وعجز الناس عن حساب وعد النعم الإلهية عليهم سواء النعم الظاهرة للحواس ، أو غيرها ، وأيها أكثر .

الجواب إن النعم الخفية هي الأكثر ، ومن وجوه تقدير الآية أعلاه : وإن تعدوا نعمة الله الظاهرة لا تحصوها ، وإن تعدوا نعمة الله غير الظاهرة لا تحصوها .

الحمد لله الذي أنعم علينا بالنعم الكثيرة التي لسنا أهلاً لها ، فتفضل الله عز وجل ورزقنا قول (الحمد لله) ليكون ثناء وشكراً له تعالى على النعم.

(١) سورة الأعراف ١٥٦.

(٢) الدر المنثور ٤/٣٣٧ .

(٣) سورة النحل ١٨.

وهل الإكثار من قول الحمد لله سبب لاستدامة النعم ، الجواب نعم ، قال تعالى ﴿لَنْ شُكْرُنَا لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(١).

سبحان الله الذي لا يقال لغيره سبحانه ، والذي تفضل وأنزل القرآن ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾^(٢).

ولا يقال لغير القرآن من الكتب السماوية قرآناً ، وزاد الله عز وجل من فضله علينا وعلى الناس بأن عصم القرآن من التحريف والزيادة والنقيصة . الحمد لله حمداً لا ينقطع آخره ، ونسأله تعالى أن يقيه متجدداً نامياً بين السماء والأرض بعد موتنا ، وأن يدخله معنا في القبر ليكون واقية من مساءلة منكر ونكير .

الحمد لله الذي جعل عالم الأكوان آيات للناس للتوحيد ونبد الشرك ، ومفاهيم الضلالة ، ومن بديع صنع الله في المقام تجدد الآيات والبراهين في ذات عالم الأكوان والإنسان لمنع الملل والسأم في التفكير والتدبر في الخلائق ، إذ قال تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(٣).

الحمد لله الذي لا معبود إلا هو سبحانه ، ولا نافع ولا ضار ولا معطي ولا مانع إلا هو ، الذي جعل كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) أصل الدين ، ومنهاج الفلاح ، وطريق الهداية والرشاد ، وسبيل النجاة .

(١) سورة إبراهيم ٧.

(٢) سورة الزمر ٢٣.

(٣) سورة فصلت ٥٣.

الحمد لله الذي تفضل علينا بصدور الجزء السادس والستين بعد المائتين من تفسيري للقرآن (معالم الإيمان في تفسير القرآن) وهو الجزء التاسع والعشرون الذي يختص بقانون (لم يغز النبي محمد (ص) أحداً).

وهذا السفر الذي بين يديك آية علمية لم يشهد لها التأريخ مثيلاً ، وفيه ذخائر من العلم والمعارف العالية وآلاف القوانين التي يصح كل واحد منها أو أكثر موضوعاً لدراسة أكاديمية ، وصدور جزئين من (قوانين البرزخ) ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(١).

أما هذا الكتاب فهو الجزء الأول من (خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم).

وهو الأول في بابه كموسوعة كلامية تزداد بالتحقيق واستنباط القوانين والمسائل ، وهو كتاب مستقل بالرجوع إلى الدليل من الكتاب والسنة والبراهين العقلية بعيداً عن الغلو والإفراط ، والجفاء والتفريط.

ومن أقسام الخصائص :

الأول : تشريعية ، إذ تمت أحكام الشرائع برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثاني : تفضيلية .

الثالث : إعجازية فقد اختص الله عز وجل النبي محمداً باجتماع المعجزة العقلية والحسية ، وكانت معجزات الأنبياء السابقين حسية مثل ناقة صالح ، وفي التنزيل ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا * فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾^(٢) ، وعصا موسى ، وبراء عيسى الأكمه والأبرص

، وفي التنزيل ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ

(١) سورة يونس ٥٨.

(٢) سورة الشمس ١٣-١٥.

وَأُبْرِي الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾.

وكل آية قرآنية معجزة عقلية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تتجدد فيوضاتها إلى يوم القيامة .

الرابع : ذاتية .

الخامس : غيرية ، ليس من حصر لمعجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله عليه وآله وسلم الغيرية والتي تتجدد في كل زمان بطاعة المسلمين لله وللرسول محمد ، ومحاسنهم له في أداء الفرائض والواجبات العبادية ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

السادس : في عالم الدنيا ، يتكلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالوحي ، وبجوامع الكلم ، ولا يبدأ قتالاً ، ولا ينهزم في المعركة ، ويعفو ويغفر ، قال تعالى ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَكُنْتَ فَرْطًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْقَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿٢﴾﴾.

وليس للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ظل ، ولا يقع عليه الذباب ، ولا يحتلم ، ولم يتشابب لأن الشتاء من الشيطان ، ويرى من خلفه كما يرى من أمامه ، وتنام عينه ولا ينام قلبه ، وولد مختوناً ، وتعرفه الدواب وتسرع إليه .

السابع : في عالم الآخرة ، النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أول من تنشق عنه الأرض (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق عنه الأرض ، وأول شافع ، وأول مشفع) (٣).

(١) سورة آل عمران ٤٩ .

(٢) سورة آل عمران ١٥٩ .

(٣) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ١/٤٣٧ .

و(عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وييدي لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبي يومئذ - آدم فمن سواه - إلا تحت لوائي ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر)^(١).

ومن حديث الإسراء الطويل عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ثم انصرفت مع صاحبي وأخي جبرئيل لا يفوتني ولا أفوته حتى انصرف بي إلى مضجعي وكان كل ذلك ليلة واحدة من لياليكم هذه فأنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وييدي لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وإلي مفاتيح الجنة يوم القيامة ولا فخر)^(٢).

لقد تفضل الله عز وجل وخص الإنسان بأن جعله ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٣)، ليغدق الله على الناس بالنعم الظاهرة والخفية لتقوم خلافة الإنسان بامتيازات متعددة من بين الخلائق ، الأمر الذي يلزم منه الحمد والشكر المتصل من الناس لله عز وجل ، فتولى هذه المسؤولية العقائدية الأنبياء واتباعهم ليرثهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأمته. ولتضمن الصلاة خمس مرات في اليوم واليلة الشكر القولي والفعلي من الأمة لله عز وجل ، وهو من مصاديق وراثة المسلمين للأنبياء في عباداتهم ، ومنه الصيام ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٤).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما تجلّى في سيرة أمته ومنها أداء الصلاة والصيام والزكاة والخمس وحج بيت الله الحرام.

(١) الدر المنثور ٦/٣٠٩ .

(٢) الثعلبي / الكشف والبيان ٧/٤٦٨ .

(٣) سورة البقرة ٣٠ .

(٤) سورة البقرة ١٨٣ .

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾^(١).

وتحتل وراثته المسلمين للأنبياء وجوهاً :

الأول : إنها من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثاني : إنها ملحقة بخصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثالث : هي خاصة بالمسلمين .

ولا تعارض بين هذه الوجوه ، فالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إمام المسلمين في أداء الفرائض العبادية وقد توجهت خطابات وتكاليف له ، ويراد من أكثرها إلحاق الأمة به ، ومنها قوله تعالى ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾^(٢).

وقال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (صلُّوا كما رأيتموني أصلي)^(٣).

وقال (لتأخذوا عني مناسككم)^(٤).

الحمد لله الذي أنزل القرآن تبياناً للعلوم وتفسيراً للوقائع والأحداث ، وذات الوقائع تفسر آيات من القرآن من غير أن يلزم الدور بينها ، ومنه علم أسباب النزول ، قال تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾^(٥).

(١) سورة الأعراف ٤٣.

(٢) سورة البقرة ١٤٤.

(٣) تفسير الخازن ١٦٤/٢.

(٤) تفسير ابن كثير ٥٥٢/١.

(٥) سورة النحل ٨٩.

وتتجلى بلحاظ الآية أعلاه مسائل:

الأولى : قانون خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من التبيان القرآني .

الثانية : قانون خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هدى للمسلمين والناس .

الثالثة : لقد تفضل الله عز وجل واختص النبي محمداً بفيض وسنن لتكون دعوة للناس للإسلام ، ونوع طريق للهداية والرشاد .

الرابعة : قانون تلقي المسلمين خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالقبول والرضا ، والتدبر في الجانب الإعجازي فيها .

الخامسة : خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من مصاديق الرحمة في الآية أعلاه ﴿وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾^(١).

والأولى تخصيص دراسات أكاديمية لمختصات النبي في جهات منها :

الأولى : ما انفرد به النبي محمد من فضل الله ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٢) ، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣) ، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْآيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٤).

الثانية : التكاليف العبادية التي انفرد بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومنها مثلاً قيام الليل ، وصوم الوصال .

الثالثة : انفراد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالمعجزات العقلية.

(١) سورة النحل ٨٩.

(٢) سورة الأحزاب ٤٥.

(٣) سورة القلم ٤.

(٤) سورة الإسراء ١.

الرابعة : المعجزات الحسية التي خصّ الله عز وجل بها النبي محمداً من بين الأنبياء .

الخامسة : وراثته علماء أمة النبي محمد للأنبياء ، والإسلام دين الأنبياء جميعاً ، ومن معانيه الإستسلام لأمر الله ، وحسن عبادته .

الحمد لله الذي جعل آدم عليه السلام ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١) ومن وظائف هذه الخلافة بشارته برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لتكون هذه البشارة وتوارثها من مصاديق قوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^(٢).

و(عن ابن عباس قيل: يا رسول الله متى كنت نبياً قال : وآدم بين الروح والجسد)^(٣).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ختام النبوة في الأرض برسائله ، فلا بد أن خصائص النبوة التي تغشى ذكرها أيام الحياة الدنيا كلها كثيرة ، والمدار في تعيين هذه الخصائص على الدليل من الكتاب والسنة والإجماع ، ومجئ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالشرعة المتكاملة ، وآيات القرآن التي تفضل الله وجعلها سائمة من التحريف أو الزيادة أو النقصان.

وهو من مصاديق الوعد الإلهي المتصل والمستمر في حفظ القرآن بقوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَلِّلُ الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٤).

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة البقرة ٣١.

(٣) الدر المنثور ٨/١٢٨.

(٤) سورة الحجر ٩.

وقد ذُكر في بعض كتب الفقه أن خصائص النبي صلى الله عليه وآله وسلم خمس عشرة خصلة ، كما في شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام .

وصدر هذا الكتاب وما فيه من الفرائد بفضل ولطف من الله عز وجل ليتضمن أكثر من (مائتين) من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في باب الرسالة والتنزيل والأحكام والسنن ، وحال السلم والحرب ، والإجتماع والمغيبات وغيرها بالدليل والتحقيق .

وبعد ان فرغتُ من الجزء السادس والستين بعد المائتين من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) جاء هذا الكتاب المبارك .

ومن خصائص النبي صلى الله عليه وآله وسلم انبعاث الأنوار العقائدية والأخلاقية من سنته ذات صبغة الوحي والتي تحترق شغاف القلوب وتكون منهاج صلاح وحجة متجددة إلى يوم القيامة ، قال تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١) .

ليكون هذا المنهاج المبارك من مصاديق الصراط الذي يرجو المسلمون نهجه ، إذ يقرأ مسلم ومسلمة سبع عشرة مرة وعلى نحو الوجوب العيني قوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٢) .

والخصائص جمع خصيصة واختصاص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخصال معينة علم خاص ويذكر أهل البيت والصحابة شطراً منها ، بلفظ الخصال والاختصاص مثلاً :

(أخرج الدارمي والبيهقي وأبو نعيم عن جابر بن عبد الله قال كان في رسول الله صلى الله عليه وسلم خصال لم يكن في طريق فيتبعه أحد إلا

(١) سورة الحشر ٧ .

(٢) سورة الفاتحة ٦ .

عرف انه قد سلكه من طيب عرقه أو عرفه ، ولم يكن يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له^(١).

وتتصف خصال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأنها شعبة من الوحي وترجمة للقرآن وتفيض بالبركة ، يتضمن هذا الجزء (١٣٥) قانوناً. وكل خصيصة وخصلة اتصف بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هي نعمة من عند الله ، ومصادق لقوله تعالى ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾^(٢) وهل هي نعمة وفضل على أجيال المسلمين والمسلمات والناس جميعاً ، الجواب نعم ، وهي من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾^(٣).

حرر في السابع والعشرين من شهر رمضان ١٤٤٦هـ
٢٠٢٥/٣/٢٨

(١) الخصائص الكبرى ١١٥/١ .

(٢) سورة النساء ١١٣.

(٣) سورة سبأ ٢٨.

الخصائص لغة وإصطلاحاً

الخصائص جمع خصيصة وخاصة وهي الصفة والسمة التي تميز الفرد أو الشئ عن غيره .

والخصوص نقيض العموم ، وقد يستعمل بمعنى لاسيما ، فقول يستحب الإستهلال خصوصاً في شهر رمضان وشوال لقوله تعالى ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾^(١).

والخصائص النبوية في الإصطلاح هي الفضائل والنفائس والفضائل والآيات التي انفرد بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من بين الأنبياء والتي من بين عموم الناس ، وفي التنزيل ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^{(٢) (٣)}.

وقد أكرم الله عز وجل النبي محمد بمخصال وخصائص في الدنيا وأخرى في الآخرة ، وفق القرآن والسنة وفيه دعوة سماوية للتصديق برسالته واتباعه ، قال تعالى ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٤).

السكينة لأم النبي محمد (ص)

قال الطبري (٢٢٤-٣٢٠) هجرية (حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحاق قال يزعمون فيما يتحدث الناس والله أعلم ان آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت تحدث أنها أتيت لما حملت

(١) سورة البقرة ١٨٥.

(٢) سورة الكهف ١١٠.

(٣) أنظر الجزء الثامن والتسعين من كتابي (معالم الإيمان في تفسير القرآن) الذي تضمن تفسير هذه الآية الكريمة .

(٤) سورة آل عمران ١٣٢.

برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقيل لها انك قد حملت بسيد هذه الامة فإذا وقع بالارض فقولني :

أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سمي محمدًا ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت منه قصور بصرى من أرض الشام فلما وضعت أرسلت إلى جده عبد المطلب أنه وقد ولد لك غلام فأتته فانظر إليه فأتته فنظر إليه وحدثته بما رأت حين حملت به وما قيل لها فيه وما أمرت أن تسميه^(١). وهل يدل هذا الخبر على أن أمته أم النبي من الموحدين ، المختار نعم . وفي الخبر دلالة على وقاية النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الله من حين الحمل به .

وصار البيت الذي ولد فيه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مسجداً.

وظل الخلفاء والولاة والحكام يتعاهدون هذا المسجد ، ويقومون بترميمه إلى أن صار آيلاً إلى السقوط في بدايات القرن العشرين ، فتم تحويله إلى مكتبة مكة العامة .

وقال ابن جبير في رحلته الأولى (٥٧٩-٥٨١) هجرية فمن مشاهدتها أي مشاهد مكة (التي عايناها قبة الوحي، وهي في دار خديجة أم المؤمنين ، وبها كان ابتداء النبي، صلى الله عليه وسلم الله عليه وآله وسلم، بها، وقبة صغيرة أيضاً في الدار المذكورة فيها كان مولد فاطمة الزهراء ، وفيها أيضاً ولدت سيدي شباب أهل الجنة : الحسن والحسين (عليهم السلام)^(٢) وهذه المواضع المقدسة المذكورة مغلقة مصونة قد بنيت بناء يليق بمثلها. ومن مشاهدتها الكريمة أيضاً مولد النبي، صلى الله عليه وآله وسلم ، والترية الطاهرة التي هي أول ترية مست جسمه الطاهر.

(١) تاريخ الطبري ٥٧١/١.

(٢) لقد ولد الحسن والحسين في المدينة في بيت فاطمة المجاور لبيت وغرفة عائشة .

بني عليها مسجد لم ير أحفل بناء منه، أكثره ذهب منزل به. والموضع المقدس الذي سقط فيه، صلى الله عليه وآله وسلم، ساعة الولادة السعيدة المباركة التي جعلها الله رحمة للأمة أجمعين محفوف بالفضة.

فيا لها تربة شرفها الله بأن جعلها مسقط أطهر الأجسام ومولد خير الأنام، صلى الله عليه وسلم الله عليه وعلى آله وأهله وأصحابه الكرام وسلم تسليماً.

يفتح هذا الموضع المبارك فيدخله الناس كافة متبركين به في شهر ربيع الأول ويوم الاثنين منه، لأنه كان شهر مولد النبي، صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم، وفي اليوم المذكور ولد، صلى الله عليه وآله، وتفتح المواضع المقدسة المذكورة كلها، وهو يوم مشهود بمكة دائماً^(١).

تعدد البشارة ببعثة النبي محمد (ص)

من الإعجاز في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن الرؤيا كانت مدداً له في نبوته، وللناس في التصديق بها.

إذ كانت رؤيا البشارة بنبوته تزور القريب والبعيد، ومن بديع صنع الله عز وجل في خلق الإنسان موضوعية الرؤيا عند أهل كل زمان، حتى إذا بعث الله عز وجل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم استحضر الناس تلك الرؤى وبادروا إلى التصديق برسائله، ومنه من كانت الرؤيا سبباً لإمتناعه عن إيذائه ومحاربتة.

(عن عمرو ابن مرة الجهني قال: خرجت حاجاً في جماعة من قومي في الجاهلية فرأيت في المنام وأنا بمكة نورا ساطعاً من الكعبة حتى وصل إلى جبال يثرب أشعر جهينة فسمعت صوتاً في النور وهو يقول: انقشعت الظلماء، وسطع الضياء، وبعث خاتم الأنبياء ثم أضاء إضاءة أخرى حتى نظرت إلى قصور الحيرة وأبيض المدائن فسمعت صوتاً في النور وهو يقول:

(١) رحلة ابن جبير ٣٤/١.

ظهر الإسلام ، وكسرت الأصنام ، ووصلت الأرحام
فانتبهت فزعا وقلت لقومي : والله ليحدثن في هذا الحى من قریش
حدث . وأخبرتہم بما رأيت .
فلما انتهينا إلى بلادنا جاءنا أن رجلا يقال له : أحمد قد بعث فأتيته
فأخبرته ما رأيت .

فقال : يا عمرو بن مرة أنا النبي المرسل إلى العباد كافة أدعوهم إلى
الإسلام.

وآمرهم بحقن الدماء وصللة الأرحام وعبادة الله ورفض الأصنام وحج
البيت وصيام شهر رمضان من اثني عشر شهرا فمن أجاب فله الجنة ومن
عصى فله النار فأمن بالله يا عمرو يؤمنك الله من هول جهنم .
قلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله وأمنت بكل ما جئت به
بمحلال وحرام وأن أرغم ذلك كثيرا من الأقوام . ثم أنشدته أبياتا قلتها حين
سمعت به وكان لنا صنم وكان أبي سادنا له فقمتم إليه فكسرتة ثم لحقت
بالنبي صلى الله عليه وسلم وأنا أقول :

شهدت بأن الله حق وإنني . . . لآلهة الأحجار أول تارك
وشمرت عن ساقى الإزار مهاجرا ... إليك أجوب الفوز بعد الدكادك
لأصحب خير الناس نفسا ووالدا... رسول ملك الناس فوق الحباثك
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : مرحبا بك يا عمرو بن مرة .
فقلت : يا رسول الله بأبي أنت وأمي ابعثني إلى قومي لعل الله أن يمن
بي عليهم كما من بك علي . فبعثني عليهم فقال : عليك بالرفق والقول
السديد ولا تكن فظا ولا متكبرا ولا حسودا ، فأتيت قومي .

فقلت : يا بني رفاعة يا معاشر جهينة إني رسول رسول الله صلى الله
عليه وسلم إليكم أدعوكم إلى الجنة وأحذركم النار وأمركم بحقن الدماء
وصللة الأرحام وعبادة الله ورفض الأصنام وحج البيت وصيام شهر
رمضان شهر من اثني عشر شهرا فمن أجاب فله الجنة ومن عصى فله النار
يا معشر جهينة إن الله عز وجل جعلكم خيار من أنتم منه وبغض إليكم

في جاهليتكم ما حجب إلى غيركم - من أنهم كانوا يجمعون بين الأختين ويخلف الرجل منهم على امرأة أبيه والغزاة في الشهر الحرام فأجبيوا هذا النبي المرسل من بني لؤي بن غالب تنالوا شرف الدنيا وكرامة الآخرة وسارعوا في ذلك يكن لكم فضيلة عند الله .

فأجابوه إلا رجلا واحدا قال : يا عمرو بن مرة - أمر الله عليك - تأمرنا أن نرفض آلهمتنا ونفرض جماعتنا ونخالف دين آبائنا إلى ما يدعو إليه هذا القرشي من أهل تهامة ؟ لا ولا حبا ولا كرامة . ثم أنشأ الخبيث يقول :

إن ابن مرة قد أتى بمقالة . . . ليست مقالة من يريد صلاحا

إنني لأحسب قوله وفعاله . . . يوما وإن طال الزمان رياحا

أيسفه الأشياء ممن قد مضى . . . من رام ذاك فلا أصاب فلاحا

فقال عمرو بن مرة : الكاذب مني ومنك أمر الله فمه وأبكم لسانه وأكمه عينيه وأسقط أسنانه . قال عمرو بن مرة : فوالله ما مات حتى سقط فوه وكان لا يجد طعم الطعام وعمي وخرس .

فخرج عمرو بن مرة ومن تبعه من قومه حتى أتوا النبي صلى الله عليه و سلم فرحب بهم وجباهم وكتب لهم كتابا هذه نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله جل وعز على لسان رسول الله صلى الله عليه و سلم كتاب صادق وحق ناطق لعمرو بن مرة الجهني لجهينة بن زيدان لكم بطون الأرض وسهولها وتلاع الأودية وظهورها ترعون نباته وتشربون صافية على أن تقرؤا بالخمس وتصلوا صلاة الخمس وفي التبعة^(١) والصريمة^(٢) شاتان إذا اجتمعتا وإن تفرقتا فشاة شاة ليس على أهل المثيرة^(٣) صدقة وشهد على نبينا ومن حضرنا من المسلمين بكتاب قيس بن شماس فذلك حين يقول عمرو بن مرة الجهني :

(١) التبعة : الأربعون من الغنم أو أدنى منها لا تجب فيها الزكاة .

(٢) الصريمة : مصغر الصرمة أي القطيع من الإبل أو الغنم من عشرين إلى ثلاثين ، والمراد هنا من مائة وإحدى وعشرين إلى المائتين .

(٣) المثيرة : أي البقرة التي تستعمل لحراثة الأرض ، ويشمل العوامل .

ألم تر أن الله أظهر دينه . . . وبين برهان القرآن لعامر
 كتاب من الرحمن يجعلنا معا . . . وأخلافنا في كل باد وحاضر
 إلى خير من يمشي على الأرض كلها . . . وأفضلها عند اعتكار الضرائر
 أطعنا رسول الله لما تقطعت . . . بطون الأعادي بالظباء الخواطر
 فنحن قبيل قد بني المجد حولنا . . . إذا اختليت في الحرب هام الأكابر
 بنو الحرب نفرها بأيد طويلة . . . وبيض تلالاً في أكف المغاور
 ومن حوله الأنصار يحموا أميرهم . . . بسمر العوالي والسيوف البواتر
 إذا الحرب دارت عند كل عزيمة... ودارت رحاها بالليوث الهواصر
 تبلج منه اللون وازدان وجهه . . . كمثل ضياء البدر بين الزواهر^(١).
 لبيان إمامة ورئاسة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنه يقوم
 بتخصيص الأراضي لأقوام وأشخاص لزراعتها وعمارتها مع تعيين تعداد
 الزكاة ، والأعيان المعفو عنها من الزكاة .

أخبار بعثة النبي (ص)

تعددت الرؤى التي تبشر ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم
 ومنها رؤيا ربيعة بن نصر اللخمي ملك اليمن التي تأولها سطيح وشق.
 ذكر الرواة من أهل العلم ان ربيعة بن نصر رأى رؤيا هالته وفضع بها
 فلما رآها بعث في أهل مملكته فلم يدع كاهنا ولا ساحرا ولا قائضا ولا
 منجما إلا احضره إليه فلما جمعهم .

قال لهم اني قد رأيت رؤيا هالتي وفضعت بها فاخبروني بتأويلها قالوا
 اقصصها علينا لنخبرك بتأويلها قال اني ان اخبرتكم بها لم اطمئن الى
 خبركم عن تأويلها انه لا يعرف تأويلها الا من يعرفها قبل ان اخبره بها.
 فلما قال لهم ذلك قال رجل من القوم ان كان الملك يريد هذا فليبعث
 الى سطيح وشق فانه ليس أحد اعلم منهما فهما يخبرانك بما سئلت فلما قيل
 له ذلك بعث اليهما فقدم عليه سطيح قبل شق ولم يكن مثلهما من الكهان.

(١) الهيثمي / مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٤٤٠/٨.

فلما قدم عليه سطيح دعاه فقال له يا سطيح اني قد رأيت رؤيا هالتني وفضعت بها فاخبرني بها فانك ان اصبتها اصبت تأويلها .

قال افعل رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فرفعت بارض تهامة فاكلت منها كل ذات جمجمة قال له الملك ما اخطأت شيئا يا سطيح فما عندك في تأويلها فقال احلف بما بين الحرمين من حبش ليهبطن ارضكم الحبش فلتملكن ما بين اثنين الى جرش.

قال له الملك وايبك يا سطيح ان هذا لغائظ موجه.

فمتى هو كائن يا سطيح أفي زمني ام بعده قال لا بل بعده بحين اكثر من ستين أو سبعين يمضين من السنين ثم يقبلون بها اجمعون ويخرجون منها هارين.

قال الملك من ذا الذي يلي ذلك من قبلهم واخراجهم قال يليه ارم ذي يزن يخرج عليهم من عدن فلا يترك منهم احدا باليمن قال افيدوم ذلك من سلطانه أو ينقطع.

قال بل ينقطع قال ومن يقطعه قال نبي زكي يأتيه الوحي من قبل العلي. قال ومن هذا النبي قال من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكون الملك في قومه الى آخر الدهر.

قال وهل للدهر يا سطيح من آخر قال نعم يوم يجمع فيه الاولون والآخرين ويسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون .

قال احق ما تخبرنا يا سطيح قال نعم والشفق والليل إذا اتسق ما انباتك به الحق.

فلما فرغ قدم عليه شق فدعاه فقال له يا شق اني رأيت رؤيا هالتني وفضعت بها فاخبرني عنها فانك ان اصبتها اصبت تأويلها كما قال السطيح وقد كتبه ما قال السطيح لينظر ايتفقان ام يختلفان قال نعم رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بين روضة واكمة فاكلت منها كل ذات نسمة قال له الملك ما اخطأت منها.

فما عندك في تأويلها .

قال احلف بما بين الحرمين من انسان لينزلن ارضكم الحبشان فليغلبن على كل طفلة البنان وليملكن ما بين اثنين الى نجران .

فقال له الملك وايبك ان هذا لنا لغاظ موجه فمتى كاين أفي زماني ام بعده قال بعده بزمان ثم يستنقذك منهم عظيم الشأن ويذيقهم اشد الهوان . قال : ومن هذا العظيم الشأن .

قال غلام ليس بدني ولا مدني يخرج من بيت ذي يزن قال فهل يدوم سلطانه أو ينقطع قال بل ينقطع برسول مرسل يأتي بالحق والعدل بين أهل الدين والفضل يكون الملك في قومه يوم الفصل.

قال وما يوم الفصل قال يسمع منها الاحياء والاموات ويجمع الناس للميقات يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات قال احق ما تقول يا شق قال اي ورب السماء والأرض وما بينهما من رفع وخفض ان ما انباتك لحق ما فيه امض^(١).

ويدل هذا الخبر على البشارة بالإسلام والإنذار من التماذي في الجحود، كما يبين وجود من يعرف القواعد الكلية للرؤيا في زمن الكفر والضلالة لإتمام الحجة على الناس.

ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تعدد البشارات بنبوته من جهات :

الأولى : بشارة الأنبياء برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثانية : أخبار أتباع الأنبياء وأهل الملل .

الثالثة : رؤيا الملوك لمنامات تتضمن البشارة برسالته .

الرابعة : تأويل المعبرين لرؤيا البشارات بما يكون تعصيذاً لإخبار الأنبياء برسالته ، وللدلالة على قرب زمان بعثته وحلول أوانه بالرؤيا وعلامات كونية واجتماعية .



الحرز عند الولادة

عن ابن إسحاق أن أمنة بنت وهب (اتيت حين حملت به فقيل لها انك قد حملت بسيد هذه الامة وفيه ثم سمي محمد^(١)).

(وأخرج أبو نعيم عن بريدة وابن عباس قالا رأت أمنة في منامها فقيل لها انك قد حملت بخير البرية وسيد العالمين فإذا ولدته فسميه أحمدًا ومحمدًا وعلقي عليه هذه فانتبهت وعند رأسها صحيفة من ذهب مكتوب عليها.

أعيذه بالواحد من شر كل حاسد وكل خلق رائد من قائم وقاعد عن السبيل عائد على الفساد جاهد من نافث او عاقد وكل خلق مارد يأخذ بالمرصد في طرق الموارد أنهاهم عنه بالله الأعلى واحوطه منهم باليد العليا والكف الذي لا يرى يد الله فوق أيديهم وحجاب الله دون عاديهم لا يطرده ولا يضروه في مقعد ولا منام ولا مسير ولا مقام أول الليالي^(٢)).

ويلاحظ في هذا الدعاء والحرز لغة التوحيد ، وتسمية النبي محمد باسمين (أحمد ومحمد) .

و(ويروى ان عبد المطلب انما سماه محمدًا لرؤيا رآها زعموا انه رأى في منامه كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الارض وطرف في المشرق وطرف في المغرب ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور وإذا اهل المشرق والمغرب يتعلقون بها فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه اهل المشرق والمغرب ويحمده اهل السماء والارض فلذلك سماه محمدًا مع ما حدثته به امه^(٣)).

وكل من اسم محمد ، وأحمد يبعث المسلمين وأهل الكتاب وعامة الناس على الشكر والحمد لله عز وجل .

(١) عيون الأثر ٤٥/١ .

(٢) الخصائص الكبرى ٧٢/١ .

(٣) عيون الأثر ٤٥/١ .

لذا يتلو كل مسلم مسلمة سبع عشرة مرة في الصلاة اليومية قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١)، ولم يكن اسم محمد معروفاً عند العرب خاصة وأنهم عبدة أوثان ، وهو صيغة مبالغة من الحمد ، ولكن عندما قربت أيام ولادته ، وتجلت العلامات الكونية والحساب بقرب أوان بعثته ، وما يذكره أهل الكتاب وأصحاب الصومعات خاصة وأن قريشاً يعملون بالتجارة .

بشارة الرسول عيسى (ع)

قال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (انا دعوة ابي ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أُمي).

وذكر ان آمنة بنت وهب بن عبد مناف من بني زهرة (أنها حين وضعتَه كفأت عليه برمة^(٢) حتى تتفرغ له قالوا فوجدت البرمة قد انشقت عن نور أضاءت منه لها عن قصور كثيرة من قصور الشام)^(٣).

ومع أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان مبشراً به وباسمه كما أخبر القرآن ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾^(٤).

فان اسمه وتحديدده من قبل الله عز وجل جاء بعلامات وإشارات وإخبار من نبي رسول وهو عيسى عليه السلام.

وتحتمل بشارة عيسى عليه السلام بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجوهاً :

الأول : تلقي عيسى عليه السلام هذه البشارة وراثته عن الأنبياء السابقين.

الثاني : جاءت البشارة بالوحي إلى عيسى ابتداء من عند الله .

(١) سورة الفاتحة ٢.

(٢) البرمة / قدر من الحجر.

(٣) تاريخ دمشق ١/ ١٧٣.

(٤) سورة الصف ٦.

الثالث : كانت البشارة المتوارثة بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أما الاسم (أحمد) فجاء بالوحي إلى عيسى عليه السلام . والمختار هو الأول ، وهو من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأن يتوارث الأنبياء البشارة برسالته مع ذكرهم لاسمه . عن الباقر عليه السلام قال رأت آمنة في المنام وهي حامل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تسميه أحمد . وعن ابن اسحاق ان تسميه محمداً^(١) .

صحيح أن الاسم غير المسمى ولكن عند اختيار الاسم من عند الله أو بالوحي والتحديث ففيه دلالات تؤكد التوافق والتطابق بين الاسم والمسمى ، ففي كل زمان يبقى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم محموداً عند الله والناس .

سلامة النبي (ص) وهو حمل في بطن أمه

و(عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك ، قال : دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام)^(٢) .

في رؤيا آمنة بنت وهب بخروج نور منها وهي حامل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم دعوة لها للعناية بحملها ، ومواساة بوفاة زوجها ، وإخبار سماوي بأن المولود سيكون له جاه وشأن عظيم يتعدى حدود مكة والجزيرة ، والشام هنا كناية عن بلدان العالم .

وفيه نكتة وهي أنه حينما جاء أبرهة وجنوده لهدم البيت الحرام كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم حملاً في بطن أمه فان الله عز وجل أراد أن يشد عضدها ويلقي عليها الصبر على الحمل ، والعناية به ، وعدم الجزع أو

(١) الخصائص الكبرى ١/٧٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ٨/١١٠ .

الخوف من أبرهة وجنوده ، إذ قد يسبب الفزع الشديد للحامل بالإسقاط ، ولييان لطف الله عز وجل بأمه بأن يكون هذا الحمل سبباً لبعث السكينة في نفسها ، ونزول سخط وغضب الله بأبرهة وجيشه .

ولو دخل أبرهة وجنوده مكة لاستبيحت ، وبقرت بطون النساء ، فرد الله عز وجل كيد أبرهة وهو الذي توثق من السماء بقوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾^(١) .

ابتداء النبوة بالرؤيا الصالحة

لقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يرى الرؤيا الصالحة التي يأتي مصداقها وكأنها إخبار من عالم الغيب ، ليس لرياضة روحية وتجرد عن الماديات بل هو من الفضل الإلهي في إصلاح النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لمقامات النبوة وتلقي الوحي ، ولجعله في حال يقين وطمأنينة لصحة نهجه وعزلته عن الناس ، فلجأ إلى التحنث في غار حراء .

وعن عائشة (أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حجب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد^(٢) قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة ، فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء .

فجاءه الملك فقال (اقرأ) قال : قلت : ما أنا بقارئ . قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ فقلت : ما أنا بقارئ . قال : فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم

(١) سورة الفيل ١-٥ .

(٢) أي ليالي معدودة كخمسة أو سبعة ليالي .

أرسلني فقال ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾^(١).

فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال : زملوني زملوني^(٢).

فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي ، فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق . فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل^(٣)^(٤).

وظاهر هذا الخبر حدوث التحنث في غار حراء في بدايات النبوة وأنه لم يستمر كثيراً إذا اختتم بنزول جبرئيل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالآيات الأولى من سورة القلم .

و(عن عبادة بن الصامت : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة)^(٥).

ومن معاني هذا الحديث أن مدة النبوة ثلاث وعشرون سنة وتكون نسبة الستة أشهر واحد إلى ست وأربعين بلحاظ ضرب ٢٣ سنة × ٢ = ٤٦ كل واحد منها يعدل ستة أشهر .

(١) سورة القلم ١-٤

(٢) أي غطوني بالدثار ، وفي القرآن سورة امها المزل ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ * قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ سورة المزل ١-٣.

(٣) الدر المنثور ١٠/٢٩٨.

(٤) البحار ١٨/١٩٤ .

(٥) الدر المنثور ٥/٢٥٣ .

لقد حفظت لنا السنة النبوية سجلاً وثائقياً ومساراً استقام ليكون درب هدى يقتدي المسلمون باتخاذه طريقاً ومنهجاً في ذخائر النبوة وعلم الرؤيا وتعبيرها وابوابها الواسعة. قال تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١).

وأول ما بدء به النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الرؤيا الصالحة وكان كثير الرؤيا ولا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

عن الباقر عليه السلام في البصائر في الفرق بين الرسول والنبي والمحدث: وأما النبي فإنه يرى في منامه على نحو ما رأى ابراهيم عليه السلام، ونحو ما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أسباب النبوة قبل الوحي. حتى أتاه جبرائيل من عند الله بالرسالة الى ان قال الباقر عليه السلام: من الأنبياء من جمع له النبوة ويرى في منامه بأنه الوحي فيكلمه ويحدثه من غير ان يكون رآه في اليقظة.

ومن خصائص النبوة تمييز النبي بفضل من الله بين كل من :

الأولى : رؤيا الوحي .

الثانية : الرؤيا الصادقة .

الثالثة : أضغاث الأحلام .

وبالإسناد (عن عبدالله بن ابى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم انه كان من بدء أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى في المنام رؤيا فشق ذلك عليه فذكر ذلك لصاحبه خديجة بنت خويلد.

فقالت له أبشر فان الله لا يصنع بك إلا خيراً فذكر لها أنه رأى ان بطنه أخرج فطهر وغسل ثم أعيد كما كان.

قالت هذا خير فأبشر ثم استعلن به جبريل فأجلسه على ما شاء الله أن يجلسه عليه وبشره برسالة ربه حتى اطمأن.

(١) سورة الحشر ٧.

ثم قال اقرأ قال كيف اقرأ قال ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ (١) (٢).

ومن الإعجاز في إصلاح النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للرسالة الخاتمة فصله وتمييزه بين رؤيا الوحي ، والرؤيا الصادقة ذات التأويل ورؤيا أضغاث الأحلام.

أي أنه يرى هذه الأنواع من الرؤى ، وهل هذا الفصل والتمييز ساعة الرؤيا أم عند الإستيقاظ ، المختار هو الأول .

وفي الحديث (أن ابن سوريا وجملة من يهود فدك لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة سأله فقالوا : يا محمد كيف نومك ، فإنه قد أخبرنا عن نوم النبي الذي يأتي في آخر الزمان.

فقال : تَنَامُ عَيْنَايَ وَقَلْبِي يَقْظَانُ ، قالوا : صدقت يا محمد) (٣).

وبين عامة الناس والأنبياء بخصوص الرؤيا عموم وخصوص مطلق ، إذ يرى كل إنسان رؤيا صادقة ويرى أضغاث أحلام ومنهم الأنبياء ولكن الأنبياء يمتازون بأمور :

الأول : رؤيا الوحي .

الثاني : الفصل والتمييز بين رؤيا الوحي والرؤيا التي من غير الوحي ، وإن كانت رؤيا صادقة ، فليس كل رؤيا صادقة للنبي هي رؤيا وحي ، نعم رؤيا الوحي صادقة ومن البلاغ واليقين .

وليس من ملازمة بين الرؤيا الصادقة وبين تحقق مصداقها الواقعي ، فقد تكون الرؤيا الصادقة رؤيا إنذار فيدعو الإنسان ويتصدق فيمحو الله عز وجل مصداق الإنذار.

(١) سورة القلم ١-٤.

(٢) عيون الأثر ١/١١٢.

(٣) النكت والعيون ١/٧٧.

أو تأتي رؤيا الإنذار ثم يحو الله مصداقها ويحول دون تنجزها بفضل ولطف وإحسان منه تعالى، وهو من عمومات قوله تعالى ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾^(١)، فلا يتعلق المحو في المقام على الدعاء والصدقة ونحوها، إذ قد يتم ابتداء من عند الله عز وجل، وقد ينسى المؤمن رؤيا الإنذار، ولا يدعو بخصوصها، ولكن الله عز وجل لا ينساها، وهو الذي يفضل بمحو موضوعها وصرف مصداقها نعمة من عنده تعالى، وهو الذي ينكشف للعبد في الآخرة، قال تعالى ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾^(٢).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في المقام مسائل:
الأولى : تحقق مصداق الرؤيا التي يراها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الثانية : رؤيا النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مقدمة لتصديق الناس بنبوته، إذ يخبرهم بما رأى في المنام ويتحقق مصداق الرؤيا واقعاً.
الثالثة : قانون رؤيا الوحي ترغيب للناس للإنصات للنبي.
الرابعة : تعبير النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للرؤيا مدرسة وعلم مستقل.

الوحي لغة وإصطلاحاً

الوحي لغة : هو الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام وكل ما ألقيته إلى غيرك، وهو إعلام في خفاء، ولذا سمي الإلهام وحياً، والوحي من الكليات المشككة فهو يقع على مسميات متعددة ومراتب متعددة ذات معنى واحد، ومنه ما يكون ظاهراً للرسول.

(١) سورة الرعد ٣٩.

(٢) سورة ق ٢٢.

والوحي مصدر وحى إليه، والأصل فعول مثل فلوس، ويقال الوحا الوحا أي بسرعة، وهو منصوب بفعل مضمر، وموت وحى أي سريع لفظاً ومعنى.

وهو في الإصطلاح وعلم الكلام تعليم وإلقاء الله عز وجل للأنبياء ما يتعلق بأمور الدين بواسطة الملائكة من غير واسطة بشر. وقيل هو الكلام الخفي من جهة ملك إلى نبي في حال اليقظة، ولكنه أعم لغة وإصطلاحاً.

وورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أن رؤيا الأنبياء وحي^(١). فهل هو وحي مجازاً أم أن منامهم ملحق باليقظة كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: تنام عيناى وقلبي يقظان^(٢).

الجواب أنه وحي على الحقيقة وملحق بالوحي حكماً، ويدل عليه قوله تعالى في إبراهيم عليه السلام ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمُرُ سَجَدْتُ لِإِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٣﴾.

وفي حديث ابن صوريا أنه قال للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (أخبرني عن ثلاث خصال أسألك عنهن، قال: ما هي.

قال: أخبرني عن نومك،

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: تنام عيناى وقلبي يقظان قال له: صدقت، فأخبرني عن شبه الولد بأبيه ليس فيه من شبهه أمه شيء أو شبهه أمه ليس فيه من شبهه أبيه شيء، قال: أيهما علا وسبق ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له قال له: صدقت، فأخبرني ماللرجل من الولد وما للمرأة منه؟

(١) الدر المنثور ٣٤٣/٨.

(٢) ابن كثير / السيرة النبوية ٤٤/٥.

(٣) سورة الصافات ١٠٢.

قال : فأغمي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طويلاً ثم خلي عنه محمراً وجهه يفيض عرقاً فقال صلى الله عليه وآله وسلم اللحم والدم والظفر والشعر للمرأة والعظم والعصاب والعروق للرجل قال له : صدقت أمرك أمر نبي فأسلم ابن سوريا عند ذلك وقال : يا محمد من يأتيك من الملائكة .

قال : جبرئيل . قال : صفه لي ، فوصفه له النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : أشهد إنه في التوراة كما قلت وإنك رسول الله حقاً فلما أسلم ابن سوريا وقعت فيه اليهود وشتموه^(١) .

ليان قانون الوحي سبب لدخول الذوات وعامة الناس الإسلام ، وأن الناس دخلوا الإسلام بالمعجزة والوحي ، وهو من الشواهد على قانون (لم يغز النبي (ص) أحداً) وقد صدرت بالعنوان أعلاه تسعة وعشرون جزء من كتابنا الموسوم (معالم الإيمان في تفسير القرآن) .

آدم والوحي

وردت مادة (وحي) في نحو سبعين موضعاً من القرآن ، وهناك آيات أخرى تتعلق بالوحي ، ولكن بغير لفظه ، كما في قوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢) . وفي خطاب الى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾^(٣) ، و﴿فَنَنْحَاجُكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾^(٤) ، و﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٥) .

(١) الثعلبي / الكشف والبيان ٨٩/٥ .

(٢) سورة البقرة ٣١ .

(٣) سورة القصص ٨٦ .

(٤) سورة آل عمران ٦١ .

(٥) سورة الأنعام ٣٤ .

ولا يدرك الناس كنهه وكيفية تعليم الله لآدم لأنه حدث في السماء، ولعل له نواميس تختلف عن نواميس وأحكام الأرض، وبينهما عموم وخصوص من وجه، وهل يكون هذا التعليم لآدم بمثل الوحي بواسطة الملك أو لا، الجواب هو مرتبة أعلى وأظهر من الوحي .

وآدم هو أول الأنبياء وأول البشر الذي تلقى الوحي في الأرض بعد أن كلمه الله ، وتجلى البيان في قوله تعالى ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(١)، لبيان أن نعمة تكليم الله عز وجل لآدم قبلاً تكررت في الأرض بفضل ولطف من عند الله عز وجل.

وقال أبو ذر (قلت : يا رسول الله كم أنزل الله من كتاب . قال : مائة وأربع كتب ، منها على آدم عشر صحف ، وعلى شيث خمسين صحيفة ، وعلى أخنوخ ، وهو إدريس ثلاثين صحيفة ، وهو أول من خط بالقلم ، وعلى إبراهيم عشر صحائف ، والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان)^(٢) .

وبعد أن تم تعليم آدم عليه السلام قالت الملائكة ﴿لَاعِلْمَ لَنَا﴾^(٣)، ومن المستبعد أن ينقل الملك ما لا يعلمه، أي أن الملك لم ينقل هذا الوحي إلا على فرض أن الملك الذي نقل الوحي والتعليم إلى آدم لم يكن مشمولاً بسؤاله وأمره تعالى ﴿أَنْبِئُونِي﴾.

والمختار أن الله عز وجل علم آدم الأسماء من غير واسطة من الملائكة وبكيفية خاصة .

إن تعليم الله لآدم نعمة عامة على الناس ، ومقدمة لخلافة الإنسان في الأرض ، وفاتحة الوحي من الله للأنبياء ليفوز النبي محمد صلى الله عليه

(١) سورة النساء ١٦٤.

(٢) الثعلبي / الكشف والبيان ٨٠/١٤.

(٣) سورة البقرة ٣٢.

وآله وسلم بمصاحبة الوحي له من الأيام الأولى لبعثته ليرافقه ثلاثاً وعشرين سنة إلى حين مفارقتة إلى الرفيق الأعلى .

وهل الوحي للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من مصاديق نصر الله عز وجل للنبي محمد لقوله تعالى ﴿وَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدُرٍّ وَآتَمَّ أَذِلَّةً فَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١) الجواب نعم .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تفضل الله عز وجل عليه بنزول الوحي والتنزيل ، وكثرة نزول جبرئيل عليه .

قانون الوحي حجة

الوحي أعم من النبوة ومعرفة التكاليف وهو حجة وبرهان ونعمة عظمت على أهل الأرض ، ويأتي للأنبياء ، ويأتي لغيرهم أيضاً ولكنه ليس كوحي النبوة ، وفي خطاب إلى موسى عليه السلام قال تعالى ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ * أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلَتُضُنَّ عَلَيَّ عَيْنِي﴾^(٢).

ويدل على عموم قدرة الله تعالى وإتصالها ابتداءً وخلقاً واستدامة ، فكل ممكن يتمتع حصوله وبقاؤه بدون علة ، والوحي يدل على انقطاع سلسلة الممكنات بواجب الوجود لذاته ، وحاجة الناس والخلائق إلى رحمة ولطف الله تعالى ، ويدل أيضاً على أن الموجودات لا تستطيع الإستغناء عن مشيئته تعالى للملازمة الحاجة للإمكان.

ويتجلى قانون الملازمة بين الوحي والنبوة وإن كان بعض الأنبياء ممن يتنبأ في منامه ومنهم من يسمع الصوت ولا يرى الملك ، وصحيح أن الأنبياء

(١) سورة آل عمران ١٢٣.

(٢) سورة طه ٣٨-٣٩.

من البشر، ولكنهم اختلفوا عن الناس بما خصهم الله عز وجل به من الفضل والوحي وقانون الملازمة بين النبوة والمعجزة وشرف النبوة وعظيم وظائفها ، وفي خطاب إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾^(١).

والوحي إلى الأنبياء لم يكن على مرتبة وكيفية واحدة، وهو أعم من أن يكون لفظاً، وتفضل الله وجمع للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجوه الوحي.

وقد ينقطع الإنسان إلى التسبيح والعبادة ويمارس رياضة روحية وقسوة في نوع الغذاء وكميته، وقد يحصل على كشف أهل العرفان أو إلهام أهل الوصل، ولكنه حس ذاتي ووجدان نفسي وتوظيف للا شعور او الحاسة السادسة او إفاضة ربانية، ويختلف في الماهية والموضوع عن الوحي السماوي الذي هو فيض من الكمال اختص الله به الأنبياء على نحو الحصر تشريفاً ومرتبة ووظيفة ملكوتية كمبعوثين لأهل الأرض برسالة السماء.

ولقد انتفع الصحابة وأجيال المسلمين من الوحي إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أعظم انتفاع ، وهو من خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد حضَّ الله عز وجل المسلمين على اتباع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والعمل بسنته ، قال تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٢).

وليكون من معاني (واتبعوه) في قوله تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

(١) سورة فصلت ٦.

(٢) سورة الحشر ٧.

النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١﴾^(١)، اتباع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في أحكام القرآن وفي السنة النبوية القولية والفعلية ، ومنها قوله صلى الله عليه وآله وسلم (صلّوا كما رأيتموني أصلي)^(٢).
وفي السنة الفعلية ومنها قوله بخصوص الحج (لتأخذوا عني مناسككم)^(٣).

فلسفة الوحي

فلسفة الوحي والحكمة منه أكبر من أن تدركها أوهام البشر فهو عنوان الإتصال الدائم بين الخالق والخلق، فكما نفخ الله سبحانه من روحه في آدم عليه السلام فإنه تعالى أبى أن يترك الإنسان الذي أسجد له الملائكة وكلفه بالعبادات من غير مادة للإتصال ومعرفة ما يجب عليه وما ينتهي عنه فتفضل بالوحي إلى الأنبياء.

ليكون الوحي قواعد سماوية وتشريعية ثابتة لإنارة دروب الهداية ، وفضح صيغ الضلالة ووجوه الكفر.

لقد جعل الله عز وجل الوحي حجة من جهات :

الأولى : قانون الوحي مادة تصديق الناس بدعوة الأنبياء .

الثانية : قانون الوحي لطف عام .

الثالثة : قانون الوحي هداية للناس .

وقد يكون معنى الوحي في القرآن أخص من معناه في اللغة، فلم يرد لفظ الوحي فيه موضوعاً بين الناس بعضهم مع بعضهم الآخر، نعم ورد بخصوص زكريا ﴿فَاَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾^(٤)، مما يدل على

(١) سورة الأعراف ١٥٨.

(٢) مسند أحمد ٤١/٤٨٧.

(٣) تفسير ابن كثير ١/٤٧١.

(٤) سورة مريم ١١.

أهمية المعنى الاصطلاحي له ولإعطائه صبغة عقائدية ولتوكيد أهميته ، نعم ورد في زكريا ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾^(١).

وقال المفسرون أن الوحي هنا الإشارة ، ولكنه أعم ، فإنه وحي بالواسطة ودعوة صامته وتلك الدعوة قد تجمع أحياناً بين الوظيفة الشرعية والأمن على النفس ، وفيه دلالة على موضوعية التسييح في الدعوة إلى الله وإتخاذ المواظبة عليه طريقاً إلى التقوى ، وسيلاً إلى الإنصات إلى الأنبياء في تبليغهم ونقلهم لرسالة السماء ، وبيان لحقيقة وهي أن الدعوة الصامته فرد من مصاديق جذب الناس إلى الإيمان .

لقد أوحى إليهم زكريا أن سبحوا الله ، والنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم جاء بالأحكام والشرعة الحقّة لفظاً وفعلاً وتقريراً ، مما يدل على علو درجته في عالم النبوة .

وفي دراسة مقارنة تظهر نعمة الله تعالى على المسلمين بالوحي فإن أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يرون ما يصيبه من الكرب وأن جبينه يتفصد عرقاً في اليوم الشديد البرد ساعة نزول الوحي كآية محسوسة لفلسفة الرسالة ومشقة تحملها .

وفيه دعوة سماوية للمسلمين للعناية بالوحي ، وما يصدر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم من عالم الملكوت والتنزيل .

كيفية الوحي للنبي (ص)

تتعدد هيئة وطريقة الوحي للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاصة وأنه أعم من التنزيل ، وقد يأتي للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ملك آخر غير جبرئيل .

روى الحرث بن هشام أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وآله وسلم : أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس أي صوت الجرس - وهو أشده علي فيفصم عني، وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول^(١).

ليكون من مختصات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تعدد كيفية الوحي ومجيئ الملك له بالوحي والأمر من عند الله ، وتدل خاتمة الخبر أعلاه على أن النبي رسول من عند الله ، فمن خصائص الرسول أنه يرى ويسمع الملك ، بينما النبي يسمع الملك من غير أن يراه .

وعن عبادة بن الصامت قال : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا نزل عليه الوحي كرب لذلك وتربّد وجهه^(٢).

وفي رواية أخرى عنه (أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا نزل عليه الوحي نكس رأسه، ونكس أصحابه رؤوسهم، فلما سري عنه رفع رأسه)^(٣).

وفي حديث الوحي كأنه صلصلة على صفوان .

والصلصلة صوت الحديد، إشارة إلى وجود المشقة والصعوبة في تلقي الوحي، إن مقام النبوة منزلة لا تنال الا بفضل وتعاهد وعناية من الله تعالى، فمن لا يعده الله لتلقي الوحي لا يستطيع تحمله، أي أن الإعداد للنبوة يسبق مرحلة الوحي، وهذا الإعداد لا ينحصر بايجاد المقدرة البدنية على تلقي الوحي بل يشمل المدارك والملكات والأخلاق والأعمال، فلا غرابة إذن أن يسبق نزول الوحي على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وخلوته في غار حراء.



(١) الدر المنثور ٩/ ٨٣ .

(٢) الدر المنثور ٣/ ٧٥ .

(٣) تفسير الطبري ٨/ ٧٦ .

معجزة نزول القرآن

لقد انفرد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من بين مائة وأربعة وعشرين ألف نبي بالمعجزة العقلية ، وهي سور وآيات القرآن .
وهل القرآن معجزة عقلية متحدة أم متعددة ، الجواب هو الثاني من جهات :

الأولى : ذات نزول القرآن معجزة .

الثانية : نزول الملك جبرئيل بالقرآن .

الثالثة : حال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما يتغشاه حال نزول القرآن ، إذ كان يتصبب عرقاً في اليوم البادر إلى حين يفصل عنه الوحي .

الرابعة : نزول القرآن نجوماً وعلى نحو متعاقب في مدة ثلاث وعشرين سنة ، وكان المشركون يتساءلون لماذا لم ينزل عليه القرآن جملة واحدة مثل الأنبياء السابقين .

و(عن ابن عباس قال : قال المشركون : إن كان محمد كما يزعم نبياً فلم يعذبه ربه ألا ينزل عليه القرآن جملة واحدة ، ينزل عليه الآية والآيتين والسورة .

فأنزل الله على نبيه جواب ما قالوا ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾^(١) إلى ﴿ وَأَضْلُ سَبِيلًا ﴾^(٢) ^(٣) .

الخامسة : نزول آيات من القرآن حسب الوقائع والأحداث ، ومنه علم أسباب النزول .

السادسة : بيان القرآن للوظائف العبادية والتكاليف ، ومجئ السنة النبوية بأدائها على الوجه الأكمل .

(١) سورة الفرقان ٣٢ .

(٢) سورة الفرقان ٣٤ .

(٣) الدر المشور ٧/ ٣٥٠ .

السابعة : عدم مغادرة جبرئيل من عند النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عند نزول الآيات حتى يحفظها.

الثامنة : مسارعة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بتلاوة الآيات التي تنزل عليه حالما يفارقه الوحي ، ومن غير خشية من المشركين أو أسباب الحسد والكيد ووجوه الأذى خاصة وأن القرآن تضمن الإنذار والوعيد للذين كفروا .

التاسعة : قراءة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم السور والآيات التي تنزل عليه في الصلاة اليومية ليحفظها الصحابة ويتدبروا في معانيها ودلالاتها .

اختصاص نبوة محمد (ص) بالحروف المقطعة

لقد افتتح عدد من السور المكية بالحروف المقطعة منها قوله تعالى ﴿كهيعص﴾^(١) الذي افتتحت به سورة مريم ، ﴿الم﴾ في أول سورة آل عمران ، العنكبوت ، الروم ، لقمان ، السجدة ، ومنها (طس) أول سورة النمل . وقوله تعالى ﴿الر﴾ في أول سورة يونس ، هود ، يوسف ، إبراهيم ، الحجر .

وسورة الحواميم أي التي بدأت بـ(حم) وهي سبع سور وكلها مكية نزلت ولاء وهي أيضاً مرتبة في القرآن بذات التوالي وهو من الشواهد على أن ترتيب سور القرآن توقيفي ، وهي سورة غافر ، سورة فصلت ، سورة الشورى ، سورة الزخرف ، سورة الدخان ، سورة الجاثية ، سورة الأحقاف .

ونزلت عليه سورة الشورى بالحروف (عسق).

ومن الإعجاز في ابتداء هذه السور بالحروف المقطعة جذب انتباه الناس أيام نزولها إلى آيات القرآن ، ومنع المشركين من التصفيق والصفير عند سماع الآيات ، وفيه مسائل :

(١) سورة مريم ١.

الأولى : قانون الحروف المقطعة مقدمة لتلاوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للقرآن .

الثانية : قهر الحروف المقطعة للعرب في بلاغتهم وفصاحتهم .

الثالثة : قانون الحروف المقطعة تنزيل من عند الله سبحانه .

الرابعة : توثيق حروف الهجاء سماوياً .

الخامسة : الحروف المقطعة عون ومادة لمنع التحريف في نزول القرآن .

السادسة : قانون الحروف المقطعة وسيلة لإتباع الناس لتلاوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه للقرآن .

السابعة : دعوة العلماء المسلمين وغيرهم من الأجيال المتعاقبة للتدبر في أسرار ومعاني الحروف المقطعة ، فمن أسرار حروف وكلمات القرآن عدم حصر موضوعها بزمان وأسباب التنزيل .

الثامنة : الأجر والثواب بتلاوة المسلم والمسلمة للحروف المقطعة من وجوه :

الأول : الأجر والثواب بتلاوة الحروف المقطعة من القرآن ، و(عن عوف بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ حرفاً من القرآن كتب الله له به حسنة ، لا أقول (بسم الله) ولكن باء ، وسين ، وميم . ولا أقول (الم) ولكن الألف ، واللام ، والميم .

وأخرج محمد بن نصر السلفي في كتاب الوجيز في ذكر المجاز والمجيز عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من قرأ حرفاً من القرآن كتب الله له عشر حسنات : بالباء ، والتاء ، والثاء^(١) .

الثاني : تسليم المسلمين بأن الحروف المقطعة نازلة من عند الله عز وجل ، وهي جزء من القرآن .

الثالث : التدبر في معاني الحروف المقطعة .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تثبيت الحروف المقطعة في أوائل السور ، وتلاوتها في الصلاة وخارجها ، وتدوين كتاب الوحي والصحابة لها .

اختصاص النبي بنزول القرآن

من خصائص الأنبياء أمران :

الأول : الوحي .

الثاني : اظهار البرهان وإقامة الحجة على وجوب عبادة الله ، والامتناع عن المعاصي ، وعلى الحساب في الآخرة .

ومما توارثوه عن آدم بيان حتمية عالم الجزاء في الآخرة ، قال تعالى ﴿وَمَا

نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾^(١) .

ومع أن عدد الرسل هو ثلاثمائة وثلاثة عشر من بين مجموع الأنبياء فانه لم ينزل كتاب على كل رسول ، ومنهم من نزلت عليه صحف منهم آدم ، وشيت ، وإدريس ، وفيها الدعوة إلى التوحيد ، والشكر لله ، والإحسان إلى الناس ، والنصائح العامة ، والبعث على فعل الصالحات ، والبشارة برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّ هَذَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾^(٢) .

وقد أنزل الله عز وجل التوراة على موسى عليه السلام ، والزبور على داود وفيه أدعية وصلوات .

وأنزل الله عز وجل الإنجيل على عيسى عليه السلام ، وفيه دعوة للتوحيد والأخلاف الحميدة والرفعة بالناس ، وتأکید للشرائع التي جاءت في التوراة ، قال تعالى ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا

(١) سورة الكهف ٥٦ .

(٢) سورة الأعلى ١٧-١٩ .

بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَتُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾.

وعندما بلغ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أربعين سنة اختصه الله بنزول القرآن ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَتَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (٢).
قال تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (٣).

فمن مكر الله عز وجل أمور :

الأول : لطف الله بهجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الثاني : عصمة القرآن من التحريف .

الثالث : عجز المشركين عن حجب القرآن وعلومه عن الناس ومنع إنصاتهم له.

ليكون من مختصات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أمور :

الأول : اختصاص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بنزول القرآن ، فلم ولن ينزل على غيره من البشر .

الثاني : نزول تمام آيات القرآن قبل أن يغادر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الحياة الدنيا ، قال تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٤).

الثالث : سلامة القرآن من التحريف .

(١) سورة المائدة ٤٦.

(٢) سورة الحجر ٨٧.

(٣) سورة الأنفال ٣٠.

(٤) سورة المائدة ٣.

و(عن قتادة في قوله ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَلُّ الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١) وقال في آية أخرى ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾^(٢) والباطل إبليس . قال : فأنزله الله ثم حفظه ، فلا يستطيع إبليس أن يزيد فيه باطلاً ولا ينقص منه حقاً ، حفظه الله من ذلك)^(٣).

ولكن معنى الباطل أعم من إبليس ومنه التحريف ، وسوء التأويل ، والإهمال والنسيان .

وتتضمن الآية الوعد من عند الله بسلامة القرآن رسماً ولفظاً وتلاوةً وعمل المسلمين بمضامينه ، وأحكامه إلى يوم القيامة ، وهو من خصائص رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وعن الإمام علي عليه السلام (قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن امتك ستفتتن من بعدك ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سئل ما المخرج منها .

فقال : كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، من ابتغى العلم في غيره أضله الله ، ومن ولي هذا الأمر فحكم به عصمه الله ، وهو الذكر الحكيم ، والنور المبين ، والصراط المستقيم ، فيه خبر من قبلكم ، ونبأ من بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل)^(٤).



(١) سورة الحجر ٩.

(٢) سورة فصلت ٤٢.

(٣) الدر المنثور ٨٦/٦ .

(٤) الدر المنثور ٤٥٥/٧ .

النسبة بين الوحي والقرآن

وبين الوحي والقرآن عموم وخصوص مطلق، فكل قرآن هو وحي، وليس كل وحي قرآنًا .

وأول ما بدء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبَّ إليه الخلاء ، وكان يخلو في غار حراء فيتحنث فيه ، وهو التعبّد في الليالي ذوات العدد، (أي إحصاء وحصر هذه الليالي)، قبل أن ينزع إلى أهله ويرجع إلى خديجة ويتزود لمثلها حتى جاء الحق وهو في غار حراء .

فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني.

فقال : اقرأ، فقلت ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية ثم أرسلني فقال ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(١).

لقد أوحى الله عز وجل إلى الأنبياء والرسل واختص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأمور :

الأول : قانون إجتماع الوحي ونزول القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثاني : قانون مصاحبة الوحي للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في العبادات والمعاملات ، قال تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٢).

(١) سورة العلق ١-٥.

(٢) سورة النجم ٣-٤.

الثالث : قانون الوحي مدد وعون للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحضوره في الوقائع والأحداث ، وتوجيه الأسئلة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وقد ورد لفظ ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ خمس عشرة مرة في القرآن ، كلها خطابات للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكل واحدة منها تقترب بالجواب من عند الله بلفظ (قل) باستثناء واحدة ورد الجواب بجملة خبرية وهي ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا * إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا * إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِّنْ يُخْشَاهَا * كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُوا إِلَّا عُشَّةً أَوْ ضَحَاةً﴾^(١) مع ورود آيات فيها سؤال عن يوم القيامة والإجابة من الله عز وجل بلفظ ﴿قل﴾.

وقال تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٢) وقال تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٣) والأنفال هي الغنائم التي أحرزها المسلمون في المعركة.

ونزلت الآية أعلاه في معركة بدر ، وقال تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ النَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَىٰ وَآتَىٰ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٤).



(١) سورة النازعات ٤٢/٤٦.

(٢) سورة الإسراء ٨٥.

(٣) سورة الأنفال ١.

(٤) سورة البقرة ١٨٩.

النسبة المنطقية بين الوحي والتنزيل

الوحي لغة هو الإعلام الخفي السريع وفي الإصطلاح الشرعي هو إعلام الله تعالى لمن اصطفاهم من عباده بانواع الهداية والعلم بكيفية خافية عن الناس .

لقد جعل الله عز وجل الوحي حجة من جهات :
الأولى : قانون من الإرادة التكوينية وهو الوحي مادة الصلة بين الله وبين الناس بواسطة الأنبياء .

الثانية : قانون الوحي هو المصداق المتجدد لقوله تعالى ﴿وَفَخَّ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾^(١).

الثالثة : قانون الوحي مادة خلافة الإنسان في الأرض ، قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

ليكون من معاني رد الله عز وجل على الملائكة ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أن الله لا يترك الناس وشأنهم ، إنما يأمرهم وينهاهم بالوحي والتنزيل وبما فيه هدايتهم وصلاحهم .

وهذا التأويل للآية مستحدث هنا ، نعم بانتقال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى انقطع كل من :

الأول : النبوة ، قال تعالى ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^(٣).

(١) سورة السجدة ٩.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة الأحزاب ٤٠.

ومن علم الله تعالى في المقام بقاء آيات القرآن وأحكام الشريعة في الأرض سالمة من التحريف ووجود أمة واجيال متعاقبة تعمل بها إلى يوم القيامة وهو من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثاني : وحي النبوة .

الثالث : التنزيل :

الرابع : السنة القولية والفعلية.

وهو من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
ولكن القرآن وأحكامه وما فيه من الأوامر والنواهي باقية إلى يوم القيامة وهو من الشواهد على سلامته من التحريف والزيادة والنقصان .
والنسبة بين الوحي والتنزيل هو العموم والخصوص المطلق ، فكل تنزيل هو وحي وليس كل وحي هو تنزيل ، ويمكن تقسيم الوحي والتنزيل بلحاظ الفرق بين النبي والرسول .

فعدد الأنبياء هو مائة وأربعة وعشرون ألف نبي كل واحد منهم يأتيه الوحي من عند الله باليقظة أو المنام .

أما عدد الرسل هو ثلاثمائة وثلاثة عشر ، هم الذين جاءهم الوحي والتنزيل أو الصحف ، فأدم عليه السلام نبي رسول كما في حديث أبي ذر عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد أنزلت عليه عشرة صحف .

الوحي أول النزول

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الإعجاز في كيفية نزول الوحي عليه ، والمختار أن كل نبي يأتيه الوحي بكيفية خاصة ، وهو من عظيم قدرة الله وسعة سلطانه ، إذ ابتداء الوحي إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالرؤيا الصادقة ورآى وهو في غار حراء جبرئيل .

و(قال ابن إسحاق : وحدثني وهب بن كيسان مولى آل الزبير، قال سمعت عبد الله ابن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثي: حدثنا يا عبيد: كيف كان بدء ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين جاءه جبريل .

قال: فقال عبيد وأنا حاضر، يحدث عبد الله ابن الزبير ومن عنده من الناس: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في حراء في كل سنة شهرا يتحنث.

قال : وكان ذلك مما تحنث به قريش في الجاهلية، والتحنث: التبرر. فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه من المساكين، فإذا قضى جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به إذا انصرف من جواره الكعبة قبل أن يدخل بيته، فيطوف بها سبعا أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته. حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله به فيه ما أراد من كرامته من السنة التي بعثه فيها، وذلك الشهر رمضان، خرج إلى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد به جاءه جبريل بأمر الله تعالى.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فجاءني وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب، فقال: اقرأ. قلت: ما أقرأ ؟ قال: فغتنى حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال: اقرأ.

قلت: ما أقرأ ؟ قال: فغتنى حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني فقال: اقرأ. قلت: ما أقرأ ؟ قال: فغتنى حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني فقال: اقرأ. قلت: ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لى بمثل ما صنع

بى.

فقال ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(١). قال: فقرأتها ثم انتهى وانصرف عني، وهبت من نومي فكأنما كتب في قلبي كتابا.

قال : فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل.

قال: فرفعت رأسي إلى السماء، فأنظر فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل. فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر، وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء فما أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك.

فما زلت واقفا ما أتقدم أمامي وما أرجع ورائي حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي، فبلغوا مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك، ثم انصرف عني.

وانصرفت راجعا إلى أهلي حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذهما مضيفا إليهما، فقالت: يا أبا القاسم أين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا إلى ثم حدثتها بالذي رأيت فقالت: أبشر يا ابن العم واثبت، فوالذي نفس خديجة بيده إنني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة.

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال ورقة: قدوس قدوس، والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، وإنه لنبي هذه الأمة، وقولي له فليثبت^(١).

ليبان أن البشارات ببعثة نبي آخر الزمان وحلول زمانه شائعة في مكة وغيرها ، وهو من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأن تنتشر أخبار ثبوته ويتطلع الناس لها قبل بعثته ، وفيه تخفيف وعون للناس للإيمان ، ومدد سابق للبعثة النبوية ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ

الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٢).

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ١/ ٤٠٢ .

(٢) سورة النجم ٣-٤ .

وهل كانت مبادرة خديجة بالتصديق برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم معجزة له ، الجواب نعم ، لأنها تدرك من الشواهد القرينة صدق نبوته ، وقد لحق بها في الإسلام الفوري الإمام علي عليه السلام .
 وهل كان اسلامهما واقية من الضرر المترشح عن جحود وإرهاب أبي لهب عم النبي ، الجواب نعم ، فنزلت سورة كاملة في ذمه ، قال تعالى ﴿بَتَّ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾^(١).

ذهاب خديجة إلى ورقة

لقد كان الوحي أمراً عظيماً في نزوله وأثره على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى الناس ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿تُنذِرُ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾^(٢)، ليكون من معاني قوله تعالى ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٣)، أن الخشية عند تلقي نزول القرآن لا تختص بذات البقعة التي ينزل عليها القرآن بل تشمل الجبل كله ، مع أن الجبل جماد .
 ولم يرد لفظ (على جبل) في القرآن إلا في الآية أعلاه .

فمن باب الأولوية يكون أثر نزول الوحي على النبي عظيماً عليه وعلى غيره ممن حوله فتلقت خديجة ما رزق الله عز وجل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم من المرتبة السامية ، وما ظهر عليه من الآثار ، بالرضا والغبطة والتصديق .

(١) سورة المسد ١-٥ .

(٢) سورة الشورى ٧ .

(٣) سورة الحشر ٢١ .

وأخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم خديجة بأمر الوحي ، وفي التنزيل ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبُ لَاسْتَكْرَثْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(١).

عندئذ نهضت خديجة لتذهب إلى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها اعتزل الأوثان قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وامتنع عن أكل ما يذبحون لها ، وتنصر ، وقرأ الكتب ، وما كتب أهل الكتاب من الأخبار والمغيبات ، وقال ورقة بن نوفل :

إن بك حقاً يا خديجة فاعلمي ... حديثك إيانا فأحمد مرسل
وجبريل يأتيه وميكال معهما ... من الله وحي يشرح الصدر منزل
يفوز به من فاز فيها بتوبة ... ويشقى به العاتي الغوي المضلل
فريقان منهم فرقة في جنانه ... وأخرى بأحواز الجحيم تغلل
إذا ما دعوا بالويل فيها تتابعت ... مقاطع في هاماتهم ثم من عل
فسبحان من تهوى الرياح بأمره ... ومن هو في الأيام ما شاء يفعل
ومن عرشه فوق السموات كلها ... وأقضاؤه في خلقه لا تبدل
وقال ورقة في ذلك أيضاً:

يا للرجال لصرف الدهر والقدر ... وما لشيء قضاءه الله من غير
حتى خديجة تدعوني لأخبرها ... وما لها بخفي الغيب من خبر
جاءت لتسألني عنه لأخبرها ... أمراً أراه سيأتينا الناس من آخر
فخبرني بأمر قد سمعت به ... فميا مضى من قديم الدهر والعصر
بأن أحمد يأتيه فيخبره ... جبريل إنك مبعوث إلى البشر
فقلت على الذي ترجين ينجزه ... لك الإله فرجي الخير وانتظري
وأرسله إلينا كي نسأله ... عن أمر ما يرى في النوم والسهر
فقال حين أتانا منطقاً عجباً ... يقف منه أعالي الجلد والشعر
إني رأيت أمين الله واجهني ... في صورة أكملت في أهيب الصور

ثم استمر فكاد الخوف يذعرنني ... مما يسلم ما حولي من الشجر
فقلت ظني وما أدري أصدقني ... أن سوف يبعث يتلو منزل السور
وسوف أبليك إن أعلنت دعوتهم ... من الجهاد بلا من ولا كدر^(١).

لماذا الذهاب إلى ورقة

لقد كانت طائفة من العرب وغيرهم قبل الإسلام على الحنيفية ، دين إبراهيم عليه السلام ولم تتبع الشيطان ولم تعبد الأصنام وهم طلاب الدين ومنهم (حبيب النجار ، وقيس بن ساعدة، وزيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل، والبراء السندي، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وبحيرا^(٢) الراهب.

ووفد النجاشي. آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه، فمنهم من أدركه وتابعه ، ومنهم من لم يدركه^(٣).

وقيل كان عبد الله والد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأجداده ، ووالدته آمنة بنت وهب على دين إبراهيم أيضاً ، وهو المختار .

ومن الشواهد عليه قوله تعالى ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَبَّلَكَ فِي

السَّاجِدِينَ﴾^(٤).

و(عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لخديجة : إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء .

فقالت ما يفعل الله بك إلا خيرا فوالله إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث قالت خديجة : فانطلقنا إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى هو ابن عم خديجة .

فأخبره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما رأى فقال له ورقة : إذا

(١) السيرة لابن إسحاق ٤٠/١.

(٢) في الأصل (يحيى الراهب) .

(٣) الثعلبي / الكشف والبيان ١٤٩/١ .

(٤) سورة الشعراء ٢١٨-٢١٩ .

أتاك فاثبت له حتى تسمع ما يقول ثم أتييني فأخبرني فلما خلا ناداه يا محمد قل له ذلك .

فقال له أبشر ثم أبشر فأنا أشهد أنك الذي بشر به ابن مريم وأنتك على مثل ناموس موسى وأنتك نبي مرسل وأنتك سوف تؤمر بالجهاد بعد يومك هذا ولئن أدركني ذلك لأجاهدن معك .

فلما توفي ورقة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لقد رأيت القس في الجنة عليه ثياب الحرير لأنه آمن بي وصدقني يعني ورقة .
وروي أن ورقة قال في ذلك :

فإن يك حقاً يا خديجة فأعلمي ... حديثك إيانا فأحمد مرسل
وجبريل يأتيه و ميكال معهما ... من الله وحي يشرح الصدر منزل
يفوز به من فاز عزا لدينه ... ويشقى به الغاوي الشقي المضلل
فريقان منهم فرقة في جنانه ... وأخرى بأغلال الجحيم تغلغل^(١) .
وفي ذهاب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى ورقة بن نوفل
مسائل :

الأولى : شهادة ورقة بن نوفل على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وفيه حجة على أهل مكة إذ كانوا يقرون لورقة بمعرفة التوراة والإنجيل ،
وقيل هو المقصود بالعلم بالكتاب في قوله تعالى ﴿ كُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾^(٢) ، وموضوع الآية أعم وهي مكة .
(وعن أبي عمر زاذان عن ابن الحنفية { وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ } قال :
هو علي بن أبي طالب)^(٣) .

الثانية : منع قريش من إيذاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ،

(١) الطبرسي / مجمع البيان ٣٥٥/١٠ .

(٢) سورة الرعد ٤٣ .

(٣) الثعلبي / الكشف والبيان ٣٠٠/٧ .

ومع هذه الشهادات فانهم نعتوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالسحر والجنون.

الثالثة : بعث السكينة في قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وفي التنزيل ﴿قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي﴾^(١).

الرابعة : ذهاب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى ورقة بن نوفل في بداية الوحي ، وما له من الثقل وشدة الوطئ ، قال تعالى ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^(٢).

الخامسة : في عرض النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم علامات ودلائل نبوته على ورقة بن نوفل وجوه :

الأول : إعلان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لبعثته وأنه نبي آخر الزمان الذي بشرت به الكتب السماوية السابقة.

الثاني : دعوة للناس للتصديق برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثالث : إنه شاهد على ابتداء النبي محمد دعوته بأهل العلم والمعرفة ، وهو من مصاديق صبغة العلم في التنزيل إذ كانت أول آية أنزلت على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾^(٣).

الرابع : إقامة الحجة على ورقة بن نوفل ، وعلى كفار قريش من باب الأولوية القطعية .

الخامس : جعل أهل المعرفة دعاة لرسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

(١) سورة البقرة ٢٦٠ .

(٢) سورة الحشر ٢١ .

(٣) سورة العلق ١-٢ .

وسلم .

السادس : ذهاب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لورقة بن نوفل من مصاديق قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١) ، وصحيح أن هذه الآية مدنية ، ونزلت في غدير خم عند بيعة الغدير للإمام علي عليه السلام إلا أن موضوعها أعم ، وليبان قانون الأثر الرجعي للآية القرآنية مع الشواهد .

السابع : تثبيت خديجة بنت خويلد في مقامات الإيمان ، وتسخيرها أموالها في الدعوة إلى الله خاصة وأنها تثق بما عند ابن عمها ورقة بن نوفل من علوم الأولين .

ولتمر الأيام فتدخل خديجة في شعب أبي طالب مع بني هاشم وبني المطلب في الحصار الشديد الذي فرضه رجالات قريش عليهم .

الثامن : غلق الباب بوجه الذين يدعون النبوة زوراً ، خاصة وقد شاع بأن هذا الزمان هو زمان بعثة نبي آخر زمان ، وفي مكة .

التاسع : قطع الطريق أمام الذين كانوا يظنون أن النبوة ستأتيهم . فقد استبان الحق ونزل الملك على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على نحو التعيين ، والخيرة لله عز وجل ، قال تعالى ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾^(٢) .

و(عن ابن عباس قال : لما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم رسولاً أنكرت العرب ذلك ، ومن أنكر منهم قالوا : الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً مثل محمد ، فأنزل الله ﴿كَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾^(٣) ، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾^(١) .

(١) سورة المائدة ٦٧ .

(٢) سورة البقرة ٢١٠ .

(٣) سورة يونس ٢ .

فلما كرر الله عليهم الحجج قالوا : وإذا كان بشراً فغير محمد كان أحق بالرسالة ﴿لَوْ أَنزَلْ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(١) يقولون : أشرف من محمد يعني الوليد بن المغيرة من مكة ، ومسعود بن عمرو الثقفي من الطائف ، فأنزل الله ردأ عليهم ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾^(٢) ^(٣) ^(٤) .
والمراد من القريتين : مكة والطائف .

وفي حديث طويل عن الإمام الحسن العسكري أنه سأل أباه الإمام الهادي عليه السلام : هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يناظر ويحاج المشركين وأهل الكتاب قال الإمام الهادي (بلى مرارا كثيرة منها: ما حكى الله من قولهم : ﴿وَقَالُوا مَا لَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَنْشِئُ فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾^(٥) إلى قوله ﴿رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ .

﴿لَوْ أَنزَلْ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(٦)
﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تُفْجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾^(٧) إلى قوله ﴿كَآبًا تَقْرُوءُ﴾^(٨) .

ثم قيل له في آخر ذلك : لو كنت نبيا كموسى لنزلت علينا الصاعقة في مسألتنا إليك ، لان مسألتنا أشد من مسألة قوم موسى لموسى .
قال : وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان قاعدا ذات يوم بمكة

(١) سورة الأنبياء ٧ .

(٢) سورة الزخرف ٣١ .

(٣) سورة الزخرف ٣٢ .

(٤) الدر المنثور ٢٠٨/٥ .

(٥) سورة الفرقان ٧ .

(٦) سورة الزخرف ٣١ .

(٧) سورة الإسراء ٩٠ .

(٨) سورة الإسراء ٩٣ .

بفناء الكعبة إذ اجتمع جماعة من رؤساء قريش منهم: الوليد بن المغيرة المخزومي، وأبوالبختري بن هشام وأبوجهل بن هشام، والعاص بن وائل السهمي، وعبدالله بن أبي امية المخزومي، وكان معهم جمع ممن يليهم كثير، ورسول الله صلى الله عليه وآله في نفر من أصحابه يقرأ عليهم كتاب الله ويؤدي إليهم عن الله أمره ونهيه.

فقال المشركون بعضهم لبعض : لقد استفحل أمر محمد، وعظم خطبه...الحديث).

السادسة : في رواية أن خديجة ذهبت بمفردها إلى ورقة بن نوفل ابتداءً منها لتخبره عن علامات الوحي خاصة وأنه قرأ التوراة والإنجيل وتنصر . ولا يحتاج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذهاب إلى ورقة ولكنه لإقامة الحجة والشاهد على صدق نبوته ، وفيه تخفيف عنه وعن أهل البيت ، ودعوة للناس لدخول الإسلام .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه حُبب إليه الخلا والإنفراد عن الناس في غار حراء في ليال ذات عدد فكانت بداية الوحي . والغار : الفجوة في الجبل ، وإذا اتسع سُمي كهفاً ، وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يتزود بالطعام والماء ويخرج إلى الغار يتعبد الليالي ذوات العدل من شهر رمضان ، ومعنى ذات العدد قبل العبث النبوية أي ليال معدودة يحددها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ويبلغ ارتفاع الجبل عن سطح البحر نحو ٦٣٤ م وترى منه أبنية مكة .

و(قال ورقة : هذا والله الناموس الذي انزل على موسى وعيسى عليهما السلام ولاني أرى في المنام ثلاث ليال أن الله أرسل في مكة رسولا اسمه محمد وقد قرب وقته، ولست أرى في الناس رجلا أفضل منه، فخرج صلى الله عليه وآله إلى حراء فرأى كرسيًا من ياقوتة حمراء، مرقاة من زبرجد، ومرقاة من لؤلؤ ، فلما رأى ذلك غشي عليه .

فقال ورقة: يا خديجة فإذا أتته الحالة فاكشفي عن رأسك، فإن خرج فهو ملك، وإن بقي فهو شيطان، فنزعت خمارها فخرج الجائي، فلما اختمرت

عاد، فسأله ورقة عن صفة الجائي فلما حكاها قام وقبل رأسه وقال: ذاك
الناموس الاكبر الذي نزل على موسى وعيسى عليهما السلام.
ثم قال: أبشر فإنك أنت النبي الذي بشر به موسى وعيسى عليهما
السلام وإنك نبي مرسل، ستؤمر بالجهاد .
فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى ليتني فيها جذعا أكون
حيا حين يخرجك قومك.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أومخرجي هم .
فقال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي، وإن يدركني
يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا^(١).

وتوجه نحوها وأنشأ يقول: فإن يك حقايا خديجة فاعلمي حديثك إيانا
فأحمد مرسل وجبريل يأتيه وميكال معهما من الله وحي يشرح الصدر
منزل يفوز به من فاز عزا لدينه ويشقى به الغاوي الشقي المضلل فريقان
منهم: فرقة في جنانه واخرى بأغلال الجحيم تغلل ومن قصيدة له :
يا للرجال لصرف الدهر والقدر ... وما لشئ قضاء الله من غير
حتى خديجة تدعوني لاخبرها ... وما لنا بخفي العلم من خبر.
فخبرني بأمر قد سمعت به ... فيما مضى من قديم الناس والعصر
بأن أحمد يأتيه فيخبره ... جبريل أنك مبعوث إلى البشر
ومن قصيدة له :

فخبرنا عن كل خير بعلمه ... وللحق أبواب لهن مفاتيح
وإن ابن عبد الله أحمد مرسل ... إلى كل من ضمت عليه الاباطح
وظني به أن سوف يبعث صادقا ... كما ارسل العبدان نوح وصالح
وموسى وإبراهيم حتى يرى له ... بهاء ومنشور من الذكر واضح^(٢).
و(عن جابر بن عبد الله قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يحدث

(١) تفسير ابن كثير ٤٣٦/٨.

(٢) البحار ١٩٤/١٨.

عن فترة الوحي فقال في حديثه : فبينما أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسي ، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض ، فجثيت منه رعباً ، فرجعت فقلت : زملوني ، زملوني . فدثروني ، وأنزل الله سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾^(١) إلى قوله سبحانه ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾^(٢).

قبل : أن تفرض للصلاة ، وهي الأوثان ، ثم كان ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن بعد اقرأ والمدثر ، {وَالْقَلَمُ} إلى قوله : ﴿وَأَنْتَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣) ثم {وَالضُّحَى} ^(٤).

السابعة : تصديق ورقة للوحي في بداياته دعوة للناس للتصديق بنزول القرآن من عند الله عز وجل .

الثامنة : بيان مصاحبة النصر للنبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم من بدايات الوحي ، وقرار ورقة بن نوفل بالوحي إلى النبى محمد وأنه نبى آخر زمان حجة وتخفيف عن الناس ، وتثبيت لقلب النبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وترغيب للناس بدخول الإسلام ، قال تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾^(٥).

و(عن خباب بن الأرت قال شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له عند الكعبة أن يدعوا الله لنا قلنا ألا تستنصر لنا قال فجلس مغضباً محمراً وجهه .

فقال كان الرجل من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على مفرق

(١) سورة المدثر ١ .

(٢) سورة المدثر ٥ .

(٣) سورة القلم ٤ .

(٤) الثعلبي / الكشف والبيان ١٥٦/١٤ .

(٥) سورة الفرقان ٣٢ .

رأسه فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم أو عصب ولينصرن الله هذا الدين حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون^(١).

التاسعة : إعلان وشهادة ورقة بن نوفل محمد صلى الله عليه وآله وسلم من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾^(٢) ، وتحييد لكثير من الناس ، ومنعهم من مؤازرة كفار قريش في محاربة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

العاشرة : لقد كان أهل الكتاب يتوارثون أنباء بعثة نبي آخر الزمان ، وأنه حان أوانها ، وقد يأتي من يدعي النبوة ، أو يقوم بعض أهل الكتاب بتكذيب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وذكر علامات أخرى لخاتم النبيين .

فجاءت شهادة وإقرار ورقة بن نوفل واقية من الدعوة الزائفة للنبوة ، ومن افتراء وتكذيب بعضهم للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
الحادية عشرة : قانون الذكر الحسن لمن عضد نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآله وسلم وأعانه ونصره ، فيتوارث المسلمون خبر تصديق ورقة بن نوفل لرسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما فيها من الدعوة العامة للإنصاف لآيات القرآن .

الثانية عشرة : إيجاد مادة وموضوع لتحريض بني هاشم وبني المطلب لنصرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وتحمل الأذى في نصرته والذب عنه ، فلم تمر الأيام حتى فرض رجال قريش حصاراً اجتماعياً واقتصادياً عليهم استمر لثلاث سنوات ، وتحمله مؤمنهم وكافرهم بصبر.



(١) جمهرة الأجزاء ٢٨/١ .

(٢) سورة المدثر ٣١ .

الملازمة بين الوحي والتبليغ

من خصائص النبي محمد أمور :

الأول : قانون سبق البشارات بنبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثاني : وجود أفراد ذوي وثاقة عند الناس يشهدون بصدق نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم حالما نزل عليه الوحي .

الثالث : بعث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للنهوض بأعباء الرسالة من بدايات الوحي ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(١).

وصحيح أن هذه الآية مدنية ، ومن سورة المائدة وهي من أواخر سور القرآن نزولاً ، ونزلت في بيعة الغدير إلا أن هذا لا يمنع من المعنى الأعم للآية .

ومن بدايات الوحي لوحدة الموضوع في تنقيح المناط ، وللاستصحاب القهقري ، وان لم نقل به في علم الأصول ، ولكنه جار في آيات القرآن مع الدليل والإمكان وانتفاء المعارض .

الرابع : تجلي شواهد حسية على فضل الله بتهيئة مقدمات الرسالة والتبليغ .



قانون الوحي معجزة

من خصائص الوحي أنه سور جامع في باب المعجزة للأنبياء جميعاً ، فكل نبي يأتيه الوحي من عند الله ، نعم الوحي من الكلي المشكك في كفيته وكمه ، وقد اختص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بملازمة الوحي له من جهات :

الأولى : مجئ الملك بالتنزيل وآيات القرآن .

الثانية : يأتي الملك بالسنة النبوية

الثالثة : الوحي من عند الله بوسائط وفيض من عند الله ، وفي التنزيل

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾^(١).

وكانت معجزات الأنبياء السابقين في الغالب حسية آمن بها الذي حضرها وشاهدها ، أما معجزة القرآن فهي الوحي والتنزيل الذي تبقى إطلالته وإشراقاته بالقرآن وأسراره وبلاغته وعلومه إلى يوم القيامة ، وفيه دلالة وبرهان على عظمة الإسلام والإرتقاء الفكري عند المسلمين والمجتمع الذي نزل فيه الوحي ، لأن الوحي وآيات القرآن أثبتت معجزات الأنبياء تأكيداً وتوثيقاً كسفينة نوح ، وناقة صالح ، ونجاة إبراهيم ، وعصا موسى ، وعصمة يوسف ، والآيات التي جاء بها عيسى عليه السلام .

لذا يمكن استقراء إعجاز قرآني وقانون وهو : بنزول القرآن ظلت معجزات الأنبياء معروفة وحاضرة .

وبين الإعجاز والوحي عموم وخصوص مطلق ، فكل وحي إعجاز وليس كل إعجاز هو وحي ، مع عدم إمكان التفكيك بينهما ، وكل واحد منهما شاهد صدق ودليل ومتمم للآخر .

والوحي من عالم الأمر ، وفيه شاهد على علو مرتبته ، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : أوتيت جوامع الكلم وخواتيمه^(١) .

(١) سورة المدثر ٣١ .

ويمكن معرفة المقصود من اللفظ بلحاظ القرائن والأمارات وهل المقصود من قوله صلى الله عليه وآله وسلم "أوتيت" خصوص القرآن أم يشمل الأحاديث النبوية وما فيها من علوم الغيب وجزالة المعاني مع إعجاز ووضوح اللفظ ، الجواب هو الثاني .

وفيه تأكيد لإرتقاء القرآن على الكتب السماوية الأخرى ، واستغراق علومه في عالم الملكوت وهو كمال حقيقي وتحصيل في العلوم يترشح عنه إنطباقاً للإيمان واليقين ، وترجمة واقعية لعالم الغيب بالدليل والبرهان ، وإستدلال بالشاهد الحسي على الغائب العقلي .

والوحي عنوان القدرة الالهية ، وكلام الله تعالى غير منحصر بالأصوات والحروف أو الالفاظ أو المعاني والأعراض ، لذا قيل بأن نزول الوحي إنما هو مجاز ، ولكنه حقيقة عقائدية ورحمة عامة ، ونعمة على الأنبياء وبواسطتهم الناس جميعاً ، وفيه شاهد على اختصاص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالوحي الذي هو معجزة عقلية وحسية حاضرة .

وفسر المعتزلة الوحي بأن الله يخلق أصواتاً وحروفاً على لسان جبرئيل لأن الله عز وجل سمى القرآن بأنه كلامه ، قال تعالى ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢) .

وقال الأشاعرة بأن الله يخلق في اللوح المحفوظ كتابة فيقرأها الملك ويحفظها ، وتارة تكون أصواتاً في جسم معين يأخذها جبرئيل مع علم ضروري بأنها كلام الله .

والمختار أن هذا القول صحيح ، وتبقى كيفية وطرق الوحي متعددة ، وأكثر وأخف من أن تحيط بها أوهام البشر .

(١) الدر المنثور ٥/ ٣٦٧ .

(٢) سورة التوبة ٦ .

وهل الكلام مصدر، أم اسم مصدر، والأول ما دل على الحدث مثل تكليم مصدر كلم، والثاني ما دل على لفظ، وهذا اللفظ يدل على الحدث ، مثل كلام اغتسال المصدر ، والغسل اسم مصدر.

والكلام اسم مصدر ، وهو لغة الأصوات والحروف المتتابعة الصادرة من المتكلم، وعند جماعة من النحويين المركب من المسند والمسند إليه، والحروف المنتظمة والأصوات المسموعة.

ومنهم من جعله المعنى القائم في نفس المتكلم ، ويبرز إلى الخارج بالحروف والأصوات المسموعة .

وأكثر المتكلمين على الأول، والنزاع صغروي لأن تلك الحروف لا تصدر من المتكلم الا على نحو الإخبار والبيان لما يريد وما قام في نفسه، لذا اختلف في إطلاق الكلام على المعاني النفسانية .
وهل هو إطلاق حقيقي أم مجازي، الأرجح هو الثاني.

ذم تحريف الكتب السماوية

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ذم التحريف ووقف هذا التحريف ، وهذا الوقف بضبط آيات القرآن وعصمتها من التحريف ، ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم اجتهاده من أجل إستدامة هذه العصمة .

وحرص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على إمامة الصلاة خمس فرائض في اليوم وكان يتلو القرآن ، وفيه ترغيب ودعوة لحفظ آيات القرآن والتدبر في معانيها ودلالاتها.

ومن خصائصه أنه كان يأمر ومن بداية التنزيل بكتابة القرآن فيكتب في الرقاع والأكتاف والخاف وهي الحجارة الرقاق البيض ، وفي العصب أي جريد النخل ، ويكتبون على الجلد .

وقد أمر أبو بكر زيد بن ثابت بكتابة القرآن ، وقال زيد (فجعلت أتبع القرآن من صدور الرجال ومن الرقاع ومن الأضلاع ومن العصب قال ففقدت آية كنت أسمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أجدها

عند أحد فوجدتها عند رجل من الأنصار (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر).
فألحقها في سورتها فكانت تلك الصحف عند أبي بكر حتى مات ثم كانت عند عمر حتى مات ثم كانت عند حفصة^(١).

ولقد ذم الله عز وجل الذين ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾^(٢) أي يميلونه عنها ويغيرونه لفظاً ومعنى، أو هما معاً، ويحملونه على خلاف الظاهر وما تدل عليه القرائن، لقد سعوا في كتم البشارات برسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم التي جاءت بها الكتب السماوية السابقة وأرادوا كتم الحقيقة بتغيير المعنى والتأويل.

ومما هو متسالم وثابت واقعاً ووجداناً أن القرآن باق إلى يوم القيامة، والبقاء لا يكون تاماً إلا بحفظ الأجزاء والمفردات والكلمات وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين في أجيالهم المتعاقبة بذلوا الوسع بتعاهد قانون جعل القرآن أسمى تركة متوارثة.

ومن معاني قوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَّلْنَا الذِّكْرَ وَأَنَا لُحَافِظُونَ﴾^(٣) أنه وعد كريم وبشارة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين، وطمأنينة عامة من تلاعب أهل البدع بالقرآن من بعده، ولابد من إعداد دراسة خاصة تتعلق بما تتضمنه السنة النبوية الشريفة بخصوص تعاهد القرآن وحفظ آياته وكلماته، وفي جمعه وسلامته من التحريف والتغيير لكي يبقى محفوظاً إلى يوم القيامة.

(١) أبو عمرو الداني توفي سنة ٤٤٤ هجرية / المقتع في رسم مصاحف الأمصار ١/١ .

(٢) سورة النساء ٤٦.

(٣) سورة الحجر ٩.

النسبة بين الخلافة والوحي

لقد رزق الله عز وجل الإنسان منزلة لم ينلها أي جنس من الخلائق بما فيهم الملائكة ، وهي مرتبة الخلافة في الأرض ، قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١) ثم توالى النعم على آدم منها تعليم الله عز وجل له الأسماء والاحتجاج به على الملائكة ، والأمر من الله للملائكة بالسجود له .

ويمكن إستقراء مسائل من خلافة آدم في الأرض ، منها :
الأولى : قانون الملازمة بين الخلافة والوحي بلحاظ أمرين :
الأول : النبي هو الخليفة .

الثاني : الخلافة أعم ، ولكن الوحي خاص بالأنبياء ، لأنهم أئمة الناس في سبل الهدى ، قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾^(٢) .

الثانية : مراحل الوحي إلى الأنبياء واختتامه بالقرآن الكتاب الجامع لأحكام الشريعة ، والسالم من المعارضة ، والممتنع عن التحريف وفيه شاهد على تفضيل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الأنبياء السابقين .

الثالثة : تثبيت الخلافة في الأرض بالوحي والتنزيل ، وتعاهد المسلمين للوحي بالتصديق والعمل بمضامينه القدسية ، وهو من عمومات قوله تعالى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^(٣) .

الرابعة : الوحي بيان وتفسير لمعاني الخلافة في الأرض ، وأن الله عز وجل لم يترك الناس وشأنهم في الأرض ، بل جعل صلة قدسية بينه وبينهم ،

(١) سورة البقرة ٣٠ .

(٢) سورة الأنبياء ٧٣ .

(٣) سورة آل عمران ١١٠ .

وتفضل وأمر الملائكة بالنزول بالوحي إلى الأنبياء ، قال تعالى ﴿أَيُحْسَبُ
الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾^(١) لبيان قانون توجه الأوامر والنواهي
وقانون الحساب يوم القيامة .

وقد وردت مادة (وحي) في القرآن ثماني وسبعين مرة ، وهو عدد ليس
بقليل ، لتكون فيه موعظة ، ومناسبة لإستنباط المسائل والبراهين من القرآن
وكلها في الوحي إلى الأنبياء بإستثناء عدد قليل منها ، مثل قوله تعالى
﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾^(٢).

وموضع نزول أول الوحي الى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم
وهو غار جبل حراء والذي يقع على نحو ثلاث كيلو مترات من المسجد
الحرام من جهة الشمال ويطل على منى ، ويكون على يسار المتوجه إلى
عرفات.

وعن أنس بن مالك: قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:
لما تجلّى الله عز وجل للجبل ، طارت لعظمته ستة أجبل ، ف وقعت ثلاثة
بالمدينة ، وثلاثة بمكة ، ووقع بالمدينة أحد ، وورقان ورضوى ، ووقع بمكة
حراء وبشير وثور .

أي التجلي في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ
صَعْقًا﴾^(٣).

وسمي حراء جبل النور لنزول أول سورة من القرآن على النبي حينما
كان يتعبد في غار في الجبل ، وفي الغار مكان يجلس فيه إنسان وتصير الكعبة
أمامه.

(١) سورة القيامة ٣٦.

(٢) سورة النحل ٦٨.

(٣) الخصائص الكبرى ١٨٤/١.

لقد ورد عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة^(١).

السنة النبوية وهي

من آيات الله في العالمين ومعجزة النبوة الكيفية المتعددة والقاهرة التي يتلقى بها الأنبياء الوحي ، وتبليغه وترسيخه في الأرض وما انفرد به النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الباب واستحق شرف الإرتقاء والسيادة في التبشير والإنذار.

وينفرد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأن سنته وحي ، سواء كانت السنة القولية أو الفعلية ، لذا تفضل الله تعالى وقال ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٢) ويتوجه الخطاب في الآية أعلاه لأجيال المسلمين والمسلمات المتعاقبة ، وفيه دعوة سماوية لتوثيق السنة النبوية .

وعن علقمة (قال : قال عبدالله بن مسعود : لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن^(٣) ، المغيرات لخلق الله . فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب ، فجاءت إليه فقالت : إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت ، قال : وما لي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو في كتاب الله .

(١) سورة النساء ١٦٣.

(٢) سورة الحشر ٧.

(٣) المتفلجات : جمع متفلجة ، وهي التي تعمل فرجة بين أسنانها بواسطة آلة كالمبرد أو تقوم بفعله لغيرها من أجل إظهار الحسن .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان أفلج ، (وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلج الثنتين إذا تكلم رؤي كالنور يخرج من بين ثناياه) الخصائص الكبرى ١٠٨/١.

قالت : لقد قرأت ما بين الدفتين فما وجدت فيه شيئاً من هذا قال : لئن كنت قرأته لقد وجدته أما قرأت ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١) قالت : بلى ، قال : فإنه قد نهى عنه والله أعلم^(٢).

لقد رزق الله عز وجل الإنسان منزلة لم ينلها أي جنس من الخلائق بما فيهم الملائكة ، وهي مرتبة الخلافة في الأرض ، قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

ثم توالى النعم على آدم عليه السلام منها تعليم الله عز وجل له الأسماء والإحتجاج بها على الملائكة لبيان أهليته للخلافة في الأرض ، والأمر من الله للملائكة بالسجود له .

أقسام وكيفية الوحي للأنبياء

للوحي كفيات متعددة يمكن إستقراؤها من السنة وتتبع الأخبار والنصوص منها :

- الأول : أن يأتي الملك للنبي في المنام (لأن رؤيا الأنبياء وحي)^(٤).
- الثاني : أن ينثف الملك في روع النبي الكلام نفثاً ، كما ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم : أن روح القدس نفث في روعي^(٥).
- الثالث : أن يأتي الملك للنبي مثل صلصلة الجرس لما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : اسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك ، فما من مرة يوحى إلي إلا ظننت أن نفسي تقبض^(٦).

(١) سورة الحشر ٧.

(٢) الدر المنثور ٩/٤٥٩.

(٣) سورة البقرة ٣٠.

(٤) الطوسي / الأمالي ١/٣٨٤ .

(٥) تفسير القرطبي ١٦/٤٨.

والصلصلة الصوت أي مثل صوت الجرس.

ليان مقدمة الوحي وثقله وحضور الملك وإخباره بما جاء به من عند الله ليفرغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قلبه له، "وقيل هو صوت خفق أجنحة الملك وأنه ينزل هكذا اذا نزلت آية وعيد وتهديد^(١)، وهو تأويل حسن، ولكن الأمر أعم مما ذكر لتعلقه بخصوصية الوحي وإختلافه عن نوااميس الأرض والتعامل بين أهلها، إنها سنخية السماء التي لا تتصل ولا تنفصل عن الموجود الأرضي إلا باحتكاك وحال لا يخفى معها عدم التجانس رغم سلامة توجهه إلى الغاية، والقصد الذي لا يمكن أن يخطئه.

والنفث شبيه بالنفخ ولكنه بحروف مميزة وهو أقل من التفل لأن التفل لا يكون إلا ومعه شيء من الريق، والنفث نفخ لطيف بلا ريق، ويمكن القول أنه في الإصطلاح القاء المعنى في القلب بما يوقعه في البال ويكون مبيناً عند المتلقي.

الرابع : أن يسمع النبي الصوت من غير أن يرى الملك.

الخامس : يسمع الرسول الصوت ويرى الملك في صورة رجل بهي الطلعة، وقد ورد عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول^(٢)، وتلك الحالة يختص بها الرسول دون النبي.

السادس : رؤية الرسول للملك بهيئته الأصلية، وفي قوله تعالى ﴿كَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾^(٤) قال عبد الله بن مسعود : رأى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم جبريل له ستمائة جناح^(٥).

(١) تفسير ابن كثير ١٩٠/٧.

(٢) أنظر الإتيقان في علوم القرآن ١٥٠/١.

(٣) الدر المنثور ٨٣/٩.

(٤) سورة النجم ٩.

(٥) الدر المنثور ٣١٦/٩.

و(عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن ورقة بن نوفل قال: قلت: يا محمد كيف يأتيك الذي يأتيك؟ قال: يأتيني من السماء جناحاه لؤلؤ وباطن قدميه أخضر)^(١).

وعبد الله ابن عباس لم يسمع عن ورقة بن نوفل ، الذي هو متقدم في زمانه على ابن عباس ، ولم يرد في الأخبار أن ورقة بن نوفل قد أسلم ، وإن شهد للنبي محمد بصدق نوبته .

وقال ورقة بن نوفل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي)^(٢) أي يعاديه الذين كفروا.

إسلام طفيل الدوسي

(عن ابن إسحاق قال : كان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث أنه قدم مكة ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بها، فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطفيل شريفاً شاعراً لبيباً.

فقالوا: يا طفيل، إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل بين أظهرنا، قد عضل بنا وفرق جماعتنا، وإنما قوله كالسحر، يفرق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبينه وبين زوجه، وإنما نخشى عليك وعلى قومك، فلا تكلمه ولا تسمع منه.

قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه، حتى حشوت أذني كرسفاً، فرقا أن يبلغني من قوله، وأنا أريد أن لا أسمعه. قال: فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائم يصلي عند الكعبة .

قال: فقمْتُ قريباً منه، فأبى الله إلا أن يسمعني قوله، فسمعت كلاماً حسناً .

(١) الإصابة في معرفة الصحابة ٢٤٣/٣ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣١٩/٣ .

قال: فقلت في نفسي: واثكل أمي! والله إني لرجل شاعر لبيب ما يخفى علي الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع هذا الرجل ما يقول! إن كان الذي يأتي به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته.

قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى بيته، فتبعته، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد، إن قومك قالوا لي كذا وكذا، ثم إن الله أبى إلا أن أسمع قولك، فسمعت قولاً حسناً، فاعرض علي أمرك.

قال: فعرض علي الإسلام، وتلا علي القرآن، وقال: فوالله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه، فأسلمت، وقلت: يا رسول الله، إني امرؤ مطاع في قومي، وأنا راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام، فادع الله أن يجعل لي آية، تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه فقال: اللهم اجعل له آية.

قال فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت بثينة تطلعتني على الحاضر، وقع نور بين عيني مثل المصباح.

فقلت: اللهم، في غير وجهي، فإني أخشى أن يظنوا أنها مثلة لفراقي دينهم.

فتحولت في رأس سوطي، فجعل الحاضر يتراءون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلق، وأنا أهبط إليهم من الشية، فلما نزلت أتاني أبي، وكان شيخاً كبيراً، فقلت: إليك عني أبة، فلست منك ولست مني.

قال: ولم، أي بني؟

قلت: إني أسلمت.

قال: أي بني، فديني دينك، فأسلم.

ثم أتتني صاحبتني، فقلت لها مثل ذلك، فأسلمت، وقالت: أيخاف علي من ذي الشرى - صنم لهم^(١) - فقلت: لا، أنا ضامن لذلك.

(١) لبيان خشية الناس في الجاهلية من سطوة الأصنام.

ثم دعوت دوساً فأبطئوا عن الإسلام، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، فقلت: يا رسول الله، إنه قد غلبني على دوس الزنا، فادع الله عليهم.

فقال: اللهم اهد دوساً، ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم.
قال: فرجعت، فلم أزل بأرض قومي دوس أدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة، وقضى بداراً وأحداً والخندق، ثم قدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمن أسلم معي من قومي، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخير، حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس، ثم لحقنا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخير، فأسهم لنا مع المسلمين.
ثم لم أزل مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى فتح الله، عز وجل، عليه مكة، فقلت: يا رسول الله، ابعثني إلى ذي الكفين - صنم عمرو بن حممة - حتى أحرقه.

فخرج إليه طفيل يقول وهو يحرقه، وكان من خشب: الرجز يا ذا الكفين لست من عبادك... ميلادنا أقدم من ميلادك
ثم رجع طفيل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكان معه بالمدينة، حتى قبض الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.
فلما ارتدت العرب خرج مع المسلمين مجاهداً أهل الردة حتى فرغوا من نجد، وسار مع المسلمين إلى اليمامة.

فقال لأصحابه: إني رأيت رؤيا فاعبروها، إني رأيت رأسي حلق، وأنه خرج من فمي طائر، وأنه لقيتني امرأة فادخلتني في فرجها.
وأرى ابني عمراً يطلبني طلباً حثيثاً، ثم رأيت حبس عني.
قالوا: خيراً،

قال: أما أنا فقد أولتها، أما حلق رأسي فقطعه، وأما الطائر فروحي، وأما المرأة التي أدخلتني في فرجها فالأرض تحفر لي، فأغيب فيها.

وأما طلب ابني لي ثم حبسه عني فإنني أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابني، فقتل الطفيل باليمامة شهيداً، وجرح ابنه عمرو بن الطفيل ثم عوفي، وقتل عام اليرموك^(١).

لقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه أنه رأى رؤيا بأنه يدخل وأصحابه المسجد الحرام.

فأعلن التوجه إلى مكة ، وصدهم المشركون عند الحديبية ، وتم صلح الحديبية ، وعندما رجع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من صلح الحديبية قال بعض الصحابة : لقد حدثنا بأنا سنطوف بالبيت الحرام ، فقال بلى ، ولم أخبركم أنا نأتيه بعامنا هذا ، وفي السنة الثانية وهي السابعة للهجرة تمت عمرة القضاء مصداقاً لرؤيا النبي .

ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بلحاظ الآية أعلاه :

الأول : قانون الرؤيا مدد من الله للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الثاني : قانون رؤيا النبي وحي .

الثالث : عمل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بمضمون الرؤيا مع ما فيها من الأخطار والأضرار ، لقانون امتثال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للأوامر الإلهية التي تأتي بالوحي .

خصائص النبوة الخاتمة في السور المكية

ومن الإعجاز اتصاف السور والآيات المكية التي نزلت على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مكة قبل الهجرة بأمور :

الأول : قصر الآيات مما ييسر حفظها والتفكر في معانيها ودلالاتها .

الثاني : تضمن السور المكية الإنذار والتخويف والوعيد للذين كفروا

منها قوله تعالى ﴿ الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ * يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴾^(١).

الثالث : دعوة السور المكية للتوحيد ، وبيانها لوجوب عبادة الله عز وجل ، ونبذ تقديس وعبادة الأوثان ، ومن مصاديق قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١)، أن ذم السور المكية لعبادة الأوثان بشارة فتح النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لمكة مسلماً ، قال تعالى ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾^(٢).

الرابع : تأكيد عالم الحساب والجزاء ، ومن مصاديق قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٣).

الخامس : توارث الأمم والشعوب قانون عالم الحساب والجزاء بعد الموت ، ويدل عليه الحوار الذي دار بين ابني آدم ، ومنه قول هابيل لأخيه ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمُكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾^(٤).

ثم توالي حمل الأنبياء ألوية التوحيد ، مع كثرة عددهم ، وتوزع أماكن بعثتهم بدقة ونظام من الإرادة التكوينية.

لتكون دعوة الأنبياء للتوحيد وما لاقوه من الأذى في سبيل الله ، ثم نصرهم من مصاديق أحسن القصص في قوله تعالى ﴿نَحْنُ نُقْصُصُ عَلَيْكَ

(١) سورة القارعة ١-٤ .

(٢) سورة آل عمران ١٨٩ .

(٣) أنظر الجزء السادس والعشرين بعد المائتين من تفسيري (معالم الإيمان) اختص بتفسير هذه الآية ، واستنباط القوانين والقواعد والسنن منها .

(٤) سورة النحل ٢٢ .

(٥) سورة البقرة ٣٠ .

(٦) سورة المائدة ٢٩ .

أَحْسَنَ الْقَصَصِ بَمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿١﴾.

وهل نصر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في معارك الإسلام الأولى نصر للأنبياء السابقين ، الجواب نعم ، وهو نصر للموحدين إلى يوم القيامة .

عصمة القرآن

قال تعالى ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ ﴿٢﴾.

العصمة لغة الحفظ والوقاية ، وفي مصطلح علم الكلام هي ملكة اجتناب المعاصي والخطأ والزلل .

وكما ذكرت في بحث سابق عصمة العبادات من التحريف ، وهذا شهر رمضان قال تعالى ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ ﴿٣﴾ ، وقول النبي (صلوا كما رأيتموني أصلي) و(لتأخذوا عني مناسككم) .
والإجماع على عصمة الأنبياء في تبليغ الوحي ، فلا يكذبون ولا يسهون ولا ينسون .

وفي الثناء على النبي محمد ، قال تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ ﴿٤﴾ وقال تعالى ﴿سَنُقَرِّكَ فَلَا تَنْسَى﴾ ﴿٥﴾ .

(١) سورة يوسف ٣ .

(٢) سورة فصلت ٤٢ .

(٣) سورة البقرة ١٨٥ .

(٤) سورة النجم ٣-٤ .

(٥) سورة الأعلى ٦ .

واختلف في عصمة الأنبياء قبل النبوة ، وفي فعل الصغائر بعدها ، والمختار صبغة الإطلاق في عصمة الأنبياء قبل النبوة وبعدها ، ومن الكبائر والصغائر ، وفي الوحي والأحكام التكليفية .

وموضوعنا هنا مستحدث ليس فيه اختلاف بين عامة المسلمين ، وكذا بين العلماء منهم .

وهو عصمة القرآن من التحريف ومن الزيادة والنقصان ، وهذه العصمة بآية وفضل ولطف من عند الله عز وجل .

وقد تجلّى الوعد من الله بتعاهد وحفظ وسلامة القرآن منها قوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُزَكِّي الدِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(١) .

والتحريف لغة هو الإمالة والعدول بالشئ عن موضعه ، وتحريف الكلام تغييره وتبديل معناه والقصد والغاية منه ، قال تعالى ﴿ يَحْرِفُونَ كَلِمًا عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾^(٢) بصيغة الغائب (يحرفون) لإرادة وقصد غير المسلمين .

ومنه تغيير صفة النبي التي وردت في البشارات به في الكتب السماوية السابقة .

ويتسالم المسلمون على حفظ الله عز وجل للقرآن ، وعدم طرو التحريف عليه ، وأجمع المسلمون على عدم وجود زيادة في القرآن فما بين الدفتين كله قرآن ، ولا عبرة بالقليل النادر والروايات ضعيفة السند ، والشاذة ، في وجود نقص في القرآن ، فما بين الدفتين هو الكتاب الذي أنزله الله عز وجل على النبي محمد من غير زيادة أو نقصان .

وهل من مصاديق قوله تعالى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾^(٣) تلاوة كل مسلم ومسلمة سور وآيات من القرآن في الصلاة اليومية وعلى نحو الوجوب العيني ، الجواب نعم .

(١) سورة الحجر ٩ .

(٢) سورة المائدة ١٣ .

وقبل سبع وعشرين سنة صدر لي الجزء الخامس من (معالم الإيمان) وفيه فصل بعنوان (سلامة القرآن من التحريف) وهذا الكتاب علم مستحدث اسمه خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أرجو أن يكون باكثر من جزء ببركة دعائكم .

(ولا أصل للقول بالنقص في القرآن : لقد تعاهد المسلمون القرآن حفظاً ودراسة وعناية، ومن إعجاز القرآن أن المسلمين في كل جيل يدركون أن من واجبهم حفظ القرآن، ومع أن الإعجاز في القرآن يتعدى موضوع البلاغة، فإن بلاغته وفصاحته تثبت بالواسطة أن يد التحريف لم ولن تصل إلى القرآن مع أن اللغة العربية مملوءة بالمشترك اللفظي ، والحقيقة والمجاز ، والتصريح والكناية)^(١).

وقال صاحب شرائع الإسلام (خصائص النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي خمسة عشر خصلة) وهو سهو من النساخ ، والصحيح خمس عشرة خصلة .

وتصل خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الكتاب إلى أكثر من مائة خصلة وبالشواهد من الكتاب والسنة والإجماع .

معجزة الصلة بين آيات القرآن

إجماع علماء الإسلام على إعجاز القرآن ، وليس من حصر لوجوه ومصاديق الإعجاز القرآني ، ومنها علم جديد أشرق بوضوح في هذا السفر المبارك من جهات :

الأولى : تضمن تفسير كل آية من القرآن علم الصلة بينها وبين الآيات المجاورة ، وهي على وجهين :

(١) سورة المدثر ٣١.

(٢) أنظر الجزء الخامس من كتابي (معالم الإيمان في تفسير القرآن) .

الأول : الصلة بين الآية محل البحث والآيات المجاورة السابقة لها ، وقد صدر بهذا الخصوص الجزء (١٢٥) بالصلة بين الآية (١٥٢) بالآية (١٥١) من سورة آل عمران .

الثاني : الصلة بين الآية محل البحث والآيات المجاورة التالية لها ، ، وقد صدر بهذا الخصوص الجزء (١٩٢) بالصلة بين الآية (١٨٠) بالآية (١٨١) من سورة آل عمران .

الثانية : صدور أجزاء متعددة لصلة آية من القرآن مع آيات مجاورة لها إذ صدرت ستة أجزاء من تفسيرنا كلها في صلة الآية (١١٠) بالآيات ٦٤-١٠٩ من سورة آل عمران ، وهذه الأجزاء هي (٧٦-٧٧-٧٨-٧٩-٨٠-٨١) .

الثالثة : تفسير آية من ست كلمات وهي قوله تعالى ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾^(١) ، بخمسة أجزاء من التفسير هي الجزء (١٠٥-١٠٦-١٠٧-١٠٨-١٠٩) .

الرابعة : الصلة بين كل آية من القرآن مع مجموع القرآن ، آية آية ، وفيه هداية للناس .

إن المسائل والقوانين من الصلة بين آيات القرآن أكثر من أن تحصى ، وفيها علوم مستحدثة في علم التفسير ، وتحليلات في دلالات كلام الله . وقد صدرت من تفسير (معالم الإيمان) أجزاء بهذا الخصوص لتكون نواة ومنهاجاً ابتدائياً للغوص في بحار وذخائر الصلة بين آيات القرآن ، وبيان ما خصّ الله عز وجل به النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم من كنوز التنزيل من بين الأنبياء ، وهذه الأجزاء هي : (٧٦-٧٧-٧٨-٧٩-٨٠-٨١-١٢٥-١٢٦-١٢٩-١٥١-١٩٢) .

وجرت عادة العلماء في تفسير آيات القرآن آية آية ابتداء من سورة الفاتحة ، ولكن علم الصلة بين الآيات خزائن وذخائر سماوية لم تفتح بعد ، ومنها ما يكون وفق المنهاج الآتي :

الأول : تفسير ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(١) ثم تفسير الجمع بينها وبين كل آية من آيات سورة الفاتحة ، وآيات سورة البقرة ، ثم آيات القرآن كلها .
الثاني : تفسير آية ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢) ثم التفسير بالجمع بينها وبين آيات سورة الفاتحة الباقية ، ثم آيات سورة البقرة آية آية وهكذا إلى آيات سورة الناس .

وكذا بالنسبة لآيات سورة الفاتحة آية آية ، وصلتها بآيات القرآن كلها مع استحضار أمهات القوانين في هذا السفر والتي صدرت بخصوص كل واحد منها أجزاء متعددة منه مثل قانون (لم يغز النبي (ص) أحداً) والذي صدرته بخصوصه تسعة وعشرون جزءاً .

وقانون (آيات السلم محكمة غير منسوخة) والذي صدر بخصوصه أحد عشر جزءاً وهي الأجزاء ٢٠٦-٢٠٧-٢٠٨-٢١٤-٢١٥-٢٣٣-٢٤٠-٢٤١-٢٤٢-٢٤٨-٢٦٠ .

وقانون (آيات الدفاع سلام دائم) والذي صدرت بخصوصه سبعة أجزاء وهي ١٤٢-٢٠٥-٢١٧-٢١٨-٢٣١-٢٣٢-٢٥٧ .

و(علم الإحصاء القرآني غير متناه) والذي صدرت بخصوصه ثلاثة أجزاء وهي ٢٤٥-٢٤٧-٢٥٨ وقانون (التضاد بين القرآن والإرهاب) وصدرت بخصوصه ثمانية عشر جزءاً .

وتدعو منهجيتها وقوانينها لاستنباط القواعد والسنن الدلالة والبراهين من علوم الصلة بين كل آيتين من القرآن وفق الكتاب والسنة واللغة .

الثالث : أخذ الحروف المقطعة من سورة البقرة وصلتها مع الآيات الأخرى .

الرابع : تفسير قوله تعالى ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٣) ،

(١) سورة الفاتحة ١ .

(٢) سورة الفاتحة ٢ .

(٣) سورة البقرة ٢ .

ويفتح هذا العلم الباب للعلماء في الأجيال اللاحقة لاستقراء المسائل والعلوم والتأويل من الصلة بين آيات الفاتحة وسورة البقرة وآيات السور القرآنية الأخرى سورة سورة إلى سورة الناس.

وصلة كل آية من القرآن مع كل آية أخرى فيه إلى آخر آيتين في نظم القرآن وهما ﴿الَّذِي يُسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾^(١)، إذ أن القرآن حرز من الجن وشرور وأذى الناس.

وتتجلى شهادة الصلة بين آيات القرآن على الإعجاز وتؤكد صدورها من عند الله مع إنتفاء الإضطراب والتزاحم أو التعارض بينها لفظاً ودلالة وحكماً.

قانون تثوير القرآن

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في بيان ونشر علوم وذخائر القرآن وجوه :

- الأول : قانون استدامة سلامة القرآن من التحريف^(٢).
- الثاني : قانون تعاهد المسلمين لعلوم القرآن ، والسعي في تثوير القرآن . وفي الحديث (أثيروا القرآن فإنه علم الأولين والآخرين وفي رواية أخرى : من أراد العلم فليثور القرآن)^(٣).
- ومن وجوه تثوير القرآن أمور :
- الأول : الإكثار من تلاوة القرآن .
- الثاني : الإحتجاج بآيات القرآن .
- الثالث : تدارس آيات القرآن .
- الرابع : إتخاذ القرآن دليلاً ومنهاجاً .
- الخامس : بيان علوم القرآن .

(١) سورة الناس ٥-٦.

(٢) تقدم ذكر هذا القانون في الجزء الخامس من (معالم الإيمان) .

(٣) تفسير القرطبي ٤٨٩/١ .

السادس : الغوص في خزائن القرآن ، وإظهار علومه ، ومنها ما يستقرأ من الصلة بين آيات القرآن .

لينفرد القرآن من بين الكتب السماوية باستقراء العلوم ، واستنباط المسائل والأحكام والقوانين من الصلة بين آياته ، وإن تعددت السور التي تجمع الآيات منها .

ويكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم جهاده سلماً في البيان اليومي لإعجاز القرآن واتخاذ هذا البيان وسيلة مباركة ودعوة للناس لدخول الإسلام .

وفي الشاء على القرآن ، قال تعالى ﴿ ذَلِكِ الْكِتَابُ لَارْتِبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾^(١) .

تسليم الحجر والشجر

من لطف الله عز وجل بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إكرامه بالنبوة ومقدماتها إصلاح لتلقي الوحي وثقل وطأة التنزيل ، قال تعالى ﴿ أَوَلَمْ نُنَزِّلْ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأُمُتَالِ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾^(٢) .

وليس من حصر لوجوه هذا الإصلاح وتهيئة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للرسالة ودعوة الناس لها بصبر وجد وإجتهد ، ومنها تكليم الجمادات له .

إذ كان الحجر يسلم عليه ، و(عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حِينَ أَرَادَهُ اللَّهُ بِكَرَامَتِهِ وَأَبْتَدَأَهُ بِالنَّبُوءَةِ كَانَ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ أَبْعَدَ حَتَّى تَحْسَرَ عَنْهُ الْبُيُوتُ وَيَفْضِي إِلَى شِعَابِ مَكَّةَ وَبُطُونِ

(١) سورة البقرة ٢ .

(٢) سورة الحشر ٢١ .

أُودِيَتْهَا ، فَلَا يَمُرُّ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِحَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ إِلَّا قَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

فِيَلْتَفَتُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَوْلَهُ وَعَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ وَخَلْفَهُ فَلَا يَرَى إِلَّا الشَّجَرَ وَالْحَجَارَةَ . فَمَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَذَلِكَ يَرَى وَيَسْمَعُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمُكُثَ ثُمَّ جَاءَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَا جَاءَهُ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ وَهُوَ بِحِرَاءٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ^(١).

(و) عن ابى الزبير عن جابر: لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه احد إلا عرف انه سلكه من طيب عرفة^(٢).

وهل كلام الحجر من خلق الله الحياة فيه ساعة مرور النبي عليه ، والتسليم عليه ، أم أن الحياة وقابلية النطق موجودة عند الحجر والعجماوات^(٣) من الأصل.

المختار هو الثاني ، ولا يصدر إلا باذن من عند الله عز وجل .
وقيل أن الحجر يحيا ويمرض ويهرم ويموت ، وأن حياة الجماد لا تختلف عن حياة الإنسان والحيوان والنبات ، ولكن لا تصل النوبة إلى هذه المساواة.
نعم الجمادات مادة تتغير وتتبدل ، وهي وفق القياس المنطقي :

الكبرى : كل مخلوق متغير .

الصغرى : الجماد مخلوق .

النتيجة : الجماد متغير .

ومنها تسليم الحجر عليه

ومنها وتسليم الحجر عليه من قبل أن يبعث ، إذ ورد (عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إني لأعرف حجرا بمكة ، كان يسلم عليّ قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن)^(٤).

(١) الروض الأنف ٣٩٨/١ .

(٢) التاريخ الكبير ٣٩٩/١ .

(٣) العجماوات : جمع عجماء ، وهي البهيمة ، سميت عجماء لأنها لا تتكلم .

(٤) تفسير الطبري ٢٤١/٢ .

وورد مثله عن الإمام (علي بن موسى عن أبيه عن جده عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله قال : إني لأعرف حجرا كان يسلم علي بمكة قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن)^(١).

(وعن جابر : لم يمر النبي صلى الله عليه وآله في طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه قد سلكه من طيب عرفه)^(٢).

وفي تكليم الحجر لبعض الرسل ورد عن عيسى عليه السلام أنه قال (رأيت حجرا مكتوبا عليه : قلبيته فإذا على باطنه : من لا يعمل بما يعلم مشوم عليه طلب ما لا يعلم، ومردود عليه ما علم)^(٣).

خصائص الدعوة النبوية في مكة

من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن النسبة بين مصاديق الدعوة في مكة وفي المدينة العموم والخصوص من وجه ، فهناك مادة للالتقاء ، ومادة للافتراق بينهما .

أما مادة الإلتقاء فمن وجوه متعددة منها :

الأول : نزول آيات وسور القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم سواء في مكة أو المدينة .

الثاني : توالي المعجزات الحسية التي تجري على يد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثالث : مواظبة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على أداء الصلاة في أوقاتها .

الرابع : اجتهاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الدعوة إلى الإسلام .

الخامس : ملكة الصبر عند النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) الأمالي / الطوسي ٣٨٨/١ - البحار ٣٦٨/١٧ .

(٢) الراوندي / الخرائج والجرائح ٤٦/١ .

(٣) البحار ٣٢/٢ .

السادس : شدة الأذى من مشركي قريش ، وعداوتهم له ، قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾^(١).

السابع : دخول الناس الإسلام ، سواء في مكة أو المدينة .

الثامن : احتجاج النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الذين كفروا .

التاسع : مصاحبة الوحي للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢).

العاشر : تعدد محاولات قريش لاغتيال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم سواء في مكة أو المدينة .

الحادي عشر : أذى قريش للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الكلي المشكك الذي يكون على مراتب متفاوتة ، وأذاهم للنبي وأصحابه في المدينة هو الأكثر إذ هجموا بجيوش عظيمة ، وسيوف مهندة^(٣).

أما مادة الإفتراق : فتتصف الدعوة في مكة بوجوه :

الأول : ابتداء البعثة النبوية في مكة .

الثاني : كان النبي يتحنث ، ويميل الى الإنفراد عن قومه لما هم عليه من الضلال وعبادة الأوثان ، وكلما قربت أيام البعثة إزداد ميله للخلوة ، وكان التحنث في غار حراء من عادة العباد والزهاد .

(١) سورة الأنعام ١١٢.

(٢) سورة الأنعام ١٠٦.

(٣) يقال (هَنَّدَ السيفُ: شَحَذَهُ ، قال:

كُلُّ حُسَامٍ مُحَكَّمٌ التَّهْنِيدُ ... يَقْضِبُ عِنْدَ الْهَزِّ وَالتَّجْرِيدِ

سَالِفَةُ الْهَامَةِ وَاللَّدِيدِ) المحكم والمحيط الأعظم ١٧٨/٢.

والسيف المهند هو المطبوع من حديد الهند وكان من أجود الحديد .

الثالث : نزول الوحي على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في غار حراء وهو ابن أربعين سنة ، وقبلها بثلاث سنوات كان يرى الرؤيا التي تتضمن الإخبار بأنه نبي .

ويبتعد جبل حراء عن البيت الحرام (٤) كم على يسار الذهاب إلى عرفات .

ملاقاة أشد الأذى

لقد ورد في بني إسرائيل قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُوذُّونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (١).

إذ رموه بالأدرة وهي نفخة في الخصىة و(يقال رجل آدر بين الأدر غيره الأدر والمأدور الذي ينفق صفاقه فيقع قصبه ولا ينفق إلا من جانبه الأيسر وقيل هو الذي يصيبه فتق في إحدى الخصىتين ولا يقال امرأة أدرأه إما لأنه لم يسمع وإما أن يكون لاختلاف الخلقة وقد أدر يأدر أدرأه فهو آدر والاسم الأدرأه وقيل الأدرأه الخصىة والخصيصة الأدرأه العظيمة من غير فتق. وفي الحديث أن رجلاً أتاه (٢) وبه أدرة فقال انت بعس فحسا مجه فيه وقال انتضح به فذهبت عنه الأدرة.

ورجل آدر بين الأدرأه بفتح الهمزة والبدال وهي التي تسميها الناس القيلة ومنه الحديث إن بني إسرائيل كانوا يقولون إن موسى آدر من أجل أنه كان لا يغتسل إلا وحده (٣).

ويسمى طيباً : الفتق الأربي .

وقيل آذوه (بالتكذيب والشتم) (٤).

(١) سورة الصف ٥.

(٢) أي أتى الى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

(٣) لسان العرب ١٥/٤ .

(٤) بحر العلوم ٢٨٠/٤ .

مع إقرار أكثر قریش برسالته ، وفيه مواساة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لشدة ما لاقاه من الأذى ، لذا قال صلى الله عليه وآله وسلم (رحمة الله على موسى : لقد أودى بأكثر من هذا فصبر)^(١).

ويدل قول النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (بأكثر من هذا) على التقييد وقضية مخصوصة ، ولا يعني أن الأذى الذي لاقاه موسى أكثر من الأذى لاقاه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بدليل الشواهد من الكتاب والسنة على شدة الأذى الذي لاقاه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي قال (ما أودى نبي مثل ما أوديت)^(٢).

ومنه إيذاء فرعون وقومه لموسى ومنه إيذاء قارون له وهو يصبر عليه ويداريه لصلة القربى التي بينهما.

وموضوع هذا الحديث : أن النبي محمداً قام بتقسيم مال على أصحابه ، فقال رجل (إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله ، فغضب وقال : رحم الله أخي موسى ، لقد أودى أكثر من هذا فصبر)^(٣).

وهذا الأذى الذي لاقاه موسى أعم من النفاق ، والأذى الصادر من المنافقين والمنافقات اختص بتلقيه وتحمله النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وورد قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾^(٤).

مع التباين في الجهاد بين الطائفتين ، فلم يقتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أحداً من المنافقين كما نهى عن قتلهم ، أما الكفار فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، لم يسع إلى قتلهم أيضاً ولكنهم حشدوا الجيوش وشهروا الأسلحة لقتله وأصحابه فاضطر للدفاع .

(١) تفسير ابن كثير ١٠٩/٨ .

(٢) البحار ٥٦/٣٩ .

(٣) تفسير البحر المحيط ١٧٧/٩ .

(٤) سورة التحريم ٩ .

لقد لاقى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المشقة والأذى في جذب قومه من قريش وحلفائهم إلى الإيمان .

الأذى الشديد عند قراءة القرآن

لقد لاقى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الأذى الشديد عند قراءته القرآن في المسجد الحرام والنحاء مكة ، وتلاوة القرآن حاجة عامة للناس لقوله تعالى ﴿تُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾^(١).

وقد تفضل الله عز وجل بنزول السور المكية قليلة الكلمات والآيات وتتضمن الإنذار والوعيد لتيسير حفظ الناس لها والتدبر في معانيها ، وهل هو من مصاديق قوله تعالى ﴿أَخْرِيذُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ .﴾^(٢) ، أم أن القدر المتيقن من الآية أعلاه هو التخفيف في أحكام الصوم ، الجواب هو الأول .

واجتهد الصحابة في تلاوة وتدارس آيات القرآن ، وكانوا قبل الهجرة من مكة يخرجون خارج البلدة لتدارس القرآن وعلمت قريش بهم فأذوهم ، قال تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ نَشَى ، بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأَكْرِزَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ نُوَبِّأُ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾^(٣) (٤) .

وقال (قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرءون القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من

(١) سورة الشورى ٧.

(٢) سورة البقرة ١٨٥.

(٣) سورة آل عمران ١٩٥.

(٤) قد صدر الجزء الخامس والستين بعد المائتين من هذا السفر خاصاً بتفسير هذه الآية.

النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً، ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة. وقال أنس: كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد في أعيننا^(١).

لقد كان كفار قريش ينهى بعضهم بعضاً عن سماع القرآن سواء السماع من النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو من الصحابة أو من عامة الناس الذين يبهرهم إعجاز القرآن، وتتعلق نفوسهم بآياته وما لها من الدلالات، قال تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلُونَ﴾^(٢).

وتناجى الصحابة فيما بينهم لإسماع كفار قريش القرآن كاعلان عن سنخية الإيمان والتصديق بالقرآن بجوار البيت الحرام.

وقالوا: من يسمع قريشاً القرآن يجهر به.

وعن عروة عن أبيه (فقال ابن مسعود: أنا.

فقالوا: إنا نخشى عليك منهم، وإنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه.

فقال: دعوني فإن الله سيمنعني، ثم قام عند المقام فقال: بسم الله

الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾^(٣)، رافعاً بها صوته، وقريش

في أنديتها فتأملوا وقالوا: ما يقول ابن أم عبد، ثم قاموا إليه فجعلوا

يضربونه وهو يقرأ حتى يبلغ منها ما شاء، ثم انصرف إلى أصحابه، وقد

أثروا في وجهه، فقالوا: هذا الذي خشينا عليك^(٤).

ليبان أن من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم شدة الأذى

الذي لاقاه وأصحابه في تلاوة القرآن وبجوار البيت الحرام لتمر الأيام

والسنين سريعاً فيها جر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويدخل مكة

(١) الاتقان في علوم القرآن ١/٤٣٩.

(٢) سورة فصلت ٢٦.

(٣) سورة الرحمن ١-٢.

(٤) الثعلبي / الكشف والبيان ١٣/٦٠.

بعد الهجرة بثماني سنين فاتحاً لها ، مزيحاً للأصنام المنصوبة في البيت الحرام ، وليتلوا الملايين من المسلمين القرآن في البيت الحرام من غير خوف أو خشية من أحد ، قال تعالى ﴿وَيُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(١).

انشقاق القمر

لقد جمع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المعجزة العقلية والمعجزة الحسية من جهات :

الأولى : إفراد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من بين الأنبياء بالمعجزة العقلية وهو آيات القرآن ، إذ تخاطب آيات القرآن الأجيال المتعاقبة والناس وتدعو لإستنباط الدروس والمواعظ منها.

الثانية : جريان المعجزات الحسية على يد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثالثة : ذكر معجزات الأنبياء في القرآن بما يجعلها حاضرة بالوجود الذهني والدراسات من غير أن يطرأ عليها نقص أو تحريف أو غلو .
ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم انشقاق القمر لدعائه بعد أن سأله كفار قريش أن يريهم آية تدل على صدق نبوته .
(وعن ابن مسعود قال : انشق القمر على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقالت قريش : هذا سحر ابن أبي كبشة .

فقالوا : انتظروا ما يأتيكم به السفار^(٢) فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم ، فجاء السفار فسألوهم فقالوا : نعم قد رأينا فأنزل الله ﴿اقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾^(٣)^(٤).

(١) سورة القصص ٥.

(٢) السفار - بضم السن - جمع مسافر.

(٣) سورة القمر ١.

(٤) الدر المنثور ٣٣٩/٩ .

وقد وثق القرآن هذه المعجزة ودلالاتها على اقتراب قيام الساعة ، قال تعالى ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾^(١).

وفي هذه الآية مسائل :

الأولى : اختصاص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بمعجزة انشقاق القمر .

الثانية : رؤية المسلمين والكفار آية الانشقاق .

الثالثة : إعراض الكفار عن آية انشقاق القمر ، فنزل القرآن بدمهم وتبكيهم ، قال تعالى ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾^(٢).

الرابعة : القمر خلق مما خلق الله وهو مستجيب لأمر الله عز وجل .

الخامسة : معجزة انشقاق القمر من مصاديق تسخير القمر للناس ، ودعوتهم للتصديق بالأنبياء والإيمان ، قال تعالى ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾^(٣).

و(عن ابن مسعود قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمنى فانشق القمر حتى صار فرقتين ، فتوارت فرقة خلف الجبل فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : اشهدوا)^(٤).

السادسة : قانون انشقاق القمر دعوة للناس على اختلاف مشاربهم للإيمان ، والتباين في مداركهم لدخول الإسلام .

السابعة : زجر الناس عن إعانة كفار قريش في إيذاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) سورة القمر ١.

(٢) سورة القمر ١-٢.

(٣) سورة إبراهيم ٣٣.

(٤) الدر المنثور ٣٣٩/٩ .

الثامنة : يجمع قوله تعالى ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾^(١) المعجزة الحسية والعقلية ، فالحسية هي حدوث إنشقاق القمر بمرأى ومسمع من أهل مكة ، والعقلية خلود هذه المعجزة في القرآن بالآية أعلاه ، ونقل الصحابة الأوائل وقائع هذه المعجزة .

التاسعة : إتخاذ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم معجزة انشقاق القمر حجة على الذين كفروا ، ودعوة لهم للإيمان بقوله عند حدوث الإنشقاق (اشهدوا) وفي حديث عبد الله بن عمر (اللهم اشهد)^(٢) .

العاشر : جاءت آية انشقاق القمر بعد سؤال أهل مكة للنبي محمد بآية تدل على صدق نبوته .

و(عن ابن عباس قال : انتهى أهل مكة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : هل من آية نعرف بها أنك رسول الله .

فهبط جبريل ، فقال : يا محمد قل : يا أهل مكة إن تختلفوا هذه الليلة فسترون آية فأخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقالة جبريل ، فخرجوا ليلة أربع عشرة ، فانشق القمر نصفين نصفاً على الصفا ونصفاً على المروة.

فنظروا ثم مالوا بأبصارهم فمسحوها ثم أعادوا النظر فنظروا ، ثم مسحوا أعينهم ، ثم نظروا ، فقالوا : يا محمد ما هذا إلا سحر ذاهب ، فأنزل الله ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾^(٣) (٤) .

ويدل وصفهم لمعجزة انشقاق القمر بأنه (سحر ذاهب) على فضل الله عز وجل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين بالمعجزة العقلية الدائمة وهي القرآن.

(١) سورة القمر ١.

(٢) الدر المنثور ٣٣٩/٩ .

(٣) سورة القمر ١.

(٤) الدر المنثور ٣٤٠/٩ .

الإعجاز الغيري في آية الواد

يدل قوله تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأَكْرِزَنَّهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَآتِيهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾^(١) على تفضل الله باكرام المسلمين رجالاً ونساءً ، والبشارة بالثواب العظيم على عمل الصالحات وتؤسس لقانون التفاؤل ووجوب العناية بالبنت وحسن تربيتها .

لقد ذكرت الآية عدم تضييع عمل النساء في طاعة الله بقوله تعالى ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾^(٣) . وهل ينتفع الوالدان من عمل البنت المؤمنة ، الجواب نعم ، وكذا ينتفع منه زوجها وأولادها .

ومن آيات إكرام القرآن للبنت من حين ولادتها قوله تعالى في ولادة مريم ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾^(٤) ، وما فيه من إظهار المائز والفضل للمشبه به وهو الأنثى .

وقال (قتادة وغيره : وبدأت بذكر الأهم في نفسها ، وإلا فسياق قصتها يقتضي أن تقول : وليس الأنثى كالذكر)^(٥) .

(١) سورة آل عمران ١٩٥ .

(٢) أنظر الجزء الرابع والستين بعد المائتين من كتابنا من معالم الإيمان الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة .

(٣) سورة آل عمران ١٩٥ .

(٤) سورة آل عمران ٣٦ .

(٥) تفسير الثعالبي ٢٠٣/١ .

ولكن جاءت الآية أعلاه بصيغة التشبيه بأداة التشبيه الكاف بين المشبه وهو الذكر والمشبّه به وهي الأنثى لبيان علو شأنها كما يقال : البستان جميل كالجنة.

وفي الآية إخبار بأن الله عز وجل يرزق هذه الأنثى كرامة وعزاً وتلد عيسى عليه السلام ، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إكرامه والأجيال المتعاقبة من أمته لمريم عليها السلام ومنع الإفتراء عليها ، ومن غير غلو بشخصها أو شخص الرسول عيسى عليه السلام .
فورد الإصطفاء في الآية من جهتين مطلقاً ومقيداً على نساء أهل زمانها ، لبيان قانون نهى آيات إكرام المرأة عن إيذائها .

القضاء على الوأد

من الإعجاز الغيري في آية ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾^(٢) ، مسائل :
الأولى : التوثيق السماوي لحالات الوأد وذبح البنات عند العرب في الجاهلية .

والمؤودة هي الأنثى المولودة حديثاً تدفن حية خشية سبي الأعداء لها ، أو خشية الفقر والفاقة (وكان أحدهم يغذو كلبه ويئد ابنته)^(٣).

ونزل القرآن بالوعد الكريم برزق الأولاد مع الآباء ، قال تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾^(٤).

(١) سورة آل عمران ٤٢.

(٢) سورة التكوين ٨.

(٣) تفسير الطبري ٢٢٧/١٧ .

(٤) سورة الإسراء ٣١.

والشواهد اليومية على تنجز وعد الله عز وجل بالرزق الكريم للأبناء والأبناء ظاهرة في كل زمان .

الثانية : ذم القرآن للوآد .

الثالثة : بعث الذين وأدوا بناتهم قبل الإسلام للإستغفار والكفارة وإظهار الندم .

الرابعة : بعث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه لمحاربة الوآد في الأرض .

الخامسة : بيان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للنفع العظيم للبنت صغيرة كانت أو كبيرة وهي وسيلة المصاهرة وإنجاب الأسباط .

و(عن عمر بن الخطاب في قوله ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾^(١) قال : جاء قيس بن عاصم التميمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني وأدت ثمان بنات لي في الجاهلية .

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أعتق عن كل واحدة رقبة ، قال إني صاحب إبل . قال : فأهد عن كل واحدة بدنة^(٢) .

ووفد قيس بن عاصم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع وفد تميم في السنة التاسعة للهجرة وأعلنوا إسلامهم .

وكان سبب وأد قيس لبناته أنه سييت له بنت من قبل أعداء لهم ، ولما تم الصلح وعاد السبي أبت ابنته العودة وبقيت مع زوجها ، فحلف قيس أن يواد كل بنت تولد له ، وهذه اليمين باطلة ونسختها وحرمتها آية الوآد .

ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم استئصال أسباب الوآد إذ انقطع بنوته الغزو بين القبائل فصار الناس ينامون ليلهم بأمان ، ولا تخشى المرأة السبي عند غيابت الصبح ، وليكون من معاني قوله

(١) سورة التكوير ٨ .

(٢) الدر المنثور ٢٠٦/١٠ .

تعالى ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾^(١)، أي أنه تنفس بالأمن والأمل والإيمان ليصاحب إشراقته على النفوس إشراقة الشمس ببركة رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

و(عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله: نعمتان مكفورتان الأمن والعافية)^(٢).

ومعنى مكفورتان أي مستورتان لا يحس بهما الناس لمصاحبتهما اليومية لهما .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تحقق نعمة الأمن في الجزيرة وإلى يوم القيامة ، وهو باب لتقيد الناس بأداء الوظائف العبادية. وأضرار الغزو بين القبائل لا تنحصر بؤاد البنات ومنها أضرار في الدنيا وأضرار أخروية ، وقد ذكر القرآن سوء عاقبة الذي يئد ابنته بقوله تعالى ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾^(٣).

وفيه دعوة للناس للإقرار باليوم الآخر فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الإجتهد في الإنذار من أهوال البرزخ والحساب يوم القيامة.

وعن أبي خديجة عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام (قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال : إنني قد ولدت بنتا وريبتها حتى إذا بلغت فألبستها و حليتها ثم جئت بها إلى قليب فدفعتها في جوفه ، وكان آخر ما سمعت منها وهي تقول يا أبتاه.

فما كفارة ذلك ، قال : ألك أم حية ، قال: لا، قال: فلك خالة حية؟ قال: نعم، قال : فابررها فإنها بمنزلة الأم يكفر عنك ما صنعت، قال أبوخديجة: فقلت لابي عبدالله عليه السلام: متى كان هذا .

(١) سورة التكوين ١٨.

(٢) البحار ٧٨/١٧٠.

(٣) سورة التكوين ٨-٩.

فقال : كان في الجاهلية وكانوا يقتلون البنات مخافة أن يسبين فيلدن في قوم آخرين^(١).

مسائل نبوية في انقطاع الوأد

لقد كان انقطاع الوأد من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ورسائله المباركة ، وفيه مسائل :

الأولى : قانون قبح الوأد واتصال مضامين هذا القانون إلى يوم القيامة ببركة القرآن .

الثانية : جذب قلوب النساء إلى الإيمان ، وبعث النفرة في نفوسهن من الكفر ورجالاته وفيه انشاء قواعد لتربية الناشئة تربية إيمانية.

الثالثة : قانون ملاحقة آية الوأد للذين كفروا في أسفارهم وتقلبهم في البلاد كما في قوله تعالى ﴿لَا يَغُرَّتْكَ قُلُوبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾^(٢) ، فمن خصائص الفطرة الإنسانية الكره لمن يقوم بقتل المولودة خشية الإملاق والفقر .

الرابعة : نزول القرآن سبب لانقطاع الوأد وامتناع أسبابه وهي الغزو بين القبائل ، وخشية سبي البنات ، وخشية الفقر .

الخامسة : قانون مصاحبة الرزق الكريم للإيمان إذ توالى النعم على المسلمين وأهل الجزيرة ببركة بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ كَذَبُوا فَاَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٣).

(١) الكليني / الكافي ٢/ ٢٣٣.

(٢) سورة آل عمران ١٩٦.

(٣) سورة الأعراف ٩٦.

﴿لَوْ﴾ حرف إمتناع لإمتناع لبيان تحقق مصداق الإيمان والتقوى بأهل المدينة ومكة وعامة المسلمين ببركة رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وكيف أن الله عز وجل فتح عليهم بركات من السماء والأرض ، وليبان قانون إذا كذب قوم بالرسالة فإن الله عز وجل يأتي بقوم يؤمنون بها ، فتتوالى عليهم الخيرات .

ويبين تنزيه الأرض من وأد البنات في آية واحدة من القرآن خصائص مباركة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم ينلها نبي آخر قبله ، ولا يصل إليها مصلح أو نظام أو دستور .

ليبان قانون القرآن دستور سماوي ثابت اختص الله تعالى به النبي محمداً وأمته .

وتتجلى فيه منافع قوله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١) . بأن الذي يأتي به النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيه خير الدنيا والآخرة وأنه لا ينهى إلا عن القبيح ومنه قتل البنت المولودة .

ومع أن الوأد حرام بذاته فمن خصائص النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه جاء بقانون ازالة أسباب الوأد والغزو بين القبائل كما أنه بشر وأخبر عن الوعد من الله عز وجل بأنه يرزق الناس وأولادهم جميعاً ، هذا القانون الذي تتجلى مصاديقه في كل زمان ، قال تعالى في خطاب إلى أجيال الناس جميعاً ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنِ قَتَلْتُمْ كَانَ خَطِئًا كَبِيرًا﴾^(٢) .



(١) سورة الحشر ٧ .

(٢) سورة الإسراء ٣١ .

أقسام معجزات النبي محمد (ص)

لابد من بيان قانون وهو كل خصلة يختص بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من بين الأنبياء هي نعمة عظمى ، لا يقدر عليها غير الله تعالى ، وهي لطف وفضل من الله على النبي محمد وأصحابه وأهل بيته وأجيال المسلمين لذا فان إحصاء خصائص النبي محمد وتوثيقها والتدبر في معانيها ودلالاتها ومنافعها في الدنيا والآخرة علم مستقل ، وهي من مصاديق قوله تعالى ﴿وَإِنْ تُعَدُّوْا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ﴾^(١) .

وأذكر هنا علماً مستحدثاً وهو شطر معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى قسمين :

القسم الأول : معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذاتية التي تجري على يديه منها :

الأولى : قانون إختصاص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بتلقي نزول القرآن ، وانحصار هذا التلقي به وحده من بين الأولين والآخرين نعمة عظمى .

الثانية : الإسراء والمعراج ، قال تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٢) ، ليتجلى الإسراء بأول الآية أعلاه ، والمعراج إلى السماء بقوله تعالى ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وللأحاديث النبوية التي تبين عروج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في السماء .

كما تشمل عجائب ذات الإسراء إذ تقطع المسافة بين المسجدين مسيرة شهر ، بينما قطعها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بدقائق معدودة ، وهي معجزة حسية وثقها وخلدها القرآن بالآية أعلاه .

(١) سورة النحل ١٨ .

(٢) سورة الإسراء ١ .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم رؤيته الأنبياء في الإسراء (حتى وصفهم واحداً واحداً)^(١) لبيان الصلة بين أهل الدنيا وعالم البرزخ .

الثالثة : حضور الوحي عند النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ابتداء وفي كل حين ، ومنه حين العزم على فعل أو الإجابة على سؤال ، فصحيح أن قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ ورد خمس عشرة مرة في القرآن ، كلها موجهة إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

لكن أسئلة الناس له أضعاف هذا العدد ومنها ما تم توثيقه في السنة النبوية ، ويتجلى قانون كل إجابة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي من الوحي .

القسم الثاني : معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الغيرية التي تقع في غيره بما يدل على أنها من إفاضات رسالته ، ومنه إيمان المسلمين وتلقيهم الأوامر الإلهية بالقبول والعمل .

أسباب إيذاء قريش للنبي (ص)

الأول : إعلان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعثته نبياً من عند الله .

الثاني : شدة تعلق رجالات قريش بتقديس وعبادة الأصنام .

الثالث : إقامة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الصلاة في المسجد الحرام ، فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أداء الصلاة بين ظهراي الكفار ، وفيه دعوة لنبذ ثلاثمائة وستين صنماً منصوبة في البيت الحرام .

الرابع : دعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم زائري المسجد الحرام إلى الإسلام .

الخامس : إجهار النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بتلاوة القرآن في مكة ، وتضمن الآيات المكية ذم عبادة الأوثان ، والوعيد على الكفر والجحود.

السادس : إيمان الصحابة الأوائل برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأداؤهم الصلاة ، وشوقهم وسعيهم للإستماع لآيات القرآن ، وحفظهم لها .

(عن صهيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أريت دار هجرتكم سبخة بين ظهراي حرتين ، فإما أن تكون هجر أو تكون يثرب) ^(١).

وقد كانت قريش تؤذي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، كما في اعتدائهم بالضرب على أبي ذر الغفاري وعبد الله بن مسعود . وعن (عبد الله بن مسعود قال اجتمع يوما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا والله ما سمعت قريش بهذا القرآن يجهر لها به قط فمن رجل يسمعهموه .

فقال عبد الله بن مسعود أنا قالوا إنا نخشاهم عليك إنما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه فقال دعوني فإن الله سيمنعني فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى وقريش في أنديتها حتى قام عند المقام ثم قال (بسم الله الرحمن الرحيم - رافعا بها صوته ﴿الرَّحْمَنُ﴾ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٢﴾).

ثم استقبلها يقرأ فيها قال وتأملوا وجعلوا يقولون ما يقول ابن أم عبد ثم قالوا إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد . فقاموا إليه فجعلوا يضربون في وجهه وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا بوجهه .

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٢/٢٢٣ .

(٢) سورة الرحمن ١-٤ .

فقالوا هذا الذي خشينا عليك قال ما كان أعداء الله أهون على منهم اليوم لئن شئتم لا غادينهم غدا بمثلها قالوا لا حسبك فقد أسمعتهم ما يكرهون^(١).

لقد كانت تلاوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه للقرآن سبباً لدخول طائفة من الناس الإسلام ، وانبهار أساطين اللغة ، وأقرارهم بنزوله من عند الله ، ودخول أكابر من القوم الإسلام لسماعهم آيات من القرآن .

هجرة الحبشة

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومعجزاته الغيرية التي تجلت عند غيره من أهل البيت والصحابة وعامة الناس بما يدل على أنه معجزة للنبي ، خارج قانون العلة والمعلول ، والسبب والمسبب .

وكل من المعجزات الذاتية والغيرية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من اللطف الإلهي لتقريب الناس إلى منازل الهداية والإيمان .

ومن المعجزات الغيرية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هجرة رهط من الصحابة رجالاً ونساءً إلى الحبشة مع بعد المسافة بين مكة والحبشة وقطع البراري والفلوات^(٢).

فلما اشتد أذى كفار قريش على النبي وأهل بيته وأصحابه أشار على طائفة منهم بالهجرة إلى الحبشة وقال لهم (لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فَإِنَّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ ، وَهِيَ أَرْضٌ صِدْقٍ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا)^(٣).

والمراد من ملك الحبشة هو النجاشي واسمه أصحمة ، لأن النجاشي اسم الملك كقول : قيصر لملك الروم ، وكسرى لملك فارس .

(١) تاريخ الطبري ٧٣/٢.

(٢) الفلوات : جمع فلاة وهي الأرض الواسعة المقفرة.

(٣) ابن هشام / السيرة النبوية ٣٢١/١ .

قال المجلسي (فخرج إليها سرا أحد عشر رجلاً، وأربع نسوة، وهم عثمان بن عفان، وامراته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود، وعبد الرحمان بن عوف، وأبو حذيفة بن عتبة، وامراته سهلة بنت سهيل بن عمرو، ومصعب بن عمير . وأبو سلمة بن عبد الاسد، وامراته أم سلمة بنت أبي أمية، وعثمان بن مظعون، وعامر بن ربيعة، وامراته ليلى بنت أبي خيثمة، وحاطب بن عمرو، وسهيل بن بيضاء، فخرجوا إلى البحر وأخذوا سفينة إلى أرض الحبشة بنصف دينار)^(١).

ليكتب الله عز وجل لهم سلامة في أنفسهم ودينهم في الحبشة .

حال النبي محمد (ص) عند الإيحاء له

إذا انعم الله عز وجل على الناس بنعمة فلا بد أنها تكون معروفة عندهم في الجملة ، ومنها نعمة الوحي والتنزيل ، إذ تظهر الأمارات للناس التي تدل على أن النبي يتلقى الوحي .

وقد يأتي الوحي لخاصة النبي لتعظيمه ونصرتة ، قال تعالى ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(٢) وهذا الوحي ليس وحي نبوة إنما هو تحديث وقذف في قلوبهم.

والوحي هبة الله عز وجل ورسالته إلى أنبيائه، ولكن ماذا يرى منه الناس، وما يستبين لهم منه بالعرض وحسب الظاهر، فيه وجوه محتملة :

الأول : كل من كان حاضراً عند النبي يسمع الوحي.

الثاني : بعض الحاضرين يفوز بهذا الشرف على نحو القضية في الواقعة.

(١) البحار ٤١٢/١٨ .

(٢) سورة آل عمران ٥٢.

الثالث : لا يسمع الوحي الا الذي له قدم وسبق في التقوى والصلاح دون غيره.

الرابع : من يأذن له النبي بالسماع يستطيع السمع.

الخامس : لا يسمع أحد الوحي إلا النبي.

السادس : لو كان إلى جانب النبي الموحى إليه نبي آخر فهل يشترك بسماع الوحي بالجامع التشريفي الاعتباري بينهما أم لا ، الأقوى لا إلا أن يكون الوحي مشتركاً.

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم انه ليس من نبي في زمانه غيره.

السابع : قد يسمع الوحي بعض الناس للحجة الخاصة بهم او العامة.

الثامن : يرى المؤمنون والناس الآثار الخارجية الدالة على الوحي على نحو الإعجاز.

التاسع : وجود اختلاف نوعي في الوحي عند الأنبياء ، فربما كان مما يوحى إلى الأنبياء قبل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يسمع من قبل بعض الناس او الحاضرين منهم كآية حسية.

والمتيقن هو الوجه الخامس أعلاه ، لإختصاص النبي بالوحي ، وفي طوله رؤية الآثار الخارجية الدالة على الوحي ، ولا يمنع من وجود آيات أخرى عرضية ، ولكن الوحي سر السماء الملقى إلى الأنبياء على نحو الخصوص والحصص.

نعم قد تقع بعض الحوادث النادرة بأن يسمع بعض أهل البيت أو الصحابة بعض الكلمات اثناء الوحي للنبي بفضل من الله ، ولتشيت الإيمان في القلوب.



سرية الاجتماع

لقد عقد النبي صلى الله عليه وآله وسلم اجتماعاته مع وفد الأنصار بعيداً عن أعين كفار قريش مع شدة مراقبتهم ورصدهم للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتحذيرهم الوفود في موسم الحج منه ومن دعوته .
لقد أكرم الله عز وجل النبي محمداً وجعله سيد المرسلين ، وأنزل عليه القرآن ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾^(١).

لقد جعل الله عز وجل الوحي مصاحباً للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو من خصائصه والفرائد الملكوتية التي انفرد بها ومع هذا فإنه كان يلتقي بأصحابه سراً ، وعندما يفتح بنبوته القادم إلى مكة للزيارة والعمرة أو الحج ، ويدعوه للإسلام يسأله كتمان الأمر ، وعدم إطلاع قريش فيأتيه الأذى المقترن بالإستهزاء منهم ، مع أن الأرض وما عليها ملك لله عز وجل ، ملك تصرف ومشية ، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُخَيِّبُ وَيُنَبِّئُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(٢).

ليكون من معاني الحياة في الآية أعلاه الهداية والإيمان ، وحياة القلوب ، لبيان أن من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هداية أكثر الناس للتصديق برسالته ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾^(٣).

(١) سورة الزمر ٢٣.

(٢) سورة التوبة ١١٦.

(٣) سورة سبأ ٢٨.

و(وسئل الحسن بن علي بن محمد عليه السلام عن الموت ما هو ؟ فقال : هو التصديق بما لا يكون. حدثنا أبي، عن أبيه، عن جده، عن الصادق عليه السلام قال : إن المؤمن إذا مات لم يكن ميتاً، فإن الميت هو الكافر، إن الله عزوجل يقول ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾^(١) يعني المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن^(٢).

و(عن ابن عباس ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾^(٣) قال : كان كافراً ضالاً فهديناه ﴿وَجَعَلْنَاهُ نُورًا﴾ هو القرآن ﴿كَمْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر والظلاله^(٤).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في المقام وجوه :
الأول : تكرر لقاء النبي محمد مع وفد الأوس والخزرج أربع مرات ، في كل سنة مرة .

الثاني : يتجلى الإعجاز والخصوصية بعقد النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه الاجتماعات الإيمانية مع شدة مراقبة وبطش كفار قريش ، وكانوا يجعلون رجالاً مختصين لمتابعة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وصد الناس عن الإتصال به .

الثالث : الإزدیاد في عدد الرجال والنساء في عضوية وفد الأنصار في كل مرة .

إلا أنهم اشترطوا وصوله إلى المدينة ليزبوا عنه .
وعن عبادة بن الصامت (إنا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(١) سورة الروم ١٩.

(٢) البحار ١٥٦/٦ .

(٣) سورة الأنعام ١٢٢.

(٤) الدر المنثور ١٢٧/٤.

وعلى أن نقول في الله لا تأخذنا فيه لومة لائم، وعلى أن ننصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا قدم علينا يثرب مما نمنع به أنفسنا وأرواحنا وأبناءنا ولنا الجنة^(١).

لقد التقى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأهل يثرب من الأوس والخزرج في سني الدعوة المكية ، يلتقي بهم أفراداً وجماعات ومن هذه اللقاءات :

الأول : لقاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بسويد بن الصامت أخي بني عمرو بن عوف الأوسي ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإسلام ، فلم يبعد ولم يجب ، ثم انصرف إلى المدينة ، فقتل في بعض حروبهم .

لتمر الأيام ويهاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة ، وتقع معركة بدر ثم معركة أحد ، فقام ابنه الحارث بن سويد بقتل المجذر بن زياد الذي قتل أباه في بعض حروب الجاهلية إذ استغل الحارث الإرباك الذي حصل يوم أحد فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمر بن الخطاب بقتل الحارث إن ظفر به ففاته فكان بمكة ثم بعث إلى أخيه الجلاس يطلب التوبة.

وعن ابن عباس فانزل الله فيه (كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم) إلى آخر القصة) عن الواقدي^(٢).

الثاني : قدوم وفد من أهل يثرب يطلبون الحلف من قريش ، فالتقاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليدعوهم إلى خير الدنيا والآخرة ، ويتلو عليهم آيات القرآن لينسوا الغاية التي جاءوا لها ، وكأنه من قانون تقديم الأهم على المهم طوعاً وانطباعاً وقهراً ، وقانون إزاحة الخير للشر في النوايا والمقاصد وعالم الفعل .

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ٢/٢٠٣.

(٢) أنظر عيون الأثر ١/٢٧٨.

الثالث : قدوم مائة من بني عبد الأشهل إلى مكة برئاسة أبي الحيسر أنيس بن رافع يلبون الحلف من قريش (فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام .

فقال إياس بن معاذ منهم وكان شاباً حدثاً: يا قوم، هذا والله خير مما جئنا له. فضربه أبو الحيسر وانتهره، فسكت.

ثم لم يتم لهم الحلف، فانصرفوا إلى بلادهم بالمدينة، ومات إياس بن معاذ، فقليل إنه مات مسلماً^(١).

ولا تعني هذه اللقاءات بوقوع لقاء واحد فقط في كل سنة ، فقد يتداخل في سنة واحدة أكثر من لقاء في موسم الحج في البيت الحرام أو في منى ، أو عرفة ، أو في غير موسم الحج عند البيت الحرام .

الرابع : لقاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند العقبة في موسم الحج بستة نفر من الخزرج ، وقد ورد ذكر أسمائهم في الجزء السادس والستين بعد المائتين من كتابنا (لم يغز النبي (ص) أحداً) وهم :

الأول : (أبو أمامة أسعد بن زرارة ابن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، واسم النجار: تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة.

الثاني : عوف بن الحارث بن رفاعة (بن الحارث) بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار، وهو ابن عفراء.

الثالث : رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم ابن الخزرج.

الرابع : قطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد (بن علي بن أسد بن) ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج بن حارثة.

الخامس : عقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن سلمة.

السادس : جابر بن عبد الله بن رثاب بن النعمان بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة.

اقتران الدعوة بشدة الأذى

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم اجتهاده بدأب في الدعوة إلى الله مع ما يلقاه من شدة أذى الذين كفروا من وجوه :
الأول : شدة الأذى في جسد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وعن عبد الله بن مسعود (قال: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على قريش غير يوم واحد، فإنه كان يصلي ورهط من قريش جلوس، وسلا جزور قريب منه.

فقالوا: من يأخذ هذا السلا فيلقيه على ظهره ؟ فقال عقبة بن أبي معيط: أنا ، فأخذه فألقاه على ظهره ، فلم يزل ساجدا حتى جاءت فاطمة فأخذته عن ظهره.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم عليك بهذا الملا من قريش ، اللهم عليك بعتبة بن ربيعة ، اللهم عليك بشيبة بن ربيعة ، اللهم عليك بأبي جهل بن هشام ، اللهم عليك بعقبة ابن أبي معيط ، اللهم عليك بأبي بن خلف - أو أمية بن خلف - شعبة الشاك (وهو أحد رواة هذا الخبر).

قال عبد الله : فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر جميعا ، ثم سحبوا إلى القليب غير أبي ، أو أمية بن خلف ، فإنه كان رجلا ضخما فتقطع^(١).
 وكان سجود النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند الكعبة .

الثاني : حصار قريش لبني هاشم ثلاث سنوات من شهر محرم من السنة السابعة للهجرة ، وكان حصاراً اقتصادياً واجتماعياً ، ولقد بذل أبو طالب

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ١/ ٤٦٨ .

عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم الوسع في منعه ونصرته والذب عنه وقام وبنو هاشم دونه ، وهو يواصل أداء الصلاة في المسجد الحرام وتلاوة الآيات ومنها التي تعيب على قريش عبادتهم الأوثان .

الثالث : إيذاء رؤساء قريش للصحابة الأوائل ، وتحريض آبائهم وأمهاتهم على سجنهم وكرههم على ترك الإسلام ، واللقاء بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الرابع : إصابة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه الأوائل بالجوع والإفطار حتى ربط على بطنه الحجر .

و(عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد وأخفت في الله وما يخاف أحد ولقد أتت على ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولبلال ما يأكله ذو كبد إلا ما يوارى إبط بلال)^(١).

لقد دخلت آيات القرآن بيوت مكة وسار بها الركبان ، ومن خصائص القرآن قانون الوحدة العامة لآيات القرآن، وقانون القرآن سور جامع على الخير والصالح.

لقد كانت هذه اللقاءات تتم بحذر وحيلة من عيون قريش ورصد رؤسائها المباشر لما يقوم به النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من جهة في الدعوة إلى التوحيد والنبوة مع إتصال إيذائهم له في ذات الوقت الذي يعرضون عليه الأموال والثروة وكثرة الزوجات ، والرئاسة العامة على قريش وحلفائها لقاء ترك الدعوة إلى الله .

ولكنه أبى إلا الجهاد السلمي في الدعوة إلى الله ، وترك الدعة والرخاء والجاه والسلطان ، وهو من مختصاته صلى الله عليه وآله وسلم والشواهد على صدق نبوته .

كما كان الذين يلتقون بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويسمعون آيات القرآن يتعرضون لتوبيخ وتهديد قريش خاصة وأن التحذير صدر من

قريش للذين يدخلون مكة بلزوم عدم الإنصات للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وفي التنزيل ﴿وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا أَنْ يُمْ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(١).

أسباب خشية الأنصار أيام العقبة

لقد كان المسلمون من الأوس والخزرج يتحدثون وهم في المدينة وفي الطريق إلى مكة لماذا يبقى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بين الكفار مع احتمال قتلهم له ، وكيف السبيل إلى انقاذه من الطرد والخوف في جبال مكة .

وعندما وصل وفد الأوس والخزرج إلى مكة سعوا إلى لقاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكانوا يخشون من جهات :

الأولى : المشركون الذين قدموا معهم من المدينة إلى يثرب .

الثانية : رؤساء قريش وسطوتهم وقسوتهم .

الثالثة : تآلف المشركين عليهم في الموسم .

فصار الأنصار ينشدون سراً وبجذر رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وأرسلوا إليه واتفقوا على الاجتماع في أوسط أيام التشريق في الشعب الذي عند الهضبة قرب الجمرة الأولى من منى في ظلمة الليل وبسرية تامة . وعندما حان الموعد صاروا ينسلون الواحد والاثنين من أماكنهم بهدوء وخفية متوجهين إلى العقبة .

فمن خصائص النبي صلى الله عليه وآله وسلم عقد هذا الاجتماع السري الذي غير مجرى التاريخ نحو الأحسن إلى يوم القيامة .

ولم يعلموا أنهم سيدخلون مكة مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فاتحين بعد تسع سنين لتهدم الأصنام ، ويستأصل الشرك ومفاهيم الضلالة ، والفواحش ، وكان مصعب قد قدم مع وفد من الأنصار ، وأخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن دخول كثير من أهل يثرب الإسلام ، وعمر مصعب يوم بيعة العقبة الثانية نحو ست وثلاثين سنة .

ومما رواه جابر بن عبد الله عن بيعة العقبة الثانية (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث عشر سنين يتبع الناس في منازلهم مجنة وعكاظ وفي المواسم بمنى يقول (من يؤويني ، ومن ينصرني ، حتى أبلغ رسالات ربي وله الجنة)).

الإسراء والمعراج

قال تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١).
تبين هذه الآية أموراً :

الأول : نسبة الإسراء إلى الله عز وجل ، فلا يستطيع الإنسان في الأرض بيده وإن كان نبياً رسولاً الصعود في السماء إلا بفضل ومدد من عند الله عز وجل .

وقد اختص الله عز وجل النبي محمداً بهذه النعمة والمعجزة الخارقة ، وهي من مصاديق قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢) .

لتكون هذه النعمة متاحة للناس بسلطان العلم والتحصيل وركوب الطائرات والمركبات الفضائية ، وحتى هذه المركبات لم تبلغ ما بلغه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في معراجه في السماوات العلى .

لذا ابتدأت الآية بكلمة التنزيه لمقام الربوبية ، وقد ورد قوله تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي﴾ أربع مرات في القرآن تبين عظيم قدرة الله .

والثلاثة الأخرى غير آية الإسراء هي :

(١) سورة الإسراء ١.

(٢) سورة آل عمران ١٨٩.

الأولى : قوله تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

الثانية : قوله تعالى ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٢).

الثالثة : قوله تعالى ﴿تَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرْنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾^(٣).

ومن معاني الجمع بين هذه الآيات وآية الإسراء بيان حقيقة أن الإسراء بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم آية عظمى ونعمة تفضل الله عز وجل عليه وعلى الأجيال المتعاقبة من المسلمين ، إذ تتعدد خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في آية الإسراء ، وهل منها نزول آية الإسراء ، الجواب نعم .

ومنها وقوع الإسراء والمعراج في مكة بين المشركين وفي السنوات الأولى للبعثة النبوية مع شدة إيذائهم وتكذيبهم للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بحيث خشيت أم هانئ بنت أبي طالب أن يخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم المشركين بآية الإسراء .

وهل رزق بعض الأنبياء السابقين الإسراء والمعراج مجتمعين ، الجواب لا .

نعم رزق الله عز وجل إبراهيم الصعود في السماء الدنيا ، قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾^(٤).

(١) سورة يس ٣٦.

(٢) سورة يس ٨٣.

(٣) سورة الزخرف ١٣.

(٤) سورة الأنعام ٧٥.

وإذ خصت الآية أعلاه نعمة الصعود في السماء لإبراهيم ليكون من الموقنين .

فقد ترشح نعمة الإسراء بالنبي محمد تصديق الصحابة وأجيال المسلمين بها ، وما فيها من إكرام للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فهي من مختصاته لتكون موعظة للأجيال ، وسبباً في الهداية وزيادة الإيمان ، ودعوة للعلماء للسياحة في عالم السموات .

وأخرج ابن مردويه عن الإمام علي عليه السلام (قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما رأى إبراهيم ملكوت السموات والأرض أشرف على رجل على معصية من معاصي الله فدعا عليه فهلك .

ثم أشرف على آخر على معصية من معاصي الله فدعا فهلك ، ثم أشرف على آخر فذهب يدعو عليه .

فأوحى الله إليه : أن يا إبراهيم أنك رجل مستجاب الدعوة فلا تدع على عبادي ، فإنهم مني على ثلاث : إما أن يتوب فأتوب عليه ، وإما أن أخرج من صلبه نسمة تملأ الأرض بالتسييح ، وإما أن أقبضه إلي فإن شئت عفوت وإن شئت عاقبت)^(١) .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن إبراهيم لم يرق ويصعد إلى السموات العلى التي عرج إليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصحبة جبرئيل .

لقاء النبي محمد (ص) بآدم في المعراج

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه رأى آدم عليه السلام في السماء الدنيا في حديث الإسراء ، تعرض عليه أرواح الناس الذين يموتون فيستقبل المؤمنين بالإكرام والأمر يجعلها في عليين ، قال تعالى

(١) الدر المنثور ٤/ ٨٥ .

﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيْنِ﴾^(١) ويستقبل المشركين بالذم مع نقل أرواحهم إلى سجين ، قال تعالى ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سَجِينٍ﴾^(٢). وهل ﴿عِلِّيْنِ﴾ و﴿سَجِينٍ﴾ من بدائع خلق السموات والأرض ، الجواب نعم وهما مما يتفكر به المؤمنون ليجتهدوا في عمل الصالحات والفوز بصيورتهم إلى عليين ، ويحرصوا على الإمتناع عن فعل السيئات للنجاة من سجين .

وعن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (إن المؤمن إذا حضر أخته الملائكة بحريرة فيها مسك وضباطر ريحان ، فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين .

ويقال : أيتها النفس الطيبة أخرجي راضية مرضياً عنك إلى روح الله وكرامته ، فاذا خرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليها الحريرة وذهب به إلى عليين.

وإن الكافر إذا حضر أخته الملائكة بمسح فيه جمر فتنزعه روحه انتزاعاً شديداً ، ويقال : أيتها النفس الخبيثة أخرجي ساخطة مسخوطاً عليك إلى هوان الله وعذابه ، فاذا خرجت روحه وضعت على تلك الجمرة ، فإن لها نشيئاً يطوى عليها المسح ويذهب به إلى سجين)^(٣).

لقد رأى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم آدم بهيئة البشر ، وأدرك أنه ليس من صنف الملائكة ، فسأل جبرئيل عنه ، فأخبره بأنه آدم أبو البشر ، ومع كثرة الآباء بين آدم والنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فإن جبرئيل قال له هذا أبوك آدم ، لبيان أن الجد وإن ارتفع فهو بمنزلة الأب ، وفي

(١) سورة المطففين ١٨.

(٢) سورة المطففين ٧.

(٣) الدر المنثور ٤٠٥/٩.

التنزيل ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(١).

لقد ابتدأ آدم النبي محمداً السلام وهو نوع إكرام ، قال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (فإذا أنا بآدم كهيئته يوم خلقه الله على صورته لم يتغير منه شيء وإذا هو تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين فيقول : روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها في عليين ثم تعرض عليه أرواح ذريته الكفار الفجار فيقول : روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها في سجين .

فقلت : يا جبريل من هذا ؟ قال : هذا أبوك آدم فسلم علي ورحب بي فقال : مرحبا بالابن الصالح)^(٢).

وفيه بشارة للمسلمين عند الموت بحسن استقبال آدم لهم .
وفيه تشريف للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وشاهد على تفضيله على الأنبياء ، ويلاحظ قلة كلام آدم مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لإنشغاله باستقبال الأرواح ولسخية الحديث في عالم البرزخ ، وهناك مسألتان :

الأولى : هل كان آدم ينتظر معراج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثانية : هل عمل آدم في السماء مما يتفكر به المؤمنون .
أما المسألة الأولى فالجواب نعم ، وهو ظاهر اللقاء وحسن الترحيب ، وقد كان آدم في حياته يبشر ببعثته ورسالته .

وأما المسألة الثانية فالجواب نعم ، فذات خلق آدم وذريته من مصاديق ﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٣)^(٤).

(١) سورة البقرة ١٣٣.

(٢) الدر المنثور ١٩٤/٦ .

(٣) سورة آل عمران ١٩٠.

(٤) انظر الجزء الرابع والثلاثين بعد المائتين من كتابنا (معالم الإيمان) الذي اختص

قانون الإسراء تفضيل

من صفات الله تعالى (السبوح، القدوس) وهو المنزه عن كل نقص وسوء، والقدوس المبارك، وقيل ليس في كلام العرب بناء على فعول بضم أوله غير هذين الاسمين الجليلين.

وسبحات وجه الله : أنواره ، و(عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل : هل ترى ربك؟ قال : إن بيني وبينه لسبعين حجاباً من نار أو نور ، لو رأيت أدناها لاحتقرت)^(١).

وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث الإسراء (ثم قال لي جبرئيل : إنطلق يا محمد إلى الجنة حتى أريك مالك فيها فتزداد بذلك في الدنيا زهادة إلى زهادتك وفي الآخرة رغبة إلى رغبتك فسرنا نهوي منفضين أسرع من السهم والريح حتى وصلنا بإذن الله إلى الجنة فهدأت نفسي (وثاب) إلي فؤادي وأنشأت أسأل جبرئيل عما كنت رأيت (في الجنة) من البحور والنار والنور وغيرها.

فقال : سبحان الله تلك سرادقات عرش رب العزة التي أحاطت بعرشه فهي سترة الخلائق من نور الحجب ونور العرش لولا ذلك لأحرق نور العرش ونور الحجب من تحت العرش من خلق الله ومالم تره أكثر وأعجب.

قلت : سبحان الله ما أكثر عجائب خلقه.

قلت : يا جبرئيل ومن الملائكة الذين رأيتهم في تلك البحور الصفوف بعد الصفوف كأنهم بنيان مرصوص قال : يا رسول الله هم الروحانيون الذين يقول الله ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ﴾^(٢) ومنهم الروح الأعظم .

ثم بعد ذلك قلت : يا جبرئيل فمن الصف الواحد الذين في البحر

بتفسير هذه الآية الكريمة .

(١) الدر المنثور ١/ ١٧٣ .

(٢) سورة النبأ ٣٨ .

الأعلى فوق الصفوف كلها قد أحاطوا بالعرش .

قال : هم الكروبيون أشراف الملائكة وعظمائهم ولا يجتري أحد من الملائكة أن ينظر إلى ملك من الكروبيين وهم أعظم شأنًا من أن أصف صفتهم لك وكفى مارأيت منهم .

ثم طاف بي جبرئيل في الجنة بإذن الله فما نزل منها مكاناً إلا رأيته وأخبرني عنه فرأيت القصور من الدر والياقوت والاستبرق والزبرجد ورأيت الأشجار من الذهب الأحمر قضبانهم اللؤلؤ وعروقهن الفضة راسخة في المسك فلأنا أعرف بكل قصر وبيت وغرفة وخيمة ونهر وثمر في الجنة مني بما في مسجدي هذا .

قال : ورأيت نهراً يخرج من أصله ماء أشد بياضاً من اللبن واحلى من العسل على رضراض در وياقوت ومسك أذفر . فقال جبرئيل : هذا الكوثر الذي أعطاك الله عز وجل وهو التسنيم يخرج من دورهم وقصورهم وبيوتهم وغرفهم يمزجون بها أشربتهم من اللبن والعسل والخمر فذلك قوله ﴿وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾^{(١)(٢)(٣)} .

وبين هذا الحديث موضوعية وأثر حديث الإسراء في سلم الأفضلية والإكرام لنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم على نحو التعيين ، وهو من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وقد ورد لفظ ﴿سُبْحَانَ﴾ في القرآن احدى وخمسين مرة ، وهي مدرسة في تقديس وتعظيم الله عز وجل ودفع الوهم والضلالة عن النفوس ، ودعوة للجوء إلى التوحيد والتقديس المطلق لمقام الربوبية لذا فان ورود لفظ ﴿سُبْحَانَ﴾ في بداية آية الإسراء وسورته له دلالات تستحق

(١) سورة المطففين ٢٧-٢٨ .

(٢) في الأصل ﴿عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ في سهو من النساخ .

(٣) الثعلبي / الكشف والبيان ٤٦٥/٧ .

الدراسة والإستنباط بلحاظ موضوع الإسراء والنبوة مطلقاً.
وقصا المكان قصواً من باب قصى: أصبح بعيداً، والشاة القاصية أي
المنفردة، يقال قصي المكان يقصو قصواً: بعد، والقاصي: البعيد، والقصوى
مؤنث الأقصى وهو الأبعد.

والبركة: النماء والحسن والإفاضة والزيادة.
أسرى: يقال سريت سرى وأسريت: إذا سرت ليلاً، قال لبيد:
فبات وأسرى القوم آخر ليلهم ... وما كان وقافا بغير معصر
وفي التنزيل ﴿وَاللَّيْلَ إِذَا يَسَّرَ﴾^(١) أي ان الليل يمضى وينقضي، كأنه يسير في
ذاته وهو من الإعجاز البلاغي بإطلاق صفة الحال على المحل، والإسراء
خاص بالليل، والسير يختص بالنهار او يشملها والليل.

فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ارتقاؤه في
السموات العلى بجسده وروحه وفيه تشريف وإكرام له وللمسلمين، وبيان
أن فضل الله عز وجل بخلق وإقامة آدم عليه السلام في الجنة برهة من الزمن
تكررت في رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم مثلما تكررت ولادة
عيسى عليه السلام من غير أب، كما خلق الله عز وجل آدم عليه السلام
من غير أب.

والعبد: هو الإنسان مطلقاً حراً أو رقاً، ذكراً أو أنثى، كبيراً أو صغيراً،
ويرد العبد بمعنى المملوك ويعرف بالقرينة والإنسان عبد الله لأنه مربوب
ومخلوق لله، ويقال للمسلمين: عباد الله، والعابد هو الموحد، وقال ابن
منظور: عَبْدَ الله يعبد عباداً ومعبد (تأله له)^(٢).

والمعنى أعم وان (عبده) في قوله تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى
بِعَبْدِهِ﴾^(٣) أي خضع له وذل له وأطاعه، والبركة: النفع والنماء والزيادة.

(١) سورة الفجر ٤.

(٢) لسان العرب ٣/٢٧٣.

(٣) سورة الإسراء ١.

ومن معاني تسمية النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الآية (عبده) تأكيد بأن معجزة الإسراء والمعراج آية من آيات الله ، ونعمة عظمت ، وليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قانون منع الغلو بشخصه الكريم ، لذا وردت آية الإسراء بصفة العبودية بقوله تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾^(١).

وفيه دعوة للمؤمنين للإجتهد بالدعاء لنيل الرغائب وقضاء الحاجات ، بآية ولطف من عند الله ، قال تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٢) ، والفخر بمنزلة العبودية لله .

من فرائد الإسراء

مما اختص به النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من بين الأنبياء والرسول في قوله تعالى ﴿لَنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾^(٣) وجوه :

الأول: إرادة تعدد وكثرة الآيات الكونية .

الثاني: حضور النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند بيت المقدس هذه البقعة المباركة.

الثالث : من خصائص خاتم النبيين وطأ الأرض المباركة ودخول بيت المقدس ، والذي تحيط به أشجار الزيتون والكروم والبساتين ، والمزارع ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾^(٤).

الرابع : الخروج بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى السماء.

الخامس: منها أن أراه الله الأنبياء وصلى بهم ، ثم تحدث مع عدد منهم.

السادس: العجائب والعبير والبيئات التي أخبر الناس بها.

(١) سورة الإسراء ١.

(٢) سورة غافر ٦٠.

(٣) سورة الإسراء ١.

(٤) سورة الإسراء ١.

لنريه من آياتنا: لبيان أن الإسلام دين يخاطب العقول وينفذ إلى أعماق النفس الإنسانية بالدليل الروحي الحي، والبرهان المنطقي ليعرض على العقول نظام الخلق وآياته، وبعضاً مما صنع الجبار .

لتكون آية الإسراء نقطة تحول وإرتقاء للفت الأنظار نحو السماء وآياتها وبشارة متقدمة في زمانها لنتائج البحوث العلمية المستفيضة منذ القرن الماضي وثورة السياحة الفضائية في هذه السنين والتي أسفرت عن كشف بعض الأسرار المادية للكون .

ولتثيت قلوب المسلمين فلا يغزوها إرتياب مع تقدم وإتساع تلك الإكتشافات، وقد قال الله تعالى ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾^(١).

وقد سئل الإمام موسى بن جعفر عليه السلام عليه السلام : لأي علة عرج الله بنبيه إلى السماء ومنها الى سدرة المنتهى ومنها إلى حجب النور وناجاه هناك والله لا يوصف بمكان.

فقال : إن الله لا يوصف بمكان، ولا يجري عليه زمان، ولكن الله عز وجل أراد أن يشرف به ملائكته، وسكان سماواته، ويكرمهم بمشاهدته ويريه من عجائب عظمته وما يخبر به بعد هبوطه وليس ذلك على ما يقوله "المشبهون" سبحانه الله وتعالى عما يصفون^(٢).

على فترة من الرسل

لقد أنعم الله عز وجل على الناس بالوحي إلى النبي محمد بعد فترة وانقطاع من الرسل والتنزيل نحو ستمائة سنة بين عيسى عليه السلام وبينه ، قال تعالى ﴿عَلَىٰ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾^(٣).

(١) سورة الرحمن ٣٣.

(٢) البحار ٣٤٨/١٨.

(٣) سورة المائدة ١٩.

يقال فتر الشئ فتوراً إذ اسكنت حدثه ، وصار أقل .

ولم يرد لفظ (فترة) في القرآن إلا في الآية أعلاه .

و(عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان فيمن خلا من اخواني من الأنبياء ثمانية آلاف نبي ، ثم كان عيسى بن مريم ، ثم كنت أنا بعده)^(١) .

وقيل بعث الله بعد عيسى عليه السلام نبياً من العرب اسمه خالد بن سنان (قال سماك بن حرب : سئل عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ذاك نبي أضاعه قومه ، وإن ابنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : مرحباً بابن أخي)^(٢) .

ولم يثبت هذا القول وسماك بن حرب تابعي ، و(عن ابن المبارك سماك ضعيف في الحديث)^(٣) ، ومنهم من وثقه .

وقد ذكر عكرمة عن ابن عباس خبر خالد بن سنان كصاحب كرامة في قومه ولم يذكر أنه نبي .

وعدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألف نبي ، وقد يبعث الله عدداً من الأنبياء في زمان واحد أو رسول ونبي معاً ، بينما جاءت بعثة النبي محمد بعد مئات السنين من بعثة عيسى عليه السلام ونسيان أكثر الناس للشرائع ، وتركوا العمل بأحكامها وشاعت عبادة الأوثان .

ليبان المنزلة الرفيعة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عند الله والمدد العظيم الذي تفضل الله به عليه بنصرة الملائكة وصالح المؤمنين له ، قال تعالى ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾^(٤) .

(١) الدر المنثور ٣/ ٢٩٨ .

(٢) الدر المنثور ٣/ ٢٩٩ .

(٣) تهذيب التهذيب ٤/ ٢٠٤ .

(٤) سورة التحريم ٤ .

لتدل الآية على فوز النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بخصائص من بين الأنبياء والرسل ، بأن الله عز وجل هو مولاه وحافظه وناصره ، واختصاص الولاية بالله عز وجل ، وأن جبرئيل والمؤمنين والملائكة ظهير وعضد له ، وصالح المؤمنين من المهاجرين والأنصار عون له في التصديق برسالاته ، والدعوة إلى الله فذات التصديق بالرسالة عون .

لبيان سلامة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ووقايته من الضرر والمكر وإرادة المشركين اغتياله ، وذكرت وجوه في معنى (صالح المؤمنين). منها ما ورد (عن أسماء بنت عميس قالت : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : وصالح المؤمنين هو علي بن أبي طالب)^(١). وصحيح أن موضوع الآية هو أزواج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولكن المدار على عموم الآية وهي غضة طرية إلى يوم القيامة .

قانون توثيق السنة

لقد تضمنت السنة النبوية توثيق الحوادث والوقائع التي رافقت بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من وجوه :
الأول : السنة القولية ، وهي ما قاله وما نطق به النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بخصوص المعركة سواء قبل أو أثناء أو بعد المعركة ومنها مشاورة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه ، قال تعالى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٢).

وهل الرؤيا التي يراها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بخصوص المعركة من الوحي ، الجواب إنها من الوحي والذي يتجلى بالموضوع والمصداق والدلالة.

فمثلا في معركة احد وحينما نزل جيش المشركين بجوار جبل أحد والذي يبعد عن المدينة نحو خمسة كيلو متر (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)

(١) الثعلبي / الكشف والبيان ٣٠٦/١٣.

(٢) سورة آل عمران ١٥٩.

وسلم : إني رأيت بقرأ تنحر ، ورأيت في ذباب سيفي ثلماً ، ورأيت أنني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة ، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا بشر مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها^(١).

ليبان قانون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن رؤياه مدد وعون للمسلمين ، وسبيل هداية لهم في ساعة الضيق ولمنع الإرباك والاختلاف والتنازع الاجتهادي في إختيار كيفية الفعل في التصدي للذين كفروا في عدوانهم .

الثاني : السنة الفعلية الخاصة بالمعارك ، ومنها ما نزل بها قرآن مثل قوله تعالى ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢) .
وقد تجتمع السنة القولية والفعلية في موضوع متحد .

فحينما وقع أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي الشاعر في الأسر عند المسلمين ، وكان محتاجاً وذات بنات .

قال (يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتُ مَا لِي مِنْ مَالٍ ، وَإِنِّي لَذُو حَاجَةٍ وَذُو عِيَالٍ فَاثْمَنُ عَلَيَّ فَمَنْ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَخَذَ عَلَيْهِ أَلَّا يُظَاهَرَ عَلَيْهِ أَحَدًا فَقَالَ أَبُو عَزَّةَ فِي ذَلِكَ يَمْدَحُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَذْكُرُ فَضْلَهُ فِي قَوْمِهِ

مَنْ مَبْلَغَ عَنِّي الرَّسُولَ مُحَمَّدًا ... بِأَنَّكَ حَقٌّ وَالْمَلِكُ حَمِيدٌ
وَأَنْتَ أَمْرٌ تَدْعُو فِي الْحَقِّ وَالْهُدَى ... عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ الْعَظِيمِ شَهِيدٌ
وَأَنْتَ أَمْرٌ بُوِثَتْ فِيْنَا مَبَاءَةٌ ... لَهَا دَرَجَاتٌ سَهْلَةٌ وَصَعُودٌ
فَإِنَّكَ مِنْ حَارِبَتِهِ لِمَحَارَبٍ ... شَقِيٍّ وَمَنْ سَأَلَتْهُ لَسَعِيدٌ
وَلَكِنْ إِذَا ذُكِرْتُ بَدْرًا وَأَهْلُهُ ... تَأَوَّبَ مَا بِي : حَسْرَةً وَقَعُودٌ^(٣) .

(١) الدر المنثور ٢/٤١٧.

(٢) سورة آل عمران ١٢١.

(٣) سيرة ابن هشام ١/٦٥٩.

وأخذ عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم موثقاً على أن لا يظهر عليه وقد دعا المسلمون عندما وقع في الأسر إلى الإسلام فقال : لا ، حتى أضرب في الخزرجية يوماً إلى الليل) ولكن أغراه المشركون تخرج معهم في معركة أحد فقتل .

الثالث : السنة التقريرية وهي ما فعل في حضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسكت عنه ولم يمنعه ، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يسكت على الباطل ، ومنه بخصوص معركة بدر حينما خرج فتية من الأنصار لمبارزة عتبة بن ربيعة وأخيه شية ، وابنه الوليد بن عتبة ، والذين سألوا المبارزة ، فلم يمنع النبي صلى الله عليه وآله وسلم هؤلاء الفتية حينما خرجوا للمبارزة وهم :

الأول : عوف بن الحارث .

الثاني : معوذ بن الحارث ، ونسبتهما إلى أمهما عفراء بنت عبيد من بني النجار^(١).

الثالث : عبد الله بن رواحة .

ولكن المشركين وبعد أن تعرفوا عليهم وأنهم من الأنصار أبوا مبارزتهم و(قَالُوا : مَا لَنَا بِكُمْ مِنْ حَاجَةٍ ثُمَّ نَادَى مُنَادِيهِمْ يَا مُحَمَّدُ أَخْرِجْ إِلَيْنَا أَكْفَاءَنَا مِنْ قَوْمِنَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُمْ يَا عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَقُمْ يَا حَمْزَةُ وَقُمْ يَا عَلِيٌّ فَلَمَّا قَامُوا دَنَوْا مِنْهُمْ قَالُوا : مَنْ أَنْتُمْ ؟ قَالَ عُبَيْدَةُ عُبَيْدَةُ وَقَالَ حَمْزَةُ حَمْزَةُ وَقَالَ عَلِيٌّ : عَلِيٌّ ، قَالُوا : نَعَمْ أَكْفَاءُ كِرَامٍ^(٢) .

لتتعقب السنة القولية السنة التقريرية ، وتتضمن السنة القولية في المعركة الأمر والنهي وهما شعبتان من الوحي ، ومن أسباب النصر ومصاديق قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدُرٍّ وَآتَمَّ أَذِلَّةً﴾^(٣).

(١) أنظر الإستيعاب في معرفة الأصحاب ٤٤١/١ .

(٢) الروض الأنف ٦٧/٣ .

ترى لماذا أصر المشركون على قتال المهاجرين من قريش على نحو الحصر ، الجواب لأنهم إذا قتلوا واحداً منهم يشيع خبر قتله في مكة ، ويشمت الكفار ، ولنع المسلمين الذين في مكة عن الهجرة .

فتدخل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأخرج للمبارزة أقرب الناس إليه من أهل بيته وهو من خصائصه لبيان صدق نبوته وليعود علي وحمزة سالمين ، ويخرج عبيدة ليموت في موضع اسمه الصفراء في طريق العودة إلى المدينة ، قال تعالى ﴿وَمُكْرُونٌ وَمُكْرُؤُ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(٢).

خصائص تفسير النبي (ص) للقرآن

من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه أول من فسر القرآن ، بعد تفسير القرآن الذاتي ، وفيه مسائل :

الأولى : موضوعية علم التفسير في تكامل الشريعة الإسلامية .

الثانية : حاجة الأمة والأجيال المتعاقبة إلى تفسير النبي صلى الله عليه وآله وسلم للقرآن .

ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وفي الثناء على القرآن ، قال تعالى ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٣).

الثالثة : التأسيس السليم والصحيح لمناهج علم التفسير ، وهو مانع من التأويل الخاطئ والتحريف في الآيات وعلم التفسير .

الرابعة : ترغيب العلماء بتفسير القرآن .

الخامسة : بعث تفسير النبي صلى الله عليه وآله وسلم للقرآن المسلمين على العمل بأحكام الآية القرآنية التي فسرها النبي وآيات القرآن الأخرى ،

(١) سورة آل عمران ١٢٣.

(٢) سورة الأنفال ٣٠.

(٣) سورة المائدة ١٦.

وهو من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المتجددة إلى يوم القيامة ، لبيان أن علم التفسير مطلوب لذاته ولغاياته الحميدة.

السادسة : التفسير النبوي وسيلة لجني المسلمين الحسنات بالعمل بأحكام وسنن القرآن واجتناب المعصية.

عن محمد بن شجاع البلخي قال (كنت أقرأ بقراءة الكسائي {مالك يوم الدين} ^(١) ، بالألف ، فقال لي بعض أهل اللغة : الملك أبلغ في الوصف ، فأخذت بقراءة حمزة وكنت أقرأ {مالك يوم الدين} ، فرأيت في المنام كأنه أتاني آت فقال لي : لم حذفت الألف من مالك.

أما بلغك الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : اقرؤوا القرآنَ فحماً مفحماً ، فلم أترك القراءة ب : ملك حتى أتاني بعد ذلك آت في المنام فقال لي : لم حذفت الألف من مالك.

أما بلغك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : مَنْ قرأ القرآنَ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ ، فَلَمْ تَقْصُتْ مِنْ حَسَنَاتِكَ عَشْرًا فِي كُلِّ قِرَاءَةٍ . فلما أصبحت أتيت قطرباً وكان إماماً في اللغة فقلت له : ما الفرق بين ملك ومالك؟ فقال : بينهما فرق كثير . فأما ملك فهو ملك من الملوك ، وأما مالك فهو مالك الملوك . فرجعت إلى قراءة الكسائي ^(٢) .

السابعة : من أسرار حفظ المسلمين لكلمات آيات القرآن ونظمه تفسير النبي صلى الله عليه وآله وسلم للقرآن فكان أهل البيت والصحابة يتلقون الآية وتفسيرها والبيان النبوي لها .

الثامنة : تفسير النبي صلى الله عليه وآله وسلم للقرآن معجزة وشاهد على أمور :

الأول : صدق نزول القرآن من عند الله عز وجل ، قال تعالى ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ^(١) .

(١) سورة الفاتحة ٤.

(٢) السمرقندي / بحر العلوم ٣/١.

الثاني : صدق نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثالث : عدم قيام النبي محمد باضافة أو حذف كلمة من التنزيل .

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يحرص على دعوة كتبة الوحي حال نزول الآية أو الآيات لكتابتها كما يقوم بقراءتها في الصلاة اليومية ، فمن لم يكن حاضراً ساعة نزول الآية يسمعها في الصلاة ، وفي حال خشوع وخضوع لله عز وجل .

و(عن عثمان قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ، ما لم يأت كبيرة ، وذلك الدهر كله)^(١).

ليقوم الصحابة بتلاوة الآيات ونقلها إلى غيرهم ، مع التوجه إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالسؤال عن المجمل منها أو الأحكام والمغيبات فيها.

ليبان معجزة أخرى بقانون تلاوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للآيات حال نزولها دعوة لحفظها وكتابتها ، ومنع السهو أو الخطأ فيها.

التاسعة : نقل الصحابة آيات القرآن وتفسير النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم القولي والعملي إلى إخوانهم والتابعين وإلى غير المسلمين من أهل الكتاب والمشركين ، وفيه دعوة للإسلام ، وحض على اجتناب قتال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ومن معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تفرق صحابته في الأمصار ، وقيامهم بتبليغ آيات القرآن والتفسير النبوي لها.

ليبان قانون وهو في تلاوة وتفسير النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للقرآن سلام وأمن ، وغنى عن الغزو والقتال.

(١) سورة الاسراء ١٠٥.

(٢) المحرر الوجيز ١١٣/٢ .

وهل هو وسيلة دفاعية ضد المشركين في هجومهم على النبي وأصحابه في معركة بدر وأحد ، والخنندق ، وحنين .
الجواب نعم ، لما في هذه التلاوة والتفسير من البيان والبرهان والحكمة ، قال تعالى ﴿لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾^(١).

صدور الشهادة العامة

قال تعالى ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢) ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٣).

ليمتاز النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بخصلة زائدة على الأنبياء وهي الشهادة على الناس .

و(أخرج ابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والخطيب وابن عساكر عن ابن عباس قال : لما نزلت ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٤) وقد كان أمر علياً ومعاذ أن يسيرا إلى اليمن ، فقال : انطلقا فبشرا ولا تنفرا ، ويسرا ولا تعسرا ، فإنه قد أنزل علي ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ قال : شاهداً على أمتك ، ومبشراً بالجنة ، ونذيراً من النار ، وداعياً إلى شهادة لا إله إلا الله ﴿بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾^(٥).

و(عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص فقلت : أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال : أجل

(١) سورة الشورى ٧.

(٢) سورة الأنعام ٤٨.

(٣) سورة الأحزاب ٤٥.

(٤) سورة الأحزاب ٤٥.

(٥) الدر المنثور ١٧٧/٨.

والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(١).

ويدل قوله تعالى ﴿شَاهِدًا﴾ على أصالة الإطلاق والعموم في شهادة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الناس وهي نوع سيادة وتنزيه وعصمة.

قانون تلاوة النبي (ص) القرآن في البيت الحرام

لقد اختص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من بين الأنبياء بأن معجزته عقلية وهو القرآن إلى جانب معجزاته الحسية الكثيرة .

ومن خصائص آيات القرآن أمور :

الأول : قانون تعدد وجوه الإعجاز في الآية القرآنية .

الثاني : قانون تجدد إعجاز الآية القرآنية في كل زمان .

الثالث : قهر رجال البلاغة والشعر مع بلوغ العرب أيام نزول القرآن وذروة الفصاحة والبلاغة .

الرابع : سهولة حفظ آيات القرآن ، خاصة الآيات المكية ومنها ما تكون حروفاً مقطعة في أول السورة أو من كلمة واحدة وتكررها في الآية اللاحقة على نحو السؤال ثم الإجابة والإخبار بصيغة الوعيد كما في قوله تعالى ﴿الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ * يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ * فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَذْرَاكَ مَا هِيَةٌ * نَارُ حَامِيَةٍ﴾^(٢).

وقوله تعالى ﴿الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾^(٣).

(١) الدر المنثور ١٧٧/٨ .

(٢) سورة القارعة ١-١١ .

(٣) سورة الحاقة ١-٣ .

ولم تكن تلاوة القرآن في البيت الحرام أو في مكة عامة بالأمر السهل إذ كانت مخفوفة بالأذى مع السخرية والإستهزاء من قبل رؤساء الشرك ، فكانوا يصفقون ويصفرون اثناء تلاوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للقرآن كيلا يسمعه زائروا البيت الحرام ، وهو من أسباب نزول الحروف المقطعة أوائل عدد من سور القرآن .

وليس من الأنبياء السابقين من كان يقوم بتلاوة آيات القرآن بين ظهراني المشركين وفي البيت الحرام .

ولم تنزل آيات القرآن إلا على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم . ترى لماذا يسعى المشركون في منع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لتلاوة آيات القرآن في البيت الحرام ، الجواب من وجوه :
الأول : قانون تلاوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لآيات القرآن شاهد على نبوته .

الثاني : تضمن آيات القرآن ذم عبادة الأصنام وسوء عاقبة الذين عبدوها ويعيدونها .

الثالث : كانت نفوس المشركين تنفر من كلمة التوحيد ووجوب العمل وفق مضامينها .

فلما شاعت أخبار نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وصيرورة اتباع له وتناقل الناس آيات القرآن التي تدل على الوعيد للذين كفروا وسوء عاقبتهم ، اشتد غيظ رؤساء قريش فمشى جماعة منهم إلى أبي طالب عم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ودخلوا عليه وابتدأوا كلامهم بالثناء عليه إذ قالوا (أنت سيدنا وأفضلنا في أنفسنا ، وقد رأيت هذا الذي فعل هؤلاء السفهاء مع ابن أخيك من تركهم آلهتنا وطعنهم علينا وتسفيهم أحلامنا)^(١) .

(١) ابن سعد / الطبقات الكبرى ٢٠٢/١ .

ثم أشاروا بالتلميح إلى النية بقتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إن لم يكف عن الطعن بالهتهم وعبادتها ، وما فيه من الذم لآبائهم .
وسألوا أبا طالب احضار النبي للحديث معه من أجل التوصل إلى حل يكون فيه انصاف وترضيه له .

فأرسل أبو طالب في طلب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولما حضر قال له أبو طالب (يا ابن أخي هؤلاء عمومتك وأشراف قومك وقد أرادوا ينصفونك، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: قولوا أسمع، قالوا: تدعنا وآلهتنا، وندعك وإلهك)^(١).

فطلب منهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن يقولوا كلمة وقال (إن أنتم تكلمتم بها ملكتم بها العرب ودانت لكم بها العجم؟ فقال أبو جهل: إن هذه لكلمة مربجة، نعم وأبيك لنقولنها وعشر أمثالها، قال: قولوا لا إله إلا الله، فاشمأزوا ونفروا منها وغضبوا وقاموا وهم يقولون ﴿وَأَصْبِرْ وَعَلَىٰ آلِهِمْ إِن هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾^(٢)، ويقال: المتكلم بهذا عقبة بن أبي معيط، وقالوا: لا نعود إليه أبداً، وما خير من أن يغتال محمد)^(٣).

ليبان أن عزم قريش على قتل النبي لم يبدأ عند نهار ليلة هجرته إل المدينة .

ولم يقف بنو هاشم صامتين أزاء هذا التهديد الصريح وافتقد أبو طالب النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فقام بجمع بني هاشم وبني المطلب وعزموا على التوجه إلى البيت الحرام وكل واحد منهم يحمل حديدة صارمة ويجلس كل واحد بقرب واحد من رؤساء قريش ومنهم أبو جهل.

(١) ابن سعد / الطبقات الكبرى ٢٠٢/١ .

(٢) سورة ص ٦ .

(٣) ابن سعد / الطبقات الكبرى ٢٠٢/١ .

ورأى أبو طالب زيد بن حارثة والذي كان يسمى زيد بن محمد ، فقال له (يا زيد أحسست ابن أخي؟ قال: نعم كنت معه آنفاً، فقال أبو طالب: لا أدخل بيتي أبداً حتى أراه، فخرج زيد سريعاً حتى أتى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهو في بيت عند الصفا ومعه أصحابه يتحدثون، فأخبره الخبر.

فجاء رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى أبي طالب، فقال: يا ابن أخي أين كنت؟ أكنت في خير؟ قال: نعم، قال: أدخل بيتك، فدخل رسول الله، صلى الله عليه وسلم^(١).

فهدأت النائرة ، ولأن تهديد قريش بقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لازال قائماً سار أبو طالب ومعه فتیان بني هاشم وبني المطلب ووقفوا على أندية قريش فانذرهم أبو طالب ، وبين لهم أنه عزم على الإنتقام للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فاطل رؤساء قريش لو كانوا أصابره بشر وقال لهم (يا معشر قريش: هل تدرون ما هممت به.

قالوا : لا، فأخبرهم الخبر، وقال للفتیان: أكشفوا عما في أيديكم، فكشفوا فإذا كل رجل منهم معه حديدة صارمة، فقال: والله لو قتلتموه ما بقيت منكم أحداً حتى نتفانى نحن وأنتم، فانكسر القوم وكان أشدهم انكساراً أبو جهل^(٢).

وهل هذه الحادثة من أسباب فرض قريش الحصار على بني هاشم ثلاث سنوات ، المختار نعم .

قانون تعاهد النبي (ص) الصلاة مع التهديد بقتله

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أمور :
الأول : عزم قوم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على قتله لتلاوته القرآن .

(١) ابن سعد / الطبقات الكبرى ٢٠٣/١.

(٢) ابن سعد / الطبقات الكبرى ٢٠٣/١.

الثاني : عدم توقف النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن الصلاة وقراءة القرآن في المسجد الحرام قبل الهجرة حتى مع الأذى الشديد ، والتهديد بقتله .

الثالث : دفاع عشيرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عنه ، مؤمنهم وكافرهم .

الرابع : هل كان أكثر الهاشميين والمطلبين يومئذ مسلمين أم كفاراً على دين قومهم ، المختار هو الثاني ، ليكون اجتماعهم في الدفاع عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، واستباق تهديد قريش بقتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالتهديد بقتل رؤساء قريش ولو أدى لفناء الفريقين من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾^(١).

باستثناء عمه أبي لهب ، الذي نزل القرآن بدمه ، قال تعالى ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي يَدِهَا حِجْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾^(٢).

الخامس : من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ازدياد إيمان الصحابة الأوائل بسبب صبره وإتصال جهاده في كل الأحوال .

عشر خصائص في حديث واحد

في حديث الإسراء وبعدهما اثني الأنبياء على الله عز وجل لما رزقهم من النعم ، قال النبي مخاطباً الأنبياء وشاكراً لله عز وجل (كلكم أثنى على ربه ولاني مثن على ربي .

فقال : الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين ، وكافة للناس بشيراً ونذيراً ، وأنزل علي الفرقان فيه تبيان لكل شيء ، وجعل أمتي خير أمة

(١) سورة المدثر ٣١.

(٢) سورة المسد ١-٥.

أخرجت للناس ، وجعل أمتي أمة وسطاً ، وجعل أمتي هم الأولون والآخرون ، وشرح لي صدري ، ووضع عني وزري ، ورفع لي ذكري ، وجعلني فاثماً وخاتماً^(١).

وبين هذا الحديث خصائص وخصالاً متعددة انفرد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بها وهذه الخصائص هي :

الأولى : رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم رحمة للعالمين من الجن والإنس .

الثانية : الرسول محمد رسول من الله عز وجل رسول للناس جميعاً بشيراً بالجنة للمؤمنين الذين يعملون الصالحات ، ونذيراً للمشركين بالخلود في الجحيم .

الثالثة : تفضل الله عز وجل بنزول القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجعله ﴿ثِيَابًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢).

الرابعة : نيل أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أسمى المراتب ، وتتجلى علة نيل هذه المرتبة بقوله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(٣).

الخامسة : أمة الإسلام هي الأمة الوسط العدل الممتعة عن الغلو والتفريط ، (عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يدعى نوح يوم القيامة فيقال له : هل بلغت؟ فيقول : نعم . فيدعو قومه فيقال لهم : هل بلغكم؟ فيقولون : ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد .

(١) الدر المنثور ٦/ ١٩٧ .

(٢) سورة النحل ٨٩ .

(٣) سورة آل عمران ١١٠ .

فيقال لنوح : من يشهد لك؟ فيقول : محمد وأمته ، فذلك قوله ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾^(١) قال : والوسط العدل ، فتدعون فتشهدون له بالبلاغ وأشهد عليكم^(٢).

السادسة : تدخل أمة محمد الجنة أولاً مع أنها آخر الأمم في الحياة الدنيا. وفي حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (إن موسى لما نزلت عليه التوراة وقرأها فوجد فيها ذكر هذه الأمة قال : يا رب إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون السابقون فاجعلها أمتي ، قال تلك أمة أحمد)^(٣).

السابعة : تفضل الله عز وجل يجعل صدر النبي رحيماً واسعاً مملوءاً باليقين ، سمحاً خالياً من الحقد والحسد والكدورة ، قال تعالى ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾^(٤) ، وقال تعالى ﴿فَنَزَّلْنَا إِلَهَ الْأُنْزُلِ يَهْدِيهِ يُشْرِحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾^(٥).

الثامنة : التخفيف عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالمدد بالملائكة وصالح المؤمنين ، وإنصات الناس لدعوته وتوالي دخول الناس في الإسلام ، قال تعالى ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾^(٦).

و(عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : سألت ربي مسألة ووددت أني لم أكن سألته ، فقلت : قد كانت قبلي الأنبياء منهم من سخرت له الريح ، ومنهم من كان يحبي الموتى.

(١) سورة البقرة ١٤٣.

(٢) الدر المنثور ٤/٣٢٢.

(٣) سورة .

(٤) سورة الشرح ١.

(٥) سورة الإنعام ١٢٥ .

(٦) سورة الشرح ٢-٣.

فقال تعالى : يا محمد ألم أجذك يتيماً فأويتك؟ ألم أجذك ضالاً فهديتك؟ ألم أجذك عائلاً فأغنيتك؟ ألم أشرح لك صدرك؟ ألم أضع عنك وزرك؟ ألم أرفع لك ذكرك؟ قلت : بلى يا رب^(١).

التاسعة : من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ذكره في الأذان خمس مرات في اليوم مع ذكر الله عز وجل من حين الهجرة إلى المدينة وإلى يوم القيامة .

لتكون المصاديق اليومية لقوله تعالى ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾^(٢)، شواهد ودلائل على صدق نزول القرآن من عند الله عز وجل ، و(عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أتاني جبريل فقال : إن ربك يقول : تدري كيف رفعت ذكرك ، قلت : الله أعلم ، قال : إذا ذكرت ذكرت معي)^(٣).

العاشرة : لقد فتح الله عز وجل باب الهدى للناس برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتجلت مظاهر الدعوة إلى الله والعمل الصالح والبشارة بالجنة لأهل الإيمان ، ونبذ ختم الله الأنبياء لبيان استتضاء طريق الهدى للناس للعمل بأحكام الشريعة .

وفي حديث الإسراء وما تفضل الله عز وجل به على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومنه (وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي ، وجعلت من أمتك أقواماً قلوبهم أناجيلهم ، وجعلتك أول النبيين خلقاً ، وآخرهم بعثاً ، وأولهم يقضى له . وأعطيتك سبعا من المثاني لم أعطها نبياً قبلك ، وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش ، لم أعطها نبياً قبلك .

(١) الدر المنثور ٢٨٦/١٠ .

(٢) سورة الشرح ٤ .

(٣) الدر المنثور ٢٩٠/١٠ .

وأعطيتك الكوثر وأعطيتك ثمانية أسهم : الإسلام والهجرة والجهاد والصلاة والصدقة وصوم رمضان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعلتك فاتحاً وخاتماً .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : فضلني ربي وأرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيراً ونذيراً ، وألقى في قلب عدوي الرعب من مسيرة شهر ، وأحل لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وجعلت لي الأرض كلها مسجداً وطهوراً^(١) .

ومن الإعجاز أن المسلمين الآن من مختلف الأمم والشعوب والأجناس يتشرون في المشرق والمغرب ، ولا تمر دقيقة من الليل أو النهار إلا وهناك من يصلي إحدى الفرائض اليومية الخمسة وفي أول وقتها ، هذا يصلي الصبح وهذا الظهر وذاك العشاء بحسب التباين في الوقت بين بقاع وقارات الأرض .

وتطلع الأمم وأهل الملل على آيات القرآن وما فيها من البشارة بالجنة للمؤمنين الذين يعملون الصالحات ، والإنذار والوعيد للكافرين بالعذاب الأخرى وهو من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأمته ، ومن الأسرار في قوله تعالى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾^(٢) .

قانون إزاحة الأصنام إلى الأبد

من خصائص الأنبياء محاربة تقديس وعبادة الأصنام ، وهي من أهم وظائفهم في البعثة الرسالية ، ولقد تحملوا وأصحابهم وأتباعهم بسببها الأذى الكثير من غير أن ينقرض ويزول ظلم الكفار لأنفسهم بهذه العبادة ، فما أن تضعف عبادة الأوثان في بعثة أحد الأنبياء في بلد ما إلا وتنمو في بلاد أخرى وتزدهر صناعتها ، ويختص رجال بتجارتها .

(١) الدر المنثور ٦/ ٣٠٠ .

(٢) سورة النساء ١٠٣ .

ليكون استئصال عبادة الأوثان في الأرض برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحتى الذي يقدس الأوثان في أماكن من الأرض صار مفضوحاً ، يفكر مع نفسه كيف يقدس أحجاراً وتماثيل ، قال تعالى ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ﴾^(١).

ومن مصاديق قوله تعالى ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾^(٢) ما ورد بخصوص محاربة إبراهيم عليه السلام لعبادة الأصنام إذ جاء لقومه وبين لهم قبورها ، فلم ينصتوا له ، فقام بتكسيورها فما كان منهم إلا أن جمعوا له الحطب وشدوا وثاقه وجعلوه وسط الحطب ثم اشعلوا النار لولا أن أنجاه الله ، قال تعالى ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

ولم يكتف إبراهيم بتهشيم الأصنام بل استمر في الإحتجاج عليهم مما زاد في غيظهم وحقنهم بدل أن ينصاعوا إلى الحق .
كما ورد في التنزيل ﴿قَالَ اقْعُدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أَفَلَا تَعْبُدُونَ مَنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلَهُتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾^(٤).

فتفضل الله عز وجل بمعجزة حسية بالأمر إلى النار بالإمتناع عن حرق إبراهيم ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٥) ، لبيان استجابة الجمادات لأمر الله عز وجل وبما فيه نفع البشر.

(١) سورة العنكبوت ٤٣.

(٢) سورة يوسف ٣.

(٣) سورة يونس ١٠٣.

(٤) سورة الأنبياء ٦٦-٦٨.

(٥) سورة الأنبياء ٦٩.

مما يدل على بقاء عبادة الأوثان أيام نمrod ، وانتقل إبراهيم عليه السلام بزوجه هاجر وابنه إسماعيل إلى الحرم المكي وقال ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾^(١).

ليرفع قواعد البيت الحرام التي كان آدم عليه السلام قد بناها بأمر وعون من جبرئيل وقام إبراهيم بدعوة الناس لحج البيت الحرام بأمر من الله عز وجل بقوله تعالى ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾^(٢).

وهل يختص هذا الأمر بالحج لتكون العمرة من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أم يشمل الأمر الإلهي إلى إبراهيم بالعمرة وزيارة البيت الحرام .

المختار هو الثاني ، فكما أن حج البيت الحرام مشروع قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكذا العمرة ، قال تعالى ﴿وَأَتُمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾^(٣).

وبعد أيام إبراهيم وإسماعيل دبت عبادة الأصنام في مكة وأقدس بقعة ونصبت الأصنام في البيت الحرام ، لبيان حاجة الناس إلى رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لاستئصال عبادة الأوثان في الأرض .
إذ جاهد لإزاحة حب الأصنام من النفوس وجعل الناس ينفرون منها ، وهو أمر لم يتم لولا فضل الله بنزول القرآن ، وصيرورة المسلمين والمسلمات يتلون آياته خمس مرات في الصلاة اليومية على نحو الوجوب

(١) سورة إبراهيم ٣٧.

(٢) سورة الحج ٢٧.

(٣) سورة البقرة ١٩٦.

العيني على كل واحد منهم ، وإذ ألقى إبراهيم في النار عندما كسر الأصنام.

وأعاد قومه نصبها بحلة جديدة ، فإن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كسر الأصنام التي في البيت الحرام بأمان من عند الله لتزول ومن غير عودة لها إلى يوم القيامة ، وهو من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ووجوه تفضيله .

رسالة النبي (ص) للناس جميعاً

من الأنبياء من بعث لنفسه أو أسرته أو قومه ، وفي يونس عليه السلام قال تعالى ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾^(١).

و(عن أبي بن كعب قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾^(٢) قال : يزيدون عشرين ألفاً)^(٣).

وفي بعث الله للأنبياء تكرر قوله تعالى ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ بخصوص أنبياء منه قوله تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(٤).

﴿وَإِنِ الْيَأْسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ * أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾^(٥).

(١) سورة الصافات ١٤٧.

(٢) سورة الصافات ١٤٧.

(٣) الدر المشور ٢٦٤/٨.

(٤) سورة الأعراف ٥٩.

(٥) سورة الصافات ١٢٣-١٢٥.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْهُ بَعْدَهُ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾^(١).

كما بعث الله عز وجل الأنبياء إلى الملوك والطواغيت ، إذ بعث الله عز وجل إبراهيم إلى نمرود ، وموسى إلى فرعون ، كجزء من رسالة كل منهما ، وبعث الله عز وجل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم إلى رؤساء قريش وملوك الأرض أيام نزول القرآن ، وفي كل زمان ، والقرآن يفسر بعضه بعضاً ، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾^(٢).

وهل ينتفع غير المسلمين من رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، الجواب نعم ، خاصة مع تقارب بلدان المسلمين مع الأمصار الأخرى ، وحسن المعاشرة بين المسلمين وأهل الكتاب ، ونزول القرآن بالرفق والتراحم بين الناس ، ومنه في المقام ابتداء كل سورة من القرآن بقول ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

وجاء زمان العولمة لتتضح معالم وأحكام الإسلام للناس ، وقد صدرت لي إلى الآن والحمد لله تسعة وعشرون جزءاً بقانون (لم يغز النبي) (ص) أحداً) وهي (١٦٤-١٦٥-١٦٦-١٦٨-١٦٩-١٧٠-١٧١-١٧٢-

١٧٤-١٧٦-١٧٧-١٧٨-١٨٠-١٨١-١٨٢-١٨٣-١٨٧-١٩٣-

١٩٤-١٩٦-٢٠٤-٢١٢-٢١٦-٢٢١-٢٢٩-٢٣٩-٢٥٦-٢٦١-

٢٦٦).

(١) سورة يونس ٧٤.

(٢) سورة سبأ ٢٨.

كما صدر لي ثمان عشر جزءً بقانون (التضاد بين القرآن والإرهاب) وهي : ١٨٤-١٨٥-١٨٨-١٩٥-١٩٨-١٩٩-٢٠٣-٢١٠-٢١١-٢١٩-٢٣٥-٢٣٦-٢٣٨-٢٤٣-٢٤٤-٢٤٦-٢٥٢-٢٦٣).

وبيعث قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١) المسلمين إلى اللطف والإحسان إلى الناس جميعاً مع اختلاف مشاربهم ومذاهبهم. لقد بعث الله عز وجل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم إلى الناس جميعاً وبصفة الرسالة بقوله تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾^(٢).

توثيق محاربة الأنبياء للأصنام

تبين آيات القرآن جهاد الأنبياء في ذم عبادة الأصنام والزجر عنها وأكثر الأنبياء ذكراً في القرآن بخصوص تقبيح عبادة الأصنام والزجر عنها هو إبراهيم عليه السلام ، لذا أكرمه الله عز وجل بالنجاة من النار التي أعدوها لحرقه بها ، منها قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾^(٣).

وتضمن القرآن التصريح بأن قوم إبراهيم كانوا يعبدون الأصنام وليس التقرب بها إلى الله زلفى فقط ، وفي التنزيل ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ

(١) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٢) سورة الأعراف ١٥٨.

(٣) سورة الأنبياء ٥٢.

لَأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُهَا عَاكِفِينَ ﴿١﴾، وقوله ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ (٢).

كما أعلن للملأ أنه سيكيد بأصنامهم ، من غير خوف أو خشية منهم ﴿وَاللَّهُ لَا كِيدَ فِي أَصْنَامِكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ (٣).

والنسبة بين الكيد بالأصنام وتكسيورها عموم وخصوص مطلق ، فهو لم يقل بأنه سيكسرهما ويحطمها خشية بطشهم به قبل تنجز الفعل ، وهذا من إعجاز دقة الألفاظ في القرآن ، فانتظر إبراهيم عليه السلام خروج قومه لعيد لهم خارج البلد ، فقالوا له : ألا تخرج معنا .

فاعتل بأنه مريض ، فذهب إلى أهله وجاء بطعام فقربه إلى آلهم ، فقال : ألا تأكلون ، كما ورد في التنزيل ﴿فَرَاغَ إِلَى آلِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ * فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ (٤).

ترى ما هي منافع توثيق القرآن لجهاد الأنبياء في محاربة الأصنام وعبادتها ، الجواب من وجوه :

الأول : قانون التضاد بين علة خلق الناس وعبادة الأوثان ، قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥).

الثاني : دعوة الأنبياء للتوحيد ، وهي من أهم وظائفهم .

الثالث : مجئ الوحي بالتوحيد ، وبعث الأنبياء للجهاد في جعل ﴿كَلِمَةُ اللَّهِ

هِيَ الْعُلْيَا﴾ (١).

(١) سورة الشعراء ٦٩-٧١.

(٢) سورة مريم ٤٢.

(٣) سورة الأنبياء ٥٧.

(٤) سورة الصافات ٩١-٩٣.

(٥) سورة الذاريات ٥٦.

وهذا الجهاد من الكلي المشكك الذي هو على مراتب متفاوتة قوة وضعفاً .

الرابع : قانون الملازمة بين بعثة الأنبياء وصلاح الناس ، ولا يتم هذا الصلاح إلا بالتوحيد ، وترك عبادة الأوثان والتقرب إليها .
الخامس : عندما خلق الله عز وجل العقل سألناه وأمتحنه .

وعن الإمام الصادق عليه السلام (قال رسول الله صلى الله عليه وآله : خلق الله العقل فقال له: أدبر فأدبر، ثم قال له: أقبل فأقبل، ثم قال: ما خلقت خلقاً أحب إلى منك)^(١).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في باب محاربة الأصنام استئصالها وبيان حرية عبادتها والتزلف والتقرب بها إلى يوم القيامة .

قانون بعث النفرة من الأصنام

لقد دخل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مكة في عمرة القضاء في السنة السابعة للهجرة ولم يتعرض هو وأصحابه للأصنام التي في البيت الحرام ، أما في فتح مكة فقد توجه في اليوم الأول إلى البيت الحرام وأدى مراسم الزيارة ، وقام بكسر جميع الأصنام التي في البيت الحرام .
(وعن عبد الله بن مسعود قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نُصْبٍ، فجعل يطعنهما بعود في يده، ويقول ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^(٢)، جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد)^(٣).

(١) سورة التوبة ٤٠.

(٢) البحار ٢٢٤/١٦.

(٣) سورة الإسراء ٨١.

(٤) تفسير ابن كثير / السيرة النبوية ١١٢/٥ .

ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في المقام أمور:

الأول : بعث النفرة في النفوس من عبادة الأصنام ، وهو من أسرار نزول القرآن في مدة ثلاث وعشرين سنة .

الثاني : تضمنت السور التي أنزلت على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو في مكة ذم عبادة الأوثان ، واتخاذها وسائط للتقرب إلى الله عز وجل ، منها قوله تعالى ﴿ قَالَ اقْعُدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أَفَلَا تَعْبُدُونَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾^(١) ، ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾^(٢) .

الثالث : كانت الأمم والطوائف إذا مات نبي أو عبد صالح نصبوا له تمثالاً يتقربون ويستشفعون به إلى الله ، ثم صاروا يسألونه حاجاتهم ، فجاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بكلمة التوحيد ، والإنقطاع إلى الله عز وجل ، وفي التنزيل ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾^(٣) . وعن الإمام علي عليه السلام (عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة ولا كلب ولا جنب)^(٤) .

والمراد من الصورة في الحديث أعلاه التمثال ، قال تعالى ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾^(٥) .

(١) سورة الأنبياء ٦٧-٦٧ .

(٢) سورة الأنبياء ٩٨ .

(٣) سورة فاطر ١٥ .

(٤) الثعلبي / الكشف والبيان ١٧/٥ .

(٥) سورة الأعراف ١٣٨ .

وانقطعت برسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عبادة الأصنام في الجزيرة والبلاد الإسلامية وصار الناس يدركون في كل زمان وإلى يومنا هذا قبح عبادة الأصنام والتوسل بالأحجار والتضرع إليها .
(وقال سلمان : دخل رجل الجنة في ذباب ، ودخل رجل النار في ذباب .

قالوا : وما الذباب؟ فرأى ذباباً على ثوب إنسان فقال : هذا الذباب .
قالوا : وكيف ذلك؟ قال : مر رجلان مسلمان على قوم يعكفون على صنم لهم ، لا يجاوزه أحد حتى يقرب له شيئاً .
فقالوا لهما : قربا لصنمنا قرباناً . قالوا : لا نشرك بالله شيئاً . قالوا : قربا ما شئتما ولو ذباباً . فقال أحدهما لصاحبه : ما ترى قال أحدهما : لا أشرك بالله شيئاً . فقتل فدخل الجنة . فقال الآخر : بيده على وجهه ، فأخذ ذباباً فألقاه على الصنم ، فخلوا سبيله ، فدخل النار^(١) .

صفات النبي (ص)

ليس من صورة متوارثة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فلم تكن العرب تميل إلى رسم صور الأشخاص وإن كانت هذه الصناعة موجودة في أمم أخرى ، نعم وردت الأخبار المستفيضة في بيان صفة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

(وعن الزهري عن أنس قال لم يكن أحد أشبه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم من الحسن بن علي وأخرج البخاري في الحسين نحو هذا أيضاً من حديث محمد بن سيرين قال : أتني عبيد الله بن زياد برأس الحسين (عليه السلام) فجعل في طست فجعل ينكت وقال في حسنه شيئاً ، فقال أنس كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان مخضوباً بالوسمة^(٢) .

(١) الدر المنثور ١٧٧/٧ .

(٢) الجمع بين الصحيحين ٤٦٤/٢ .

وتعددت الأخبار في صفة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكان التابعون وتابعو التابعين تواقين لمعرفة صفاته عليه السلام.

وقد انتقل الإمام علي عليه السلام إلى الكوفة وجعلها دار حكمه ، وصار أهلها يسألونه في علوم التفسير والفقه والأصول والمجتمع وغيرها ، ومنه (أنهم قالوا : يا علي صف لنا نبينا صلى الله عليه وآله كأننا نراه ، فإننا مشتاقون إليه.

فقال : كان نبي الله صلى الله عليه وآله أبيض اللون ، مشرباً حمرة ، أدهج^(١) العين ، سبط الشعر^(٢) ، كثف اللحية^(٣) ، ذا وفرة^(٤) ، دقيق المسربة كأنما عنقه إبريق فضة ، يجري في تراقيه^(٥) الذهب.

له شعر من لبتة^(٦) إلى سرتة كقضيبي خيط إلى السرة ، وليس في بطنه ولا صدره شعر غيره ، شثن الكفين^(٧) والقدمين ، شثن الكعبين ، إذا مشى كأنما يتقلع^(٨) من صخر ، إذا أقبل كأنما ينحدر من صبيب.

إذا التفت التفت جميعاً بأجمعه كله^(٩) ، ليس بالقصير المتردد ، ولا بالطويل المتعطف ، وكان في الوجه تدوير .

إذا كان في الناس غمرهم^(١٠) ، كأنما عرقه في وجهه اللؤلؤ ، عرفه أطيب من ريح المسك .

(١) الدهج : شدة سواد العينين مع سعتهما .

(٢) مسترسل الشعر .

(٣) كثف اللحية : الكثيف أي المجتمع المجمع من غير طول .

(٤) الوفرة : الشعر الذي يبلغ شحمة الإذن .

(٥) التراقي : جمع ترقوة ، وهو مقدم الحلق في أعلى الصدر .

(٦) اللبة : المنخر .

(٧) شثن الكفين : خشن الكفين وهو مادة مدح للرجال ، أما النساء فيمدحن بنعومة الكفين .

(٨) يتقلع : كأنه يرفع رجله من الأرض بقصد وجد ، وليس مثل الذي يمشي اختيلاً .

(٩) أي أنه لا يسارق النظر وأنه لا يلوي عنقه يمنة ويسره .

ليس بالعاجز ولا بالليليم، أكرم الناس عشرة ، وألينهم عريكة^(٢)، وأجودهم كفاً.

من خالطه بمعرفة أحبه ، ومن رآه بديهة هابه، عزه بين عينيهِ^(٣)، يقول باغته لم أر قبله ولا بعده مثله ، صلى الله عليه وآله تسليماً^(٤).

و(عن جابر قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام: صف لي نبي الله عليه السلام قال : كان نبي الله عليه السلام أبيض مشرب حمرة، أدعج العينين، مقرون الحاجبين ، شثن الاطراف كأن الذهب افرغ على برائنه عظيم مشاشة المنكين .

إذا التفت يلتفت جميعاً من شدة استرساله، سرته سائلة، من لبته إلى سرته كأنها وسط الفضة المصفاة و كأن عنقه إلى كاهله إبريق فضة، يكاد أنفه إذا شرب أن يرد الماء، وإذا مشى تكفأ كأنه ينزل في صبيب، لم ير مثل نبي الله قبله ولا بعده صلى الله عليه وآله^(٥).

ولإجماع علماء الإسلام على تحريم تصوير شخصية النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو نحته مجسماً بتمثال وهو لا يكون مطابقاً للأصل ، فلا يعدو أن يكون كذباً .

وهل هو من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، الجواب لا ، لأن القدر المتيقن من الحديث

(١) الإغمرار من صيب مشية بعزم وهمة واتزان وشجاعة وكان الأرض تطوى له مشية اعتدال وسكينة وقوة ، قال تعالى ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ .

(٢) العريكة : الطبيعة ، ولين العريكة أي سلس الخلق.

(٣) عزه بين عينيهِ : تجلي علامات العز في وجهه قبل أن يعرف بشخصه ، وفي الثناء على النبي محمد وأصحابه قال تعالى ﴿سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ .

(٤) البحار ١٦/١٤٧.

(٥) الكليني / الكافي ١/ ٦٥١ .

هو الكذب في الحديث ، ونسبة قول للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يقله .

وعن (أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعداً من بين عيني جهنم .

قالوا : يا رسول الله وهل لجهنم من عين؟
قال : نعم . أما سمعتم الله يقول { إذا رأتهم من مكان بعيد }^(١) فهل تراهم إلا بعينين .

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق خالد بن دريك عن رجل من الصحابة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من يقل علي ما لم أقل أو ادعى إلى غير والديه ، أو انتمى إلى غير مواليه ، فليتبوأ بين عيني جهنم مقعداً . قيل : يا رسول الله وهل لها من عينين؟ قال : نعم .

أما سمعتم الله يقول { إذا رأتهم من مكان بعيد }^(٢) (٣) .
وعن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم : لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة.

(قال أبو رافع : جاء جبرئيل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاستأذن عليه فأذن له فأبطأ وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ردائه فخرج فقال : قد أذنا لك يا رسول الله ، قال : أجل يا رسول الله ولكننا لا ندخل بيتاً فيه صورة ولا كلب فنظروا فإذا في بعض بيوتهم جرو)^(٤) .

(١) سورة الفرقان ١٢.

(٢) سورة الفرقان ١٢.

(٣) الدر المنثور ٣٣٥/٧.

(٤) الثعلبي / الكشف والبيان ١٧/٥ .

والمراد من الصورة التمثال والصنم ، ومن معناها التشبيه بخلق الله عز وجل ، مع العجز عن الإتيان بمثله ، لذا تحرم تماثيل ذوات الأرواج وقيل أنها وسيلة للشرك.

ولا يشمل النهي والحرمة الرسم والتصوير الفوتغرافي المتعارف في هذا الزمان خاصة وأنه حاجة ووثيقة في المعاملات والمراد من التصوير الوارد في الحديث هو التمثال والنحت والأصنام ، ولم يكن العرب أيام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يعرفون رسم الصور والفوتغراف إنما كان النهي لاجتناب عبادة الأصنام التي كانت في الجزيرة العربية .

ومن أسباب صناعة الأصنام أنه إذا مات الرجل الصالح حزنوا عليه ، وبنوا له تمثالاً ليزوروه ، ويعظموه .

ومن الأقوام من يبنون على قبر الصالح من قومهم مسجداً ليعبدوا الله فيه.

قانون الإيمان حاجة

تصاحب الحاجة الإنسان في كل يوم من أيام حياته ، ولا تنحصر هذه الحاجة بالفرد بل تلازمه الحاجة للأسرة والجماعة والطائفة والأمة والناس جميعاً .

لذا ورد خطاب ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ في القرآن عشرين مرة في أمور العبادات والمعاملات ، وأحوال الدنيا والآخرة ، وحاجة الإنسان وفق القياس الإقتراني :

الكبرى : كل ممكن محتاج .

الصغرى : الإنسان ممكن .

النتيجة : الإنسان محتاج .

ومن رحمة الله عز وجل أنه لم يترك الإنسان حبيس حاجته بل جعل الدنيا دار قضاء الحاجات الخاصة والعامة ولأموال الدين والدنيا ، لذا تفضل وبعث الأنبياء لصلاح أجيال الناس ، والإنتفاع الأمثل من نعم الله عز وجل

، قال تعالى ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١).

وليس من حصر لمواضيع البشارة والإنذار التي جاء بها الرسل وقد اختص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في المقام بأمور :

الأول : بيان القرآن لحاجات الدنيا والآخرة ، قال تعالى ﴿وَرَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾^(٢).

الثاني : قانون السنة النبوية هداية وصلاح للناس .

الثالث : مجئ الإسلام بتكامل الفرائض العبادية بما يجعل المؤمن منقطعاً إليها ، وصيرورته في غبطة وسعادة عند أدائها ، قال تعالى ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٣).

شواهد على مكر وخبت المشركين

مصاديق ﴿وَيَتَكْرَهُنَّ﴾ في ذم الذين كفروا من قريش كثيرة منها :

الأول : يمحرون لقتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في فراشه .

الثاني : ويمكرون بهجومهم في معركة بدر .

الثالث : ويمكرون بغزوهم المدينة في معركة أحد ، والتي يسميها المفسرون وكتاب السيرة والمؤرخون غزوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمشركين في معركة أحد بينما جاء ثلاثة آلاف منهم بأسلحتهم وخيلهم وأشرفوا على المدينة يرومون استباحتها .

الرابع : ويمكرون في معركة الخندق بزحف عشرة آلاف من المشركين لقتال النبي وأصحابه .

(١) سورة الأنعام ٤٨.

(٢) سورة النحل ٨٩.

(٣) سورة الرعد ٢٨.

الخامس : بعث رؤساء قريش أشخاصاً لإغتيال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة .

ومنه بعث صفوان بن أمية عمير بن وهب لقتل النبي ومكائد أبي سفيان قبل إسلامه ، لبيان اتصال مكر قريش ضد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حتى في يوم معركة حنين .

وهل قوله تعالى ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾ خاص بكفار قريش ، الجواب لا ، لأصالة الإطلاق .

السادس : تقدير قوله تعالى ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(١) (ويمكر كفار قريش ويمكر غيرهم).

ليكون في الآية إخبار عن قيام هوازن وثقيف بالهجوم على المسلمين في معركة حنين بعد فتح مكة .

وصحيح أن الآية جاءت بصيغة جمع المذكر (يمكرون) إلا أنها تشمل مكر الكوافر من النساء ومنهن اللاتي جئن مع المشركين في معركة أحد لتحريضهم على القتال بالأشعار وضرب الدفوف .

ومن مكر النساء ما قامت به زينب بنت الحارث أخت مرحب إذ دست السم للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في المقام وجوه :

الأول : تلقي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المكر والكيد المتكرر من الذين كفروا .

الثاني : تحلي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر والحلم والدعوة إلى الله ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(١) .

الثالث : تجدد وتوالي مكر الكفار بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتعدد وجوه هذا المكر .

الرابع : صرف الله عز وجل مكر الكفار عن النبي محمد ، وفي التنزيل ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾^(٢).

خصائص ليلة الهجرة

مثلما هاجر كثير من الأنبياء فقد هاجر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولكن هجرته تتصف عن هجرة الأنبياء بمسائل إعجازية ، وآيات باهرة وتوثيق من عند الله عز وجل منها :

الأولى : لم يهاجر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من مكة إلا بعد أن عزم المشركون على قتله في تلك الليلة التي هاجر فيها .
إذ أمر الله عز وجل جبرئيل أن يهبط إلى الأرض ويخبر النبي محمداً بخطة قريش ويأمره بالأبييت في فراشه ليهاجر إلى المدينة ، وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ينتظر الإذن بالهجرة فجاء الأمر على نحو الإضطراب الفوري والضرورة ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾^(٣).

ومن الشواهد على حضور الملك والوحي عند النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بإذن الله عند الحاجة ، فليس ثمة مسافة بين السماء والأرض ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَكَلَّمَ مَلَكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٤).

(١) سورة المائدة ٦٧.

(٢) سورة الزمر ٣٦.

(٣) سورة الزمر ٣٦.

(٤) سورة آل عمران ١٨٩.

و(عن أبي رافع في هجرة النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم قال: وخلفه النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم - يعني خلف علياً - يخرج إليه بأهله، وأمره أن يؤدي عنه أمانته ووصايا من كان يوصي إليه، وما كان يؤتمن عليه من مال، فأدى علي أمانته كلها . وأمره أن يضطجع على فراشه ليلة خرج، وقال: إن قريشاً لم يفقدوني ما رأوك. فاضطجع على فراشه .

وكانت قريش تنظر إلى فراش النبي صلى الله عليه وسلم فيرون عليه علياً، فيظنون أنه النبي صلى الله عليه وسلم، حتى إذا أصبحوا رأوا عليه علياً عليه السلام.

فقالوا : لو خرج محمد لخرج بعلي معه، فحبسهم الله بذلك عن طلب النبي حين رأوا علياً، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم علياً أن يلحقه بالمدينة، فخرج علي في طلبه بعدما أخرج إليه أهله يمشي الليل ويكمن النهار، حتى قدم المدينة .

فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم قدومه قال: ادعوا لي علياً. قيل: يا رسول الله، لا يقدر أن يمشي. فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم، فلما رآه اعتنقه وبكى، رحمة لما تقدمه من الورم، وكانتا تقطران دماً . فتفل النبي صلى الله عليه وسلم في يديه، ومسح بهما رجليه، ودعا له بالعافية فلم يشتكهما حتى استشهد رضي الله تعالى عنه^(١).

ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الهجرة في ذات الليلة التي أراد المشركون قتله فيها على فراشه بمكر وخطة متقنة ، قال تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(٢).

(١) ابن الأثير / أسد الغابة ٢/ ٢٩٢ .

(٢) سورة الأنفال ٣٠ .

ولو غاب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن فراشه تلك الليلة من غير أن يغادر مكة فهل يكفون عنه ، أم يقتلوه ولو في وضح النهار ، الجواب هو الثاني .

الهجرة نجاة من القتل

من خصائص الأنبياء اجتهادهم في الجهاد في سبيل الله ﴿بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^(١) ، وتلقيهم الأذى الشديد في سبيل الله .

وقد اضطر عدد من الأنبياء إلى الخروج من أرضهم ومغادرة قومهم ، وقد هاجر إبراهيم عليه السلام في الأرض ، وتنقل بين العراق والشام ، ونزل السبع^(٢) من أرض فلسطين وأرض الحجاز فراراً بدينه ، واجتهاداً في الدعوة إلى الله مع طلب الأمان ، وخرج مع إبراهيم عليه السلام لوط عليه السلام ، قال تعالى ﴿فَأَمْنٌ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٣) .

وقال تعالى ﴿وَجَعَلْنَاهُ لُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾^(٤) يعني الشام ، وبركها أن منها بعث أكثر الأنبياء وهي أرض خصبة كثيرة الأشجار والأنهار والثمار يطيب فيها عيش الفقير والغني . وروى العوفي عن ابن عباس في قوله ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ قال : يعني مكة ونزول إسماعيل^(٥) .

ومن أسباب تسمية عيسى بن مريم المسيح أنه كان يسبح في الأرض .

(١) سورة النحل ١٢٥ .

(٢) وتسمى بئر السبع .

(٣) سورة العنكبوت ٢٦ .

(٤) سورة الأنبياء ٧١ .

(٥) الثعلبي / الكشف والبيان ١٢٩/٩ .

(كان يمسي بأرض ويصبح بأخرى)^(١).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هجرته من مكة بعد أن صار القتل قريباً منه ، ولم يفصله عنه إلا ثلاث أو أربع ساعات إذ اجتمع نفر من شباب قريش عند باب داره وانتظروا وقت السحر ليقتلوه في فراشه .

فأمره جبرئيل بالهجرة إلى المدينة ، فلم تقع مثل هذه الهجرة لأي من الأنبياء خاصة وأنه سار في طريق مملوء بالمخاطر ، ويلاحقه رجال قريش ، إذ جعلوا جعلاً وجائزة لمن يأتي بالنبي محمد حياً أو ميتاً .

وعن (سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشَمٍ ، قَالَ لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ مُهَاجِرًا إِلَى الْمَدِينَةِ ، جَعَلَتْ قُرَيْشٌ فِيهِ مَائَةَ نَاقَةٍ لِمَنْ رَدَّهُ عَلَيْهِمْ . قَالَ فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ فِي نَادِي قَوْمِي إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنَّا ، حَتَّى وَقَفَ عَلَيْنَا .

فَقَالَ وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ رَكْبَةَ ثَلَاثَةِ مَرَوَاتٍ عَلَيَّ أَنفًا ، إِنِّي لَأَرَاهُمْ مُحَمَّداً وَأَصْحَابَهُ قَالَ فَأَوْمَاتُ إِلَيْهِ بَعِينِي : أَنْ أَسْكُتَ ثُمَّ قُلْتُ : قَلِيلًا ، إِنَّمَا هُمْ بَنُو فَلَانٍ يَتَّبِعُونَ ضَالَّةً لَهُمْ قَالَ لَعَلَّهُ ثُمَّ سَكَتَ . قَالَ ثُمَّ مَكَثْتُ ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ بَيْتِي ، ثُمَّ أَمَرْتُ بِفَرَسِي ، فَقِيدَ لِي إِلَى بَطْنِ الْوَادِي ، وَأَمَرْتُ بِسِلَاحِي ، فَأَخْرَجَ لِي مِنْ دُبُرِ حَجْرَتِي ، ثُمَّ أَخَذْتُ قِدَاحِي الَّتِي أُسْتَقْسَمُ بِهَا ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ ، فَلَبِستُ لَامَتِي ثُمَّ فَخَرَجَ السَّهْمُ الَّذِي أَكْرَهُ لَا يَضُرُّهُ .

قَالَ وَكُنْتُ أَرْجُو أَنْ أُرَدَّهُ عَلَى قُرَيْشٍ ، فَأَخَذَ الْمَائَةَ النَّاقَةَ . قَالَ فَرَكِبْتُ عَلَى أَثَرِهِ فَبَيْنَمَا فَرَسِي يَشْتَدُّ بِي عَثَرِي ، فَسَقَطْتُ عَنْهُ . قَالَ فَقُلْتُ : مَا هَذَا ؟ قَالَ ثُمَّ أَخْرَجْتُ قِدَاحِي فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا فَخَرَجَ السَّهْمُ الَّذِي أَكْرَهُ " لَا يَضُرُّهُ .

قَالَ فَأَيُّتُ إِلَّا أَنْ أَتْبَعَهُ . قَالَ فَرَكِبْتُ فِي أَثَرِهِ فَبَيْنَا فَرَسِي يَشْتَدُّ بِي ، عَثَرِي ، فَسَقَطْتُ عَنْهُ .

فَقُلْتُ : مَا هَذَا ؟ ، قَالَ ثُمَّ أَخْرَجْتَ قَدَاحِي فَاسْتَقْسَمْتَ بِهَا فَخَرَجَ السَّهْمُ الَّذِي أَكْرَهَ " لَا يَضُرُّهُ " قَالَ فَأَيَّيْتُ إِلَّا أَنْ أَتْبِعَهُ فَرَكِبْتُ فِي أَثَرِهِ . فَلَمَّا بَدَأَ لِي الْقَوْمُ وَرَأَيْتُهُمْ عَثَرِي بِفَرَسِي ، فَذَهَبَتْ يَدَاهُ فِي الْأَرْضِ وَسَقَطَتْ عَنْهُ ثُمَّ انْتَرَعَ يَدَيْهِ مِنَ الْأَرْضِ وَتَبِعَهُمَا دَخَانٌ كَالْإِعْصَارِ . قَالَ فَعَرَفْتُ حِينَ رَأَيْتُ ذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ مَنَعَ مِنِّي ، وَأَنَّهُ ظَاهِرٌ .

قَالَ فَنَادَيْتُ الْقَوْمَ فَقُلْتُ : أَنَا سَرَّاقَةٌ بَنُ جُعْشُمَ : أَنْظِرُونِي أَكَلِمَكُمْ فَوَاللَّهِ لَا أُرِيكُمْ وَلَا يَأْتِيكُمْ مَعِيَ شَيْءٌ تَكْرَهُونَهُ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ : قُلْ لَهُ وَمَا تَبْتَغِي مِنَّا ؟ قَالَ فَقَالَ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ ، قَالَ قُلْتُ : تَكْتُبُ لِي كِتَابًا يَكُونُ آيَةً بَيْنِي وَبَيْنَكَ . قَالَ أَكْتُبْ لَهُ يَا أَبَا بَكْرٍ فَكَتَبَ لِي كِتَابًا فِي عَظْمٍ أَوْ فِي رُقْعَةٍ أَوْ فِي خَزَفَةٍ ثُمَّ أَلْقَاهُ إِلَيَّ فَأَخَذْتُهُ ، فَجَعَلْتُهُ فِي كِنَانَتِي ، ثُمَّ رَجَعْتُ ، فَسَكَتَ فَلَمْ أَذْكَرْ شَيْئًا مِمَّا كَانَ حَتَّى إِذَا فَتَحَتْ مَكَّةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَرَّغَ مِنْ حَنِينٍ وَالطَّائِفِ ، خَرَجْتُ وَمَعِيَ الْكِتَابُ لِأَلْقَاءِ فَلَقِيْتُهُ بِالْجِعْرَانَةِ . قَالَ فَدَخَلْتُ فِي كِتَابِيَّةٍ مِنْ خِيَلِ الْأَنْصَارِ .

قَالَ فَجَعَلُوا يَقْرَعُونَنِي بِالرَّمَاكِ وَيَقُولُونَ إِلَيْكَ إِلَيْكَ ، مَاذَا تُرِيدُ ؟ قَالَ فَدَنَوْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ وَاللَّهُ لَكَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى سَاقِهِ فِي غَرَزِهِ كَأَنَّهَا جُمَارَةٌ . قَالَ فَرَفَعْتُ يَدِي بِالْكِتَابِ ثُمَّ قُلْتُ . قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ وَفَاءٍ وَبِرٍّ أَدْنَاهُ قَالَ فَدَنَوْتُ مِنْهُ^(١) .

النبوة والغيب

من خصائص الأنبياء الإخبار عن الغيب مما أذن الله عز وجل لهم وتحتمل النسبة بين ما علمه النبي من الغيب وما أخبر به الناس وجوهاً :
الأول : نسبة التساوي بين ما علمه النبي والرسول وما أخبر به الناس .

(١) الروض الأنف ٢/ ٣٢١ .

الثاني : نسبة العموم والخصوص المطلق ، وأن الذي يخبر به النبي الناس أخص مما علمه الله .

الثالث : نسبة التساوي عند شطر من الأنبياء ، ونسبة العموم والخصوص المطلق عند الشطر الآخر .

المختار هو الثاني ليكون من خصائص النبي محمد احاطته بعلوم من الغيب لا يعلمها أحد من المسلمين ، وقيد نفي علم المسلمين به لإحتمال علم الأنبياء السابقين به ، وأنه من مصاديق قوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١). وعن أنس (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا)^(٢).

(وعن أبي ذر قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾^(٣) حتى ختمها، ثم قال: إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون ، أظن السماء وحق لها أن تظ ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك واضع جبهته ساجدا لله .

والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجارون إلى الله عز وجل)^(٤). وهل من خصائص النبي محمد أن علمه أكثر من علم الأنبياء السابقين ، الجواب نعم وهذا القول لا يتعارض مع ما ورد أعلاه ، ومن الشواهد عليه قوله تعالى ﴿وَرَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٥).

(١) سورة البقرة ٣١.

(٢) مسند أحمد ٤٤٠/٢٥.

(٣) سورة الإنسان ١.

(٤) البحار ١٠٧/٥٥.

(٥) سورة النحل ٨٩.

قال تعالى ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَتَانًا يَبْعَثُ﴾^(١).

وقال تعالى ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٢).

الإخبار عن المغيبات

من مصاديق التوحيد اختصاص الله عز وجل وحده بعلم الغيب والإحاطة به ، وتعجز الخلائق وإن اجتمعت عن الإحاطة بمعشار من علم الغيب .

نعم يتفضل الله عز وجل على طائفة من خلقه كالملائكة والأنبياء بعلم جانب ومصاديق من الغيب ، والنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم سيد المرسلين ، وقد أمره الله عز وجل بالقول ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(٣) .

وفيه دعوة للمسلمين لمعرفة علوم من الغيب ومنها في ثنايا آيات القرآن ، ومنها في الوقائع والأحداث الحاضرة ، والتي في المستقبل .

ومن حوادث كتيبة بني المصطلق أنه هاجت ريح شديدة ضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلاً وعند الصباح قال (مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة .

قيل : من هو ؟ قال: رفاعه، فقال رجل من المنافقين : كيف يزعم أنه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقتة ، ألا يخبره الذي يأتيه بالوحي .

(١) سورة النمل ٦٥ .

(٢) سورة هود ٤٩ .

(٣) سورة يونس ٤٩ .

فأتاه جبرئيل فأخبره بقول المنافق وبمكان الناقة ، وأخبر رسول الله بذلك أصحابه .

وقال : ما أزعجني أعلم الغيب وما أعلمه ، ولكن الله تعالى أخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي هي في الشعب ، فإذا هي كما قال فجاءوا بها وآمن ذلك المنافق ، فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد في التابوت^(١).

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أن (موسى والخضر عليهما السلام اعطيا علم ما كان، ولم يعطيا علم ما هو كائن، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله اعطي علم ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، فورثناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وراثته)^(٢).

ومن علم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالمغيبات إخباره الذين يريدون اغتياله بنيتهم وعزمهم على قتله ومنها في ساعة التنفيذ .
(وعن ابن عباس قال : رأى أبو سفيان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمشي والناس يطأون عقبه.

فقال في نفسه: لو عاودت هذا الرجل القتال. فجاءه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى ضرب بيده في صدره، فقال: إذا يخزيك الله. قال: أتوب إلى الله وأستغفر الله.

وروى نحوه، مرسلًا، أبو إسحاق السبيعي، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم.

وقال موسى بن أعين، عن إسحاق بن راشد، عن الزهري، عن ابن المسيب، قال: لما كان ليلة دخل الناس مكة، لم يزالوا في تكبير وتهليل وطواف بالبيت حتى أصبحوا. فقال أبو سفيان لهند: أترى هذا من الله - ثم أصبح فغدا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له : قلت لهند أترى هذا من الله، نعم، هذا من الله .

(١) البحار ٢٠/٢٨٤.

(٢) البحار ١٧/١٤٥ .

فقال: أشهد أنك عبد الله ورسوله. والذي يحلف به أبو سفيان، ما سمع قولي هذا أحد من الناس إلا الله وهند^(١).

أي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبره ابتداء بما جرى بينه وبين زوجته هند بنت عتبة لبيان أن قيام الصحابة بالتكبير والتهليل والطواف حول البيت حتى الصباح معجزة غيرية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وشاهد على صدق رسالته وهو من رشحات قوله تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(٢).

فمع أن الآية أعلاه نزلت بخصوص صلح الحديبية فهي مقدمة لفتح مكة سلماً من غير قتال .

وصبغة السلم في فتح مكة من مصاديق صفة (المبين) للفتح ، وكذا سعته ، ومنه رسائل النبي صلى الله عليه وآله وسلم للملوك عصره يدعوهم إلى الإسلام .

ولإخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن المغيبات من الوحي ، وما أخبره الله عز وجل به ، وفيه مسائل :

الأولى : إنه من اللطف الإلهي بالناس لتصديقهم برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثانية : تقريب الناس إلى منازل الهدى والرشاد .

الثالثة : زيادة إيمان المسلمين .

الرابعة : نجاة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من محاولات الاغتيال بالمعجزة .

الخامسة : إنقاذ الناس من الآثام والتعدي على النبوة والتنزيل ، وهذا الإنقاذ من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣).

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٣١٩/١.

(٢) سورة الفتح ١.

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧.

قانون جهاد الصبر

لقد قام المشركون باخراج شطر من الأنبياء من أوطانهم ، فتلقوا الإخراج من الديار بالصبر والقبول لقوله تعالى ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾^(١) وتقدير الآية : وأخرج الكفار المؤمنين من ديارهم بغير حق ، إذ القرآن يفسر بعضه بعضاً ، قال تعالى ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾^(٢).

وأيهما أفضل وأحسن للمسلم البقاء في الديار بين ظهرائي الكفار ، أو الثواب الذي يترتب على الإخراج من الديار ، الجواب هو الثاني ، وهو الذي تدل عليه آية السياق لما فيها من الوعد الإلهي ، وقال تعالى ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾^(٣).

لقد كانت قريش تؤذي النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه عند أدائهم الصلاة ، فهاجرت طائفة منهم إلى الحبشة ، وهاجر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وأكثر أصحابه الأوائل إلى المدينة فصاروا يصلون الصلوات الخمسة بأمان وطمأنينة ، وبني النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مسجده في المدينة ليكون مزاراً لوفود المسلمين من مختلف البلاد في كل أيام السنة وإلى يومنا هذا.

ومن الآيات في المقام أنه لما تم فتح مكة لم يبق النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيها ويدير أمور الإمامة والتبليغ في أم القرى ، بل بقي فيها عدة أيام وانقلب راجعاً إلى المدينة (عن ابن عباس قال: أقام رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بمكة تسعة عشر يوماً يصلي ركعتين).

(١) سورة آل عمران ١٩٥.

(٢) سورة الحج ٤٠.

(٣) سورة البقرة ٢١٦.

وفي لفظ : أقمنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة تسعة عشر نقصر الصلاة^(١).

ليصبح الذين أخرجوا المسلمين من ديارهم من أم القرى في حال ندامة وخزي وأسف.



(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة العباد ٢٦١/٥.

معجزة نجات النبي (ص) من الإغتيال المتكرر

قال تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(١).

هذه الآية هي الآية الثلاثون من سورة الأنفال وهي مدنية نزلت بعد معركة بدر وسميت هذه السورة باسم سورة بدر ، وتتناول كيفية توزيع الأنفال والغنائم التي تركها مشركو قريش الغزاة ومنع الاختلاف بين المسلمين وجاءت الآية بصيغة (وإذ يمكر).

والمراد من يثبتوك هو يحبسوك في السجن والوثاق ، فعندما سمع رؤساء المشركين في قريش نبأ مبايعة الأنصار للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم اجتمعوا في دار الندوة لتدارك الأمر واستحضروا هجرة ثلاثة وثمانين رجلاً وتسع عشرة امرأة من المسلمين إلى الحبشة وهجرة أكثر الصحابة إلى المدينة ولم يبق إلا النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والإمام علي عليه السلام وأبو بكر، وامتناع النجاشي عن إعادتهم لقريش مع أنهم أرسلوا وفداً من عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة .

وأوصوهما بالإبتداء بالبطارقة والملا الذين يحضرون مجلس النجاشي وقدموا لهم الهدايا وافترؤا بحضرتهم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى الصحابة ، وهو من المكر الذي تذكره الآية أعلاه .

و(عن أنس عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ان اجتماعهم في دار الندوة كان يوم السبت)^(٢).

فاتفق رأي رؤساء قريش على اقتراح أبي جهل بأن يأخذوا من كل بطن غلاماً ويعطوه سيفاً فيضربون النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو نائم في فراشه ضربة رجل واحد ، فلا يقدر بنو هاشم على أخذ الثأر من قريش كلها.

(١) سورة الأنفال ٣٠.

(٢) أنظر الدر المنثور ٤٤٢/٣.

فاذا طلبوا الدية دفعوها لهم ، فنزل جبرئيل وأخبر النبي محمداً وأمره بالهجرة في ذات الليلة وأن يأمر علياً عليه السلام للمبيت في فراشه .
 وهل هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة في تلك الليلة من مصاديق ﴿يُخْرِجُوكَ﴾ وما نواه المشركون من إخراج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، الجواب بينهما عموم وخصوص من وجه .
 فمادة الإلتقاء نسبة الإخراج لهم تحقق خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مكة .

أما مادة الإفتراق فان المشركين أرادوا إخراج النبي إلى البيداء وتركه في الصحراء ليقتل أو باغراء بعض القبائل بقتله ولكن هجرة النبي طريق إعلاء كلمة التوحيد .

فهجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسبب عزم المشركين على إخراجهم وحده ، ولكن الحجة قامت عليهم بقوله تعالى ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾^(١) فأخرجه الله بالكيفية التي تضمن سلامته ، وفيه وعد بسلامته ونجاته ، وهو من مصاديق مكر ولطف الله في قوله تعالى ﴿وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(٢) .

ترى هل تخبر آية البحث عن إتحاد أو تعدد مكر قريش ، الجواب هو الثاني .

إذ تفيد الواو في ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾ التعدد والغيرية بالنسبة لمكرهم الأول فقله تعالى ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾ يتضمن إخبار واو العطف على أن مكرهم هم وغيرهم من الكفار متجدد وأنه سابق لما اتفقوا عليه في دار النبوة بقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في فراشه .

(١) سورة التوبة ٤٠ .

(٢) سورة الأنفال ٣٠ .

صوم الوصال

صوم الوصال هو صوم يومين متتابعين مع الليلة التي بينهما أو ثلاثة أيام مع الليلتين اللتين بينها أو أكثر من ذلك فملاكه وصل يوم الصيام باليوم الآخر من غير أن يأكل أو يشرب طيلة هذه المدة ، سواء في النهار أو الليل ، وهو أمر شاق على الإنسان ، وأبعد من التكليف قوله تعالى ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَسَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾^(١) .

ليكون صوم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم صوم الوصال تخصيصاً للآية أعلاه لشخص النبي محمد وحده مع بيان فضل الله عز وجل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم باطعامه وسقيه مدة الوصال ليكون هذا الإطعام مقدمة لدخول الجنة .

ويتقيد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأحكام الآية أعلاه في صيام أيام شهر رمضان ، وقد يواصل فيها .

وعن (أنس بن مالك : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وآله وسلم- وَأَصْلَ فِي آخِرِ الشَّهْرِ فَأَصَلَ النَّاسُ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وآله وسلم- فَقَالَ : لَوْ مَدَّ لَنَا الشَّهْرُ لَوَاصِلَتْ وَصَالًا يَدْعُ الْمُتَعَمِّقُونَ تَعَمُّقَهُمْ . إِنَّكُمْ لَسْتُمْ كَهَيْئَتِي إِنْ أَيْتَ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِيَنِي)^(٢) .

وكان أكثر من صيام التطوع بين الفجر وغروب الشمس ، وهو الأكثر ، وقد يصوم صوم الوصال لبيان خصوصية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في إجهاد النفس في طاعة الله ، والتزهد عن زينة الدنيا مع إنه كان الإمام والحاكم وكانت يجبى له الذهب والفضة فيوزع الزكوات والأنفال

(١) سورة البقرة ١٨٧ .

(٢) سنن البيهقي ٤٠٦/٢ .

والغنائم على المسلمين ، ويبقى صائماً ليومين واللييلة التي بينهما أو لثلاثة أيام والليلتين اللتين بينهما .

وصوم الوصال من خصائص الرسول الإكرم صلى الله عليه وآله وسلم وما شرفه الله تعالى به ، اذ ان خصائصه على قسمين :

الأول : نعمة تفوق ما يؤذن بها للآخرين كما في تعدد زوجاته صلى الله عليه وآله وسلم وزيادتهن على الأربع .

الثاني : أمور عبادية تكليفية ومنها صوم الوصال وقيام الليل .
فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصومه ولكنه نهى عنه ، لذا فان اجماع علماء الاسلام على النهي عن صوم الوصال وان اختلفوا هل هو نهى تحريم او نهى تنزيه والأول هو المختار .
ونسب الثاني إلى أكثر أهل العلم ، والأصل في النهي هو الحرمة إلا مع الدليل الصارف إلى الكراهة .

وقال المالكية بجواز الوصال إلى السحر ، لحديث أبي سعيد الخدري (أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : لا تواصلوا ، فأيكم أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر .

قالوا : فإنك تواصل يا رسول الله .
قال : إني لست كهيئتكم ، إني أبيت لي مطعم يطعمني وساق يسقيني^(١) .

ولكن ذات الحديث يدل على التباين الموضوعي بين وصال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وغيره .

بينما يرجى الصائم وجبة الأكل إلى السحر ليكون أخف لبدنه في أداء الصلاة والعبادة ، هذا إذا كان هذا الإرجاء خال من المشقة .

ويدل هذا الحديث على المعنى الإصطلاحي للوصال وهو صيام يومين مع الإمتناع عن الأكل والشرب والجماع في اللييلة التي بينهما ، كما ورد عن

(عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر)^(١).

وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿أَخْرَيْدُ اللَّهِ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^(٢)، والعزيمة هي الواجب المؤكد ، وقوله النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (إن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه)^(٣).

مسائل في صوم الوصال

في صوم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم صوم الوصال مسائل :
الأولى : إنه من مصاديق الوحي ، قال تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٤) ، وصحيح أن الآية أعلاه ذكرت النطق والقول إلا أن موضوعها أعم ويشمل صيغ الفعل من باب الأولوية ، كما أن النبي يصرح بأنه يصوم صوم الوصال ، وينهل المسلمون من صومه .
الثانية : بيان قانون شمول خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للتكاليف الشاقة.

الثالثة : بيان فضل الله عز وجل بأن الله يطعم ويسقي النبي محمداً في صيامه ووصاله .

الرابعة : شكر المسلمين لله عز وجل على حصر الصيام بساعات النهار ، ولمدة شهر من بين اثني عشر شهراً أيام السنة ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا مَعْدُودَاتِ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ

(١) الدر المنثور ٤٠١/١ .

(٢) سورة البقرة ١٨٥ .

(٣) الطبراني / المعجم الأوسط ٤٢/١٤ .

(٤) سورة النجم ٣-٤ .

يُطِيقُونَهُ فِدْيَةً طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾.

الخامسة : مع أن الله عز وجل أذن للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بزيادة الزوجات على الأربع ، فإنه يصوم بعض لياليه عن الأكل والشرب والجماع ، كجزء من صوم الوصال .

وفيه شاهد بأن كثرة زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليس عن شهوة جاحمة منه ، إنما للمقاصد السامية ومنها التآلف بين القبائل ، وفوزهم بمصاهرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفيه ثناء على نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع نيلهن لمرتبة أمهات المؤمنين ، قال تعالى ﴿النَّبِيِّ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (٣).

وبالإسناد ورد في نهج النبي صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين عن صوم الوصال يا رسول الله تواصل؟ فقال: اني لست مثلكم إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني.

مسائل في الصوم

الأولى : الذي أسلم في يوم الصيام سواء تناول المفطر او لا ، لا يجب عليه صيام ذلك اليوم فيمسك فيه تأدياً .

الثانية : الصبي اذا بلغ في اثناء النهار. المجنون إذا أفاق اثناء النهار بل والمغمي عليه اذا افاق اثناءه ولم تسبق منه نية الصيام.

الثالثة : إذا رأى المكلف في المنام ما يوجب الإحتلام وتحركت شهوته ولم يخرج المني الى الخارج، ولكنه علم انه اذا بال او استبرء خرج المني ولم يستطع حبس البول الى الغروب، فلو بال قبل الغروب لا شيء عليه.

(١) سورة البقرة ١٨٤.

(٢) سورة الأحزاب ٦.

الرابعة : إذا اتفق ان يكون عمله في السفر خلال شهر رمضان دون سائر اشهر السنة فالأقوى انه يقصر ويفطر الا اذا صدق عنوان (من عمله في السفر) أو ان السفر مقدمة لعمله .

الخامسة : إذا اجنب شخص ولم يحصل على الماء للإغتسال وهو يجهل ان التيمم يكون بدلاً عن الغسل في هذه الصورة، فلم يصم ذلك اليوم لإعتقاده بطلان صومه وجب عليه القضاء دون الكفارة لعدم تحقق صورة العمد.

السادسة : اذا ظنت احدى النساء أن حدّ النفاس أربعون يوماً واتفق ان نفاسها بدأ في العشرين من شعبان مثلاً، وبعد مدة علمت وجوب الصيام عليها فهل يجب عليها الكفارة او القضاء فقط، الاقوى هو الثاني أي القضاء فقط دون الكفارة.

قانون النصر بنداء التوحيد

بعد أن هاجر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة صار وأصحابه يؤدون صلاة الجماعة في المسجد النبوي الذي بناه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند وصوله المدينة ، ومساجد أخرى فاغتاظ كفار قريش ، قال تعالى ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(١) (٢).

وأصابهم الخنق مع نصرة الأوس والخزرج للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في دعوته إلى الله وصاروا يتدارسون الإنتقام والبطش بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه فجهزوا الجيوش لقتاله ، ف وقعت معركة بدر وأحد والخنق .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يلاقي جيوش المشركين بنداء التوحيد وهو أقوى سلاح مصاحب للنبوة.

(١) سورة آل عمران ١١٩.

(٢) أنظر الجزء السادس والثمانين من تفسيرنا (معالم الإيمان) الذي يتضمن تفسير هذه الآية الكريمة .

لقد نصر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في معارك الإسلام الأولى بنداء (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)^(١)، مع قلة أصحابه في الميدان والنقص في أسلحتهم وخيلهم ومؤنهم .

ففي معركة بدر مثلاً كان عدد المشركين تسعمائة وخمسين ، ومعهم مائة فرس وسبعمائة بعير ، بينما كان عدد أصحاب النبي محمد ثلاثمائة وثلاثة عشر ، وليس معهم إلا فرس واحدة ، وقيل معهم فرسان .

ويعتقون سبعين بعيراً (قال ابن إسحاق : وكان معهم فرسان على أحدهما المقداد بن الأسود واسمها بعزجة ، ويقال سبحة ، وعلى الأخرى الزبير بن العوام واسمها اليعسوب .

وكان معهم لواء يحمله مصعب بن عمير ، ورايتان يحمل راية المهاجرين على ابن أبي طالب (عليه السلام) والتي للأنصار يحملها سعد بن عبادة)^(٢).

وقيل (كان مع المشركين ستون فرسا وستمائة درع ، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرسان)^(٣) وستون درعا .

هذا ما كان من أمر هؤلاء في نفيهم من مكة ومسيرهم إلى بدر)^(٤). ويدل على الإعجاز في معركة بدر نسبة الله عز وجل النصر له بقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٥).

هجرة النبي إلى أنصار ومهاجرين

لقد كانت مدة نبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثاً وعشرين سنة إذ جاءه الوحي وعمره أربعين سنة في جوار البيت الحرام ، فبدأ دعوته

(١) الثعلبي / الكشف والبيان ٣٢/٥ .

(٢) ابن كثير / السيرة النبوية ٥١٠/٢ .

(٣) وردت الرواية مرة مع المسلمين فرس واحدة ومرة فرسان .

(٤) ابن كثير / السيرة النبوية ٣٨٧/٢ .

(٥) سورة آل عمران ١٢٣ .

على نحو القضية الشخصية بمفاتحة أهل بيته وأصدقائه والمقربين منه ، فأمنت به خديجة بنت خويلد والإمام علي عليه السلام حالما عرض عليهما الإسلام.

وذهب خديجة بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان عالماً بالنصرانية والتوراة فبشرها بأنه نبي آخر الزمان. ولاقى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في دعوته إلى الله في مكة أشد الأذى من كفار قريش ، ولم يرد عليه تعديهم ولم يشهر سيفاً حتى عزموا على قتله في فراشه فنزل جبرئيل في نهار تلك الليلة التي نوا فيها قتله ، وأمره بالهجرة إلى المدينة حيث قبض الله عز وجل له أنصاراً يستقبلونه فيها.

ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قدومه على أمة من الصحابة من الأنصار والمهاجرين ، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾^(١).

لقد هاجر أنبياء سابقون ولم يلقوا من المودة والعون مثل الذي لاقاه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو من خصائصه بين الأنبياء .

فقد هاجر إبراهيم وتعرض وأهله للأذى من قبل ملك مصر ، وهاجر لوط ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢).

وهاجر موسى عليه السلام من أرض مصر وتاه وقومه في الصحراء أربعين سنة .

ليهاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى مدينة يثرب ليستقبله الرجال والنساء بالبهجة والغبطة رسولاً وإماماً وينشئ من أول يوم دخلها مسجداً في وسطها شاء الله أن يكون منارة للعالمين .

(١) سورة الأنفال ٧٤.

(٢) سورة العنكبوت ٢٦.

قانون الإجتهد اليومي في الدعوة إلى الله عز وجل

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه لم يفتر في دعوته إلى الله نتيجة شدة إيذاء المشركين له ولأهل بيته وأصحابه ، وفي التنزيل ﴿وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾^(١).

وتبين الآية أعلاه موضوعية تلاوة القرآن في جذب الناس إلى الإسلام ، وتثبيت معالم الإيمان في الأرض ، وسيادة أحكام الشريعة السماوية واستدامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذا رأى زائراً للبيت الحرام قادماً من خارج مكة جلس بجواره وسأله عن نسبه وقبيلته وأخبره بنبوته ، وتلا عليه آيات من القرآن ، وسأله أن يكتم أمره عن رجالات قريش .

ومن إعجاز القرآن سرعة حفظ السامع لآيات القرآن ليكون هذا المستمع رسولاً لقومه ، ولا يكتفي بالإخبار عن نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بل يأتيهم بالشواهد على نبوته بتلاوته لآيات من القرآن واستيائه من إيذاء قريش للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومدى خشيته منهم . ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الحسية الغيرية شواهد من إسلام عدد من الصحابة وسط حملة العداء والإفتراء المنظمة التي تظافرت جهود رؤساء الكفر فيها وأنفقت قريش الأموال الطائلة في محاربة النبوة والتنزيل .



نشوء النفاق

عندما بلغ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم سن الأربعين رزقه الله عز وجل النبوي بجوار البيت الحرام وحيث مولد النبي محمد ، فأمنت به زوجته خديجة بنت خويلد والإمام علي عليه السلام في اليوم الثاني للبعثة ثم توالى دخول الصحابة الأوائل الإسلام .

ولكن واجهه رؤساء قريش بالإنكار ، إنكار الرسالة والتنزيل ، وصاروا يستهزئون منه ومن لأهل بيته ولأصحابه الأوائل .

ومن مختصات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن الذي يدخل الإسلام لا يرتد ولا يفارق أحكامه وسماع آيات القرآن ، وهو من إعجاز القرآن بأن الذي يصدق بتنزيله تثبت أقدامه في منازل الهدى والإيمان .

ومن المدد الإلهي في المقام نزول آيات القرآن تبعاً وعلى حسب الوقائع والأحداث ، وكل آية نازلة من عند الله تتضمن العلوم والذخائر وتكون لها موضوعية في منهاج الإسلام ، وسيرة المسلمين ، وعز ورفعة الإسلام المتنامية وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^(١).

ولم يكن في أيام إقامة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مكة نفاق والذي هو إخفاء للكفر والتظاهر بالإيمان والتصديق بالرسالة ، إنما كان المجتمع في مكة وما حولها على أقسام :

الأول : الصحابة المؤمنون .

الثاني : الكفار الجاحدون برئاسة أبي جهل ، وأمية بن خلف وغيرهما .

الثالث : عامة الناس الذين يرصدون ما يحدث ، ويرون الآيات تترى

على يد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ومن الآيات في المقام بلوغ آيات القرآن لأسماع أهل مكة رجالاً ونساءً وهو من أسباب دخول كثير منهم الإسلام .

ولقد اضطر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للهجرة إلى المدينة عندما عزم المشركون على قتله في فراشه ، قال تعالى ﴿وَإِذْ يُكْرِئُكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(١).

وقد سبقه مصعب بن عمير سفيراً إلى أهل يثرب ، وساهمت هذه السفارة في دخول عدد كبير من أهل المدينة الإسلام ، ومنهم بعض الرؤساء ، إذ كان مصعب بن عمير يزورهم في بيوتهم ، ويحضر امتدياتهم ، فيتلو عليهم القرآن ، ويبين معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذه السفارة وجهتها إلى يثرب ، وأوانها من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وعندما قدم مصعب مع وفد الأنصار إلى مكة في بيعة العقبة الثانية أخبر النبي محمداً عن عمله وانتشار الإسلام في المدينة ، ليكون هذا الإخبار دعوة ضمنية لهجرة النبي محمد إليها .

وعندما وصل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة وبنى المسجد النبوي لم يكن هناك نفاق فيها ، إذ كان أهل المدينة بالخيار في دخول الإسلام ، ولكن عندما انتصر المسلمون في معركة بدر وقويت شوكة الإسلام بدأ النفاق .

وصار المنافقون يثنون الإشاعات المغرضة في المدينة ويسعون في إخافة الناس من كفار قريش ، وفي صدّ الصحابة عن الدفاع عن بيضة الإسلام ، ومنهم من استحوذ على فعله الحسد للنبي ومن هؤلاء رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول مع أن أكثر هؤلاء المنافقين يحضرون الصلاة اليومية مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ولا دليل على وجود طائفة من المنافقين في حياة الأنبياء السابقين .



الأنفال من خصائص النبي (ص)

قال تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١).

نزلت الآية أعلاه في معركة بدر وعندما انتهت وكثرت الغنائم عند المسلمين والتي تركها مشركو قريش وفروا من الميدان .

لقد سأل الصحابة البديون عن مسألة ، فجاءتهم خمسة أوامر .

وتدل صيغة الجمع ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ على تعدد السؤال من الصحابة إلى النبي

محمد خاصة بعد اختلافهم في قسمتها وتوزيعها وتملكها .

فجاء الإعجاز أن الأصل هو حجب الأنفال والغنائم عنهم ، إنما هي لله

والرسول ، وتوجهت إليهم خمسة أوامر من الله وهي :

الأول : الأنفال لله والرسول وليس لكم .

الثاني : وجوب طاعة الله .

الثالث : وجوب طاعة الرسول محمد .

الرابع : لزوم تقوى الله والخشية منه ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا

اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾^(٢) ، ومن إعجاز القرآن أنه مع كل معركة من معارك

الإسلام تنزل آية تحث المسلمين على تقوى الله ، لمنع الغرور والتفريط

والغلو والإنشغال بالدنيا .

الخامس : تعاهد المسلمين لحسن الصلوات ومنع الاختلاف والشقاق

بينهم ، قال تعالى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾^(٣).

(١) سورة الأنفال ١.

(٢) سورة الأحزاب ٧٠.

(٣) سورة آل عمران ١٠٣.

ورد لفظ (يسألونك) في القرآن خمس عشرة مرة ، وكلها موجهة إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو من خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم .

وتقدير الآية : يسألونك يا رسول الله .

إذ تبين ماهية الأسئلة ومنها الأسئلة عن الساعة ويوم القيامة بأن الناس يرجعون إلى النبي محمد بلحاظ الرسالة والتسليم بنبوته وانتظار الوحي أو للإختبار ، لذا جاء الجواب في هذه الأسئلة من عند الله (قل) باستثناء واحدة .

وسبب وموضوع نزول هذه الآية هو واقعة بدر وانتصار المسلمين فيها ، ووقوع غنائم بأيدي المسلمين ، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١).

ومن تقوى الله التسليم بأن الأنفال لله والرسول . وقد تكرر الأمر بتقوى الله في كل من الآيتين آية بدر وآية الأنفال أعلاه لموضوعية الإستقامة والخشية من الله عز وجل في باب الأموال والمكاسب والغنائم .

ولم يقصد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه القتال أو الغزو في معركة بدر التي وقعت في اليوم السابع عشر من شهر رمضان ، وهذا اليوم هو الحادي عشر منه لسنة ١٤٤٦ .

فالمشركون هم الغزاة والذين أصرروا على القتال وبدأوا ، فانهزموا وتركوا الغنائم فوق الخلف بين المسلمين في كيفية قسمتها . فهذه الغنائم هي الأنفال .

وعن سعد بن أبي وقاص (قال : أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غنيمة عظيمة فإذا فيها سيف ، فأخذته فأتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : نفلني هذا السيف فأنا من علمت .

(١) سورة آل عمران ١٢٣ .

فقال : رده من حيث أخذته فرجعت به حتى إذا أردت أن ألقيه في القبض لأمتني نفسي ، فرجعت إليه فقلت : اعطنيهِ . فشد لي صوته وقال : رده من حيث أخذته ، فأنزل الله ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾^(١).

و(عن عبادة بن الصامت قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهدت معه بدرًا ، فالتقى الناس فهزم الله العدو . فانطلقت طائفة في آثارهم منهزمون يقتلون ، واكبت طائفة على العسكر يحوزونه ويجمعونه .

وأحدقت طائفة برسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب العدو منه غرة .

حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم : نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب .

وقال الذين خرجوا في طلب العدو : لستم بأحق بها منا ، نحن نفينا عنها العدو وهزمناهم . وقال الذين أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم : لستم بأحق بها منا نحن أحدقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم وخفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به ، فنزلت ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرُّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾^(٢) فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أغار في أرض العدو نفل الربيع ، وإذا أقبل راجعاً وكل الناس نفل الثلث ، وكان يكره الأنفال ويقول : ليرد قوي المسلمين على ضعيفهم^(٣).

(١) الدر المنثور ٤/٤٠٤ .

(٢) سورة الأنفال ١ .

(٣) الدر المنثور ٤/٤٠٥ .

وقوله (وكان يكره الأنفال) من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيكره الإستيلاء على أموال المشركين ، إذ أنه يرجو لهم الهداية والإيمان ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١).

وفي الصحيح (عن علي بن مهزيار قال : قال لي أبو علي بن راشد ، قلت له : أمرتني بالقيام بأمرك وأخذ حقك فأعلمت مواليك بذلك ، فقال لي بعضهم : وأي شيء حقه ؟ فلم أدر ما أجيبه ، فقال^(٢) : يجب عليهم الخمس ، فقلت : ففي أي شيء ؟ فقال : في أمتعتهم وصنائعهم ، قلت : والتاجر عليه والصانع بيده ؟ فقال : إذا أمكنهم بعد مؤونتهم^(٣) .
ليان أن الغنيمة أعم من غنائم الحرب .

وروى الشيخ الطوسي في خبر ضعيف عن عبد الله بن سنان عن الإمام الصادق عليه السلام قال : على كل امرئ غنم أو اكتسب الخمس مما أصاب لفاطمة ، ولن يلي أمرها من بعدها من ذريتها الحجج على الناس).

يوم الفرقان

وفي يوم معركة بدر السابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة اصطف الفريقان ، النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من جهة ومشركو قريش من جهة أخرى.

ولم يكن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يريد القتال ولم يثبت ما توارثه العلماء بأنه قصد الإستيلاء على قافلة أبي سفيان التي كانت تتألف من ألف بعير محملة بالبضائع .

وقد بينت في أجزاء من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان في كتيبة إستطلاع ومرابطة متنقلة ، وعرض للإسلام وأحكامه وإقامة الصلاة خارج المدينة .

(١) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٢) أي الإمام الجواد عليه السلام .

(٣) الوسائل ٢٤٠/٦ .

ولم يثبت أنه غزا قرية أو بلدة ، لذا صدرت سبعة وعشرون جزء من تفسيره للقرآن بخصوص قانون (لم يغز النبي محمد (ص) أحدا) وهي الأجزاء :

- ◆ الجزء الرابع والستون بعد المائة.
- ◆ الجزء الخامس والستون بعد المائة.
- ◆ الجزء السادس والستون بعد المائة.
- ◆ الجزء الثامن والستون بعد المائة.
- ◆ الجزء التاسع والستون بعد المائة.
- ◆ الجزء السبعون بعد المائة .
- ◆ الجزء الحادي والسبعون بعد المائة .
- ◆ الجزء الثاني والسبعون بعد المائة .
- ◆ الجزء الرابع والسبعون بعد المائة .
- ◆ الجزء السادس والسبعون بعد المائة.
- ◆ الجزء السابع والسبعون بعد المائة .
- ◆ الجزء الثامن والسبعون بعد المائة .
- ◆ الجزء الحادي والثمانون بعد المائة .
- ◆ الجزء الثاني والثمانون بعد المائة .
- ◆ الجزء الثالث والثمانون بعد المائة.
- ◆ الجزء السابع والثمانون بعد المائة .
- ◆ الجزء الثالث والتسعون بعد المائة .
- ◆ الجزء الرابع والتسعون بعد المائة .
- ◆ الجزء السادس والتسعون بعد المائة .
- ◆ الجزء الرابع بعد المائتان .
- ◆ الجزء الثاني عشر بعد المائتين .
- ◆ الجزء السادس عشر بعد المائتين .
- ◆ الجزء الواحد والعشرون بعد المائتين .

- ◆ الجزء التاسع والعشرون بعد المائتين .
- ◆ الجزء التاسع والثلاثون بعد المائتين .
- ◆ الجزء السادس والخمسون بعد المائتين .
- ◆ الجزء الواحد والستون بعد المائتين .
- ◆ الجزء السادس والستون بعد المائتين .

رمي قبضة تراب يوم بدر

قد تنزل آية قرآنية أو تحدث واقعة تجمع بين المعجزة العقلية والمعجزة الذاتية والمعجزة الغيرية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما في قوله تعالى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^(١)، إذ نزلت هذه الآية يوم بدر فقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبضة من تراب فرمى بها جيش المشركين (فقال : شأهت الوجوه فانهزموا)^(٢).

ليان أن المعجزة من عند الله (عن مكحول قال : لما كرّ علي وحمزة على شيبة بن ربيعة ، غضب المشركون وقالوا : اثنان بواحد؟! فاشتغل القتال ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اللهم إنك أمرتني بالقتال ووعدتني النصر ولا خلف لوعدك .

وأخذ قبضة من حصى فرمى بها في وجوههم فانهزموا بإذن الله تعالى ، فذلك قوله ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^{(٣)(٤)}.

ورمي النبي صلى الله عليه وآله وسلم التراب والحصىات من المعجزات الحسية الذاتية ، أما امتلاء عيون ومناخر المشركين بالتراب من تلك القبضة فهو من المعجزات الغيرية .

(١) سورة الأنفال ١٧.

(٢) الدر المنثور ٤/٤٢٩ .

(٣) سورة الأنفال ١٧.

(٤) الدر المنثور ٤/٤٢٩ .

وعلى هذا المنوال يمكن للعلماء دراسة المعجزات الذاتية والغيرية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن والسنة النبوية لتتجلى لهم وللناس آلاف المعجزات .

فضح النفاق في الكتاب والسنة

النفاق كيفية نفسانية وسلوك وأفعال تدل على ضعف الإيمان ، وعدم التخلص من الكفر في النوايا والمقاصد .

لقد تكرر ذكر المنافقين والمنافقات في القرآن ، وتضمنت آيات عديدة من القرآن ذمهم بذكر سوء فعلهم ، وضررهم على الإسلام لبيان حاجة الناس إلى التنزه عن أخلاق النفاق ، وانعكاس مفاهيم الضلالة على السلوك ، ومن هذه الآيات قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾^(١).

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَتُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ﴾^(٢).

(١) سورة البقرة ٢٠٤-٢٠٦.

(٢) سورة البقرة ٨-١٤.

﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَاقَتُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾^(١).

وتدل كثرة ذكر المنافقين في القرآن وذكر المناققات أيضاً مع تعدد الموضوع واتحاد الحكم في سوء عاقبتهم على الضرر الذي يجلبه النفاق والمنافق لولا فضل الله بنزول الآيات بخصوصه ، وما فيها من حصانة المؤمنين من الإصغاء لهم .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في المقام أمور :

الأول : مجئ السنة القولية والفعلية بالنهاي عن النفاق .

الثاني : قانون فضح المنافقين والتحذير منهم .

الثالث : قانون غنى الإسلام والمسلمين عن المنافقين .

الرابع : من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢) ،

تضاؤل النفاق ، والنقص في عدد المنافقين والمنافقات ، وهل هو من

مصاديق قوله تعالى ﴿لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا

خَائِبِينَ﴾^(٣).

الجواب القدر المتيقن من الآية أعلاه هو ميدان القتال يوم معركة أحد

وغيرها ، وحال السلم أيضاً بخصوص الذين كفروا ، أما المنافقون فهم قوم

يظهرون الإيمان ويخفون الكفر ، ويحضرون الصلوات اليومية ، ويخرجون

في السرايا .

وكل من حضور الصلاة والخروج في السرايا تهذيب للنفوس ، وإصلاح

لعمل الجوارح نعم هلاك طائفة من الذين كفروا ، زاجر للمنافقين ، ودعوة

(١) سورة آل عمران ١٦٧.

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٣) سورة آل عمران ١٢٧.

لهم للتوبة والإنابة لبيان قانون تضاول النفاق وأثره في المجتمعات من مصاديق قانون تعدد منافع الآية القرآنية ، فترد الآية في موضوع مخصوص ولكن منافعها أعم وأكثر .

وكما اختص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بتلقي الأذى بظهور النفاق والمنافقين أيام رسالته ، فانه اختص بنقص عدد المنافقين بين ظهرائي المسلمين ولم يغادر إلى الرفيق الأعلى إلا وقد انحسرت أضرار النفاق ببركة آيات القرآن التي تفضح المنافقين وبقيام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالتحذير من النفاق ولتوالي المعجزات .

قانون تضاول النفاق

النفاق هو إظهار الإيمان قولاً أو فعلاً مع إضممار الكفر وإخفاء الجحود برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن مختصات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم محاربته للنفاق ووجود طائفة من المنافقين بين ظهرائي المسلمين ومحاربة القرآن والنبي لهم ، ويحضر المنافقون معهم صلاة الجماعة ، ويخرجون معهم في الكتائب والسرايا ، ولكن ما أن يجدوا فرصة للنيل من الإسلام حتى يظهروا ما في سرائرهم ويشبطوا العزائم ، وينشروا الإشاعات التي تبعث الإرباك والكدورة في نفوس المسلمين وعوائلهم ، قال تعالى ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُتَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَتُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١).

لقد كانت مدة النبوة ثلاثاً وعشرين سنة ، منها عشرة سنة قضاها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مكة ، وليس فيها نفاق ومنافقون ، وكذا في السنة الأولى من هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ولكن

(١) سورة الأحزاب ٦٠.

النفاق نشأ في المدينة بعد انتصار المسلمين في معركة بدر بمعجزة ومدد من عند الله عز وجل .

فأظهر الكفار الإيمان ونطقوا بالشهادتين من غير تسليم برسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد أُنذِرهم الله عز وجل ، قال تعالى ﴿لَنْ يَكُنَ لَكَ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١).

وذكرت هذه الآية ثلاثة أصناف :

الأول : المنافقون .

الثاني : الذين في قلوبهم مرض .

الثالث : المرجفون في المدينة ، الذين يشيعون الأخبار الكاذبة عن سرايا الإسلام ويقعون في الناس بأنهم قتلوا أو سيهزمون ويقتلون .

ويحتمل وجهين :

الأول : التعدد في هذه الفئات .

الثاني : الإتحاد وأنهم داخلون في المنافقين .

والمختار هو الأول لأصالة الظاهر بافادة واو العطف المغايرة والتعدد ، ليتجلى إعجاز الآية باشتراك هذه الفئات والجماعات بمحاربة الإسلام والسعي للإضرار بالنبوة والتنزيل ، وفي داخل المدينة وخارجها ، ومنه القيام ببث الأخبار الكاذبة عن قوة جيوش المشركين ، وعن وقوع قتلى وأسرى في صفوف سرايا الإسلام كذباً .

فيقولون للمرأة قُتل زوجك ، ويقولون للأب لم أذنت بخروج ولدك في السرية الفلانية وأنه سيكون إما مقتولاً أو أسيراً .

وأيهم أكثر ضرراً على الإسلام من هؤلاء الأفراد الثلاثة ، المختارهم المنافقون بلحاظ تتبع صفاتهم المذمومة في القرآن والسنة وتعدد ضررهم اليومي وإتساع دائرته لوجودهم بيم ظهراني المسلمين .

وعن عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ثلاث من كن فيه فهو منافق . إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان . وتلا هذه الآية ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ﴾^(١) إلى آخر الآية)^(٢) وفيه تحذير إلى يوم القيامة من خصال النفاق .

وفي المرسل عن الإمام الصادق عليه السلام قال (قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ثلاث من كن فيه كان منافقا وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم ، من إذا ائتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، إن الله عز وجل قال في كتابه : إن الله لا يحب الخائنين)^(٣).

قانون نزول الملائكة لنصرة النبي (ص)

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم التي تفضل الله عز وجل بها نزول الملائكة لنصرته عند اشتداد القتال ، وهل يختص نزولها بالآيات الواردة بخصوص معركة بدر ، ومعركة أحد ، والخندق ، الجواب لا ، قال تعالى ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾^(٤) إذ تدل صيغة المضارع على تجدد نزول الملائكة ، وهو أحد طرق نصر الله عز وجل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وفي قوله تعالى ﴿إِذ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدِّمٌ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِن عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ^(٥) ، أخرج ابن جرير عن الإمام علي عليه السلام

(١) سورة التوبة ٧٥.

(٢) الدر المنثور ١٢١/٥.

(٣) البحار ١٠٨/٦٩.

(٤) سورة آل عمران ١٢٥.

(٥) سورة الأنفال ٩-١٠.

(نزل جبريل عليه السلام في ألف من الملائكة عن ميمنة النبي صلى الله عليه وسلم وفيها أبو بكر رضي الله عنه ، ونزل ميكائيل عليه السلام في ألف من الملائكة عن ميسرة النبي صلى الله عليه وسلم وأنا في الميسرة)^(١).

(وقال ابن عباس : بينما رجل من المسلمين يشتد في أثر رجل من المشركين إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت لفارس يقول قدم حيزوم ونظر إلى المشرك أمامه خرّ مسلقياً.

فنظر إليه فإذا هو قد حُطِمَ وشق وجهه كضربة السوط فجاء الرجل فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : صدقت ذلك من مدد السماء فقتلوا يومئذ سبعين وأسرُوا سبعين)^(٢).

وهل نزول الملائكة من مصاديق نسبة النصر في معركة بدر إلى استجابة الدعاء ، الجواب هو من وجوه نسبة النصر إلى الله في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدُرٍّ وَآتَمَّ أَذِلَّةً فَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٣) ولقوله تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٤).

قانون الإمتناع عن الفرار

من معجزات وخصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه لا يهزم من ساحة الميدان ، وهو من الشواهد على حفظ الله عز وجل له بالمعجزة ورجوع الصحابة إليه خلافاً للمتبادر بقيام القائد بتسهيل إنسحابه ، أو فراره وترك ميدان المعركة عند الشعور بقرب الهزيمة ، ولكن النبي محمداً يبقى في موضعه وكما في معركة حنين ليس معه يومئذ إلا نحو مائة من الصحابة في وجه عشرين ألفاً من المشركين من هوازن وثقيف مندفعين في

(١) الدر المنثور ٢/٤٢٠.

(٢) الثعلبي / الكشف والبيان ١٦/٦ .

(٣) سورة آل عمران ١٢٣.

(٤) سورة غافر ٦٠.

القتال ، ويدل قول جابر بن عبد الله الأنصاري (فَانْطَلَقَ النَّاسُ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ بَقِيَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَقَرٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَأَهْلُ بَيْتِهِ^(١)).

وفعل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين مثل ما فعله في معركة بدر إذ أخذ قبضة من تراب الأرض ورمأها في وجوه القوم ، فملأت عيونهم وأفواههم مع كثرتهم.

وفي معرفة المسلمين بقانون ثبات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في ميدان القتال ، مسائل :

الأولى : لما انهزم أكثر الصحابة في بداية هجوم هوازن وثقيف حضر في الوجود الذهني الشخصي والنوعي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يزال في مكانه ، وأنهم يعرضونه للقتل فصار هذا الحضور سبباً لإتقائهم إلى ميدان القتال بشدة بأس.

الثانية : إدراك المسلمين لقانون ثبات النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الميدان طريق النصر والظفر .

الثالثة : من خصائص النبي صلى الله عليه وآله وسلم الشجاعة والنجدة والصبر والبأس المقرون بحسن التوكل على الله .

الرابعة : ثبات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الميدان ، وعصمته من الفرار في أصعب المواقف معجزة حسية له .

الخامسة : قانون الثبات في ميدان القتال تدبير نبوي ، وفيه دعوة للمسلمين للإمتناع عن الفرار .

وثبات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الميدان من أسباب إصابة المشركين بالخوف والرعب ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿سَلِّمُوا فِي

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ٤٤٢/٢.

قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَوْسَىٰ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾.

خبيبة المشركين في معركة أحد

لقد زحف مشركو قريش وحلفاؤهم في شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة لغزو المدينة ثأراً لقتلهم السبعين يوم معركة بدر ونصر المسلمين فيها ، ولم يعلموا أن هذا النصر كان من عند الله وبمشيئته التي لا ترد ، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٢).

وصحيح أن الآية أعلاه تخبر عن نصر المسلمين في معركة بدر إلا أنها تتضمن بالدلالة الإلزامية الوعد من عند الله بالنصر في المعارك اللاحقة ، لوحدة الموضوع في تنقيح المناط ، نعم قال تعالى ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّنْ فُورِهِمْ هَذَا يَمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ (٣).

وفي سلامة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من القتل يوم أحد ، والمسلمين من الهزيمة شاهد على تحلي المسلمين بالصبر والتقوى ، فجاءت الأخبار بنزول الملائكة يوم بدر ويوم أحد .

وروى مسلم بإسناده عن سعد بن أي وقاص (قال : رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأتهما قبل ولا بعد ، يعني : جبريل وميكائيل) (٤).

فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حضور الملائكة عضداً له في معارك الدفاع ، وهو من الشواهد على أن المشركين هم الغزاة المعتدين .

(١) سورة آل عمران ١٥١.

(٢) سورة آل عمران ١٢٣.

(٣) سورة آل عمران ١٢٥.

(٤) تفسير البغوي ٩٩/٢ .

ونزلت المصيبة بالمسلمين في معركة أحد بسقوط سبعين شهيداً
 عدا الجرحى من غير أن يخسروها خاصة وأن النبي صلى الله عليه
 وآله وسلم بقى في الميدان يدافع إلى أن انسحب المشركون بخزي في
 نفس يوم المعركة ، قال تعالى ﴿لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ
 فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾^(١).

الشهادة على ثبات النبي (ص) في الميدان

من مختصات النبي صلى الله عليه وآله وسلم انبعاث الأنوار العقائدية
 والأخلاقية من سنته ذات صبغة الوحي والتي تخترق شغاف القلوب لتبقى
 منهاج صلاح وحجة متجددة إلى يوم القيامة .
 ومنها أنه الإمام في الصالحات ، والأسوة في الصبر في حال اليسر والعسر
 ، والحرب والسلم .

إن الأجيال المتعاقبة من المسلمين والمسلمات تنتظرها وقبل أن تخلق سنة
 النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لتكون لهم نبراساً وصراطاً ، فكان لا
 يفعل ولا يقول إلا ما يوصيه الله عز وجل له .

ومنها ثباته في ميدان الدفاع يوم بدر ، وأحد ، والخندق ، وحنين ،
 بتوكل وحفظ من عند الله عز وجل ، قال تعالى ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾^(٢).

و(قيل للبراء : كان النبي صلى الله عليه وسلم فيمن ولى دبره يوم حنين
 قال : والذي لا إله إلا هو ما ولى رسول الله دبره قط ، لقد رأيناه وأبو
 سفيان بن الحرث أخذ بالركاب والعباس أخذ لجام الدابة .
 وهو يقول : أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب .

قالوا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس : ناد يامعشر
 المهاجرين ويامعشر الأنصار وكان العباس رجلاً صوتياً.

(١) سورة آل عمران ١٢٧.

(٢) سورة الزمر ٣٦.

ويروى من شدة صوت العباس أنه أغير يوماً على مكة فنادى :
واصباحاه فأسقطت كل حامل سمعت صوته جنيهاً.

فجعل ينادي : يا عباد الله ، يا أصحاب الشجرة ، يا أصحاب سورة
البقرة ، وعطف المسلمون حين سمعوا صوته عطفة البقر على أولادها
فقالوا : يا لبيك يا لبيك يا لبيك وجاؤوا عنقاً واحداً فالتفت رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى عصاة من الأنصار فقال : هل معكم غيركم .
فقالوا : يا نبي الله لو عمدت إلى برك العماد من ذي يمن لكنا معك ، ثم
أقبل المشركون فالتقوا هم والمسلمون ، وتنادى الأنصار : يامعشر الأنصار
ثم^(١) قصرت الدعوة على بني الحارث والخزرج .

فتنادوا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمبتدئ
إلى قتالهم فقال هذا حين حمي الوطيس ، فأخذ بيده كفاً من (الحب)
فرماهم وقال : شامت الوجوه.

ثم قال : انهزموا ورب الكعبة ، انهزموا ورب الكعبة.
قال : فوالله ما زال أمرهم مدبراً وجدهم كليلاً حتى هزمهم الله
تعالى^(٢).

خصائص الميدان

لقد أكرم الله عز وجل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بخصائص
في ميدان الدفاع تتصف بصبغة المعجزة .
يلزم تأليف مجلد أو أكثر يختص بمعجزات الميدان من وجوه :

(١) في الأصل : أم قصرت ، فبعد أن نادوا يا معشر الأنصار ، يا معشر الأنصار ،
صاروا ينادون بالمعنى الأخص وهو يا بني الحارث بن الخزرج ، يا بني الحارث بن
الخزرج والنسبة بين الأنصار والخزرج عموم وخصوص مطلق لشمول صفة
الأنصار للأولى ، وعدد الخزرج أكثر من الأوس .

(٢) الثعلبي / الكشف والبيان ١٠٨/٦ .

الأول : نزول الملائكة لنصرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفي واقعة بدر نزل قوله تعالى ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾^(١)، ووردت النصوص والأخبار بنزول الملائكة للقتال والنصرة .

الثاني : قانون نصر الله للأنبياء .

وهل نصر الله عز وجل للأنبياء بكيفية واحدة أم متعددة ، المختار أن كل نصر من الله لنبي يختلف عن نصره للأنبياء الآخرين ، وهو من سعة فضل الله عز وجل وبيان عظيم قدرته وسلطانه ليكون نصر الله عز وجل للنبي محمد أسناها وعلى نحو متعدد مع كثرة الوسائط ، وفي كل معركة من معارك الإسلام ينصر الله عز وجل النبي محمداً نصراً يختلف عن غيره ، قال تعالى ﴿وَلَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢).

الثالث : قانون نصر الله للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الرابع : نصر الله للأنبياء وإن طال الزمن واشتد أذى المشركين لهم ولأصحابهم ، قال تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مِّثْلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ أَلَا إِنَّا نَصُرُ اللَّهَ قَرِيبٌ﴾^(٣).

الخامس : كيفية نصر الله للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ففي كل واقعة كيفية وسبل للنصر تختلف عن غيرها .

السادس : قانون الدعاء لجلب النصر .

السابع : قانون قلة عدد قتلى المسلمين في الميدان في مواجهة كثرة المشركين.

(١) سورة الأنفال ٩.

(٢) سورة آل عمران ١٨٩.

(٣) سورة البقرة ٢١٤.

الثامن : مقدمات النصر الحسية والعقلية .

التاسع : مصاديق الرحمة في الميدان لسنة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الدفاعية ، لعمومات قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ^(١) .

العاشر : بيان أفراد وشواهد لقانون لا يبدأ النبي القتال .

الحادي عشر : النصر بالوحي والآيات الكونية .

الثاني عشر : نتائج وفيض وبركة النصر الإلهي .

آية الدين مدرسة

لقد نزلت ستة آلاف ومائتان وست وثلاثون آية على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو لا يكتب وعدم كتابته معجزة له ، وشاهد على صدق نزول القرآن .

ومن الآيات ما هي طويلة وكثيرة الكلمات ، وأطول آية في القرآن هي آية الدين وعدد كلماتها (١٢٩) كلمة ، وعدد حروفها (٥٥١) .

وسميت آية الدين لأن موضوعها التداين بين المسلمين والشهادة عليه

وتوثيقه بقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلَ هُوَ فليُمْلِلْ وَلِيَّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا

تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١﴾.

لقد أكرم الله عز وجل النبي محمداً وخصه بآية الدين وتعدد الأحكام فيها ، وعمل أجيال المسلمين بها ، وسلامتها من التحريف .
وهناك ثلاث وثلاثون سورة من سور القرآن عدد كلمات كل واحدة منها أقل من عدد كلمات سورة الدين أعلاه .
ويكون عدد كلمات آية الدين أكثر من عدد سبع سور مجتمعة من القرآن.

وابتدأت آية الدين ببدء الإيمان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وفيه دعوة للمسلمين والمسلمات من جهات :

الأولى : التدبر في مضامين هذه الآية .

الثانية : التفقه في الدين .

الثالثة : العمل بمضامين آية الدين .

وإذا كان التداين يلزم نزول هذه الآية فان أحكام المعاملات تلزم الرجوع فيها إلى القرآن والسنة.

وكان مجئ آية الدين من باب المثال الأمثل في مصاديق أحكام المعاملات ولزوم العناية بها وضبطها كالبيع والشراء والإجارة ، والرهن ، والشفعة ، وقواعد الصرف ، والشركة ، والمضاربة ، والمساقاة ، والوصية ، والوديعة ، والكفالة ، والضمان ، والميراث ، وغيرها واستنباط أحكامها وسنتها من القرآن والسنة ، قال تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (٢).

وهل الآية أعلاه من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم
الجواب نعم .

(١) سورة البقرة ٢٨٢.

(٢) سورة الحشر ٧.

الرابعة : موضوعية الإشهاد في القرض والبيع .

الخامسة : الأجر والثواب في التداين ، وإمهال المعسر ، قال تعالى

﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾^(١) ، و(عن أبي اليسر : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله)^(٢) .

الخامسة : قانون ضبط القرآن والسنة للمعاملات ، ومنع الجهالة والغرر

فيها .

ومن معاني قوله تعالى ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ لزوم تعيين أجل الدين

والسلف .

و(عن ابن عباس قال : قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة وهم

يسلفون في الثمار الستين والثلاث ، فقال : من أسلف فليسلف في كيل

معلوم ، ووزن معلوم ، إلى أجل معلوم)^(٣) .

وقد وردت في آية الدين ست عشرة كلمة لم ترد في غيرها من آيات

القرآن وهي :

الأولى : (كاتب) بصيغة المفرد والرفع ، ولم يرد في القرآن الا ثلاث

مرات كلها في هذه الآية ، وورد مرة واحدة منصوباً في الآية التالية .

الثانية : (يمل) .

الثالثة : (بيخس) مضارعاً أو ماضياً .

الرابعة : (سفيهاً) منصوباً .

الخامسة : (شهيدين) بصيغة المثني .

السادسة : (تضل) بصيغة التأنيث .

(١) سورة البقرة ٢٨٠ .

(٢) الدر المنثور ٢/٢٤٨ .

(٣) الدر المنثور ٢/٢٥٢ .

السابعة : (يأب) مرتين في هذه الآية احداهما تتعلق بالكاتب ، والاخرى بالشهود.

الثامنة : (التدائين).

التاسعة : (امراتين) بصيغة المثنى المنصوب.

العاشرة : (ترضون)

الحادية عشرة : (ارتاب) بصيغة المفرد او الجمع.

الثانية عشرة : (حاضرة) صفة للتجارة.

الثالثة عشرة : (تكتبوها).

الرابعة عشرة : (تبايعتم).

الخامسة عشرة : (يضار) بصيغة المذكر.

السادسة عشرة : (يملل) مرتين في هذه الآية .

إنشاء النبي محمد (ص) سوق المدينة

كان في المدينة (يثرب) أيام قدوم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لها سوق لليهود يبيعون فيه الذهب والفضة وأدوات الزراعة لأن أهل المدينة أصحاب نخيل وزراعات .

فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم في السنين الأولى للهجرة بتأسيس سوق للمسلمين فيها .

وعن أبي أسيد الساعدي (أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : بأبي أنت وأمي إني قد رأيت موضعاً للسوق أفلا تنظر إليه .

قال : بلى ، فقام معه حتى جاء موضع السوق فلما رآه أعجبه وركضه برجله ثم قال : نعم سوقكم هذا فلا ينتفض ولا يضربن عليه خراج^(١) .

ليبان المنع من أخذ الضرائب على محلات السوق كيلا ترتفع الأسعار ، وليكون عالم البيع والشراء مفتوحاً للجميع وتكون المحلات من غير إيجار أو بدل يثقل كاهل البائع أو المشتري.

(١) الطبراني / المعجم الكبير ٢٦٤/١٩ .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم (لا يتنقض) أي لا تبني في ذات الموضع دور أو ممتلكات عامة أو خاصة .

واشتهر هذا السوق باسم (سوق المناخة) لأن الجزء الشمالي منه كان موضعاً لمناخة الإبل وسباق الخيل .

وإلى سنوات قليلة سابقة كان عندنا في النجف الأشرف سوق يسمى سوق المناخة في شارع المدينة لأن الإبل والخيول والرواحل تنوخ فيه ويأتي سكان البادية وأرباب الغنم للتبضع من النجف فتنوخ إبلهم فيه .

وفي تسعينيات القرن الماضي كنت إمام الجماعة في مسجد وحسينية الحاج شمران الكعبي في شارع المدينة وكان أحياناً يأتي بعض أهل البادية يصلون صلاة المغرب لمبيتهم في المناخة .

فهم لا يعودون للبادية وإلى مناطق الرهيمة والرحبة ومظلوم إذا حلّ عليهم الظلام خشية السلب أو فقدان الأثر أو بانتظار بيع متوجهم قبل شبكة التبليط واقتنائهم السيارات .

لذا تجد من هذا السوق صناعة الخيم والجوادر والخطب والمواد الغذائية.

ويقع هذا السوق بين مسجد المصلى ومسجد السبق ، ولا تزال معالمه باقية إلى اليوم .

ويتصف هذا السوق بأمور :

الأول : خلو السوق من المباني والمحلات الخاصة .

الثاني : من حضر أولاً في الصباح ووضع بضاعته يبقى يتاجر إلى المساء أو حين مغادرته السوق أو المكان فالسوق لمن سبق .

الثالث : عدم تحديد الأسعار في السوق ، لقاعدة الناس مسلطون على أموالهم .

الرابع : ليس من حدود معينة لسوق المناخة ، ولكنها ظاهرة على المتعارف ، وقيل بين حدي السوق نحو ألف ومائتين وخمسين متراً.

الخامس : ليس من ضرائب أو خراج تفرض على أهل السوق سواء كانت يومية أو شهرية أو سنوية .

السادس : تعطيل الأسواق ساعة النداء لصلاة الجمعة ، وهو من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١).

وسميت هذه السوق بأسماء متعددة :

الأول : سوق المناخة ، وهو المشهور .

الثاني : سوق المدينة .

الثالث : سوق بقيق الخيل .

الرابع : سوق المصلى .

الخامس : سوق البقيق .

السادس : سوق البطحاء .

السابع : سوق الزوراء .

ولم يرد في تاريخ وقصص الأنبياء قيامهم بانشاء الأسواق لينفرد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الخصوصية من بينهم ، وفيه شاهد على بناء دولة الإسلام وضبط القواعد التي تبعث على الأمن والنشاط التجاري ، وهو من البشارات باتساع تجارة المسلمين ليشكر المسلمون الله عز وجل على توالي واستدامة النعم ، قال تعالى ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطِفَكُمْ النَّاسُ فَأَوَّكُمُ وَيَدَّكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٢).

(١) سورة الجمعة ٩.

(٢) سورة الأنفال ٢٦.

تنزيه الأسواق

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تنزيه الأسواق ، ومنع الغبن والغرر والضرر في البيع والشراء والسلف وترغيب الناس باقراض غيرهم ، وذكر ما فيه من الأجر والثواب .

وعن ابن عباس قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أقرض أخاه المسلم فله بكل درهم وزن أحد وثبير وطور سيناء حسنة)^(١) .
ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما رزقه الله من الوحي وجوه :

الأول : قانون البعث على فعل الصالحات .

الثاني : قانون استحضار الآخرة وعالم الجزاء في المعاملات اليومية .
الثالث : تفسير النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لآيات القرآن ترغيب للمسلم للتفقه في الدين والإحسان إلى الآخرين .

الرابع : قانون اليسر في جني واكتساب الحسنات ، قال تعالى ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلًا﴾^(٢) .

ومنع بيع السلم إلى الحصاد والجذاد الذي يختص بوقت معلوم .
والنسبة بين القرض والسلم عموم وخصوص مطلق ، فالقرض أعم ويقع في المال وغيره ، أما بيع السلم فهو بيع جائز في الذمة .
والسلم - بفتح السين - من أنواع البيوع إذ يقوم المشتري بتسليم الثمن في مجلس العقد ، بينما يسلم البائع السلعة في وقت وأجل معلوم ، كأوان الحصاد^(٣) .

وفيه تيسير للناس ، ويسمى هذا البيع في الفقه (بيع المحاويج) .

(١) الثعلبي / الكشف والبيان ٢/ ٢٩ .

(٢) سورة الأنعام ١٦٠ .

(٣) أنظر رسالتنا العملية (الحجة) ٣/ ٩ .

إذ أن صاحب الثمرة محتاج المال للإنفاق عليها أو لأُمُور أخرى ، وهذا البيع مستثنى من نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن بيع الإنسان ما ليس عنده .

وأكد النبي صلى الله عليه وآله وسلم على موضوعية البركة في البيع ،
وتأتي هذه البركة بالصدق في المعاملة ، والإبتعاد عن الغش .

(وروى حكيم بن حزام عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما ، فإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما)^(١).

وقد نزل القرآن بأحكام السرقة التي هي آفة الأسواق قبل وأثناء وبعد
البيع ، قال تعالى ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا
مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٢).

قانون عالمية واستدامة الرسالة الخاتمة

قال الله تعالى مخاطباً النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾ (٣).

لَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِائَةً وَأَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ أَلْفَ نَبِيٍّ ، مِنْهُمْ مَنْ بَعَثَ إِلَى قَوْمِهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَأَتْلُو عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ (٤).

(١) الثعلبي / الكشف والبيان ٣/ ٣٩٣ .

(٢) سورة المائدة ٣٨.

(۳) سورة سبأ ۲۸.

(٤) سورة يونس ٧١.

وفي صالح قال تعالى ﴿وَالْيَئِسُوا أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاء تَكْثِيرُ بَيْنَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ الْيَمِّ﴾^(١).

وفي إبراهيم قال تعالى ﴿وإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

وفي لوط قال تعالى ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾^(٣).

وتكرر قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾^(٤).

كما ورد حكاية عن شعيب في التنزيل ﴿يَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمُ نُوحٍ أَوْ قَوْمُ هُودٍ أَوْ قَوْمُ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾^(٥).

وبخصوص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾^(٦)، وقال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٧).

(١) سورة العنكبوت ١٦.

(٢) سورة الأعراف ٨٠.

(٣) سورة الأعراف ٧٣.

(٤) سورة المائدة ٢٠.

(٥) سورة هود ٨٩.

(٦) سورة سبأ ٢٨.

(٧) سورة الأنبياء ١٠٧.

ليبان وظيفة النبوة الخاتمة بأنها بشارة للمؤمنين الذين يطيعون الله وإنذار للكافرين الظالمين العصاة في الناشأتين ، والقرآن يفسر بعضه بعضاً ، قال تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾^(١).

وأخبر الله عز وجل بأن وسيلة البشارة والإنذار النبوية هي القرآن ، قال تعالى ﴿بَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^(٢).

قانون الترغيب بتلاوة القرآن

لقد جعل الله عز وجل القرآن معجزة خالدة ، يترشح منها النفع العظيم للمسلمين والناس جميعاً ، وقد اثني الله عز وجل على القرآن في آيات كثيرة منها قوله تعالى ﴿الرِّكَابُ أَزْلَنَاهُ إِلَيْكَ لُتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(٣). ووصفه الله عز وجل بأنه مبارك ولم يأت هذا الوصف مجرداً ، قال تعالى ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾^(٤).

ليجمع الثناء الإلهي التوراة والإنجيل والصحف التي نزلت على الأنبياء ، وقال تعالى ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٥).
ليبان وجوب اتباع الأوامر التي جاء بها القرآن ، والإنزجار عما نهى الله عنه في القرآن ، وتشمل البركة قراءة الآية والسورة من القرآن.
(وعن أبي أمامة الباهلي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقرأوا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة)^(٦).

(١) سورة الأعراف ١٥٨.

(٢) سورة الفرقان ١.

(٣) سورة إبراهيم ١.

(٤) سورة الأنعام ٩٢.

(٥) سورة الأنعام ١٥٥.

(٦) ابن الجزي / التسهيل لعلوم التنزيل ٢٦/١ .

ولا تختص البركة بسورة البقرة بل تشمل قراءة كل سورة من القرآن وإن كانت قليلة الآيات .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن إكثاره من الترغيب بتلاوة القرآن ، وهو يعلم أنها نوع مقدمة وطريق سبل هداية ورشاد ، بالإضافة إلى الأجر والثواب بذات التلاوة ، وهل تلاوة القرآن من الصراط المستقيم في قوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١) ، الجواب نعم .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يكثر من تلاوة القرآن على المنبر ، وفي المسجد ، ويستشهد ويحتج به ، ويقوم بتفسير آياته ، ويطلب من بعض أصحابه تلاوة القرآن عليه .

وعن عبد الله بن مسعود (قال : قال لي النبي صلى الله عليه وسلم : اقرأ عليّ القرآن ، قلت : عليك أقرأ وعليك أنزل ، قال : إني أحب أن أسمع من غيري)^(٢) .

ومن ترغيب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أهل بيته وأصحابه بتلاوة وحفظ آيات وسور القرآن ما ورد (عن فضالة بن عبيد ، وتميم الداري ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : من قرأ عشر آيات في ليلة كتب له قطاران من الأجر ، والقنطار خير من الدنيا وما فيها ، فإذا كان يوم القيامة يقول ربك : اقرأ ، وارق لكل آية درجة ، حتى ينتهي إلى آخر آية معه ، يقول ربك للعبد : اقبض ، فيقول العبد بيده ، يقول يا رب أنت أعلم ، يقول : بهذه الخلد وبهذه النعيم)^(٣) .

و(جاء أبو ذر إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إني أخاف أن أتعلم القرآن ولا أعمل به، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يعذب الله قلباً أسكنه القرآن.

(١) سورة الفاتحة ٦ .

(٢) تفسير ابن كثير ٧٩/١ .

(٣) المعجم الأوسط للطبراني ٢٦٥/١٨ .

وعن عقبة بن عامر الجهني: أن النبي صلى الله عليه وآله قال: لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار^(١).

و(عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها طيب ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر).

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: استذكروا القرآن فلهو أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم بعقلها.

وعن عثمان بن عفان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: خيركم من تعلم القرآن وعلمه فإن الله يرفع بهذا القرآن أقواما ويضع آخرين^(٢).

و(عن ابن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن الله عز وجل ليهم بعذاب أهل الأرض جميعا حتى لا يريد أن يحاشي منهم أحدا إذا عملوا بالمعاصي، واجترحوا السيئات، فإذا نظر إلى الشيب ناقلي أقدامهم إلى الصلوات، والولدان يتعلمون القرآن، رحمهم وأخر عنهم ذلك)^(٣).

و(عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن هذا القرآن مآدبة الله تعالى فتعلموا من مآدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن هو جبل الله وهو النور المبين والشفاء النافع وعصمة من تمسك به ونجاة من تبعه، لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعيب).

ولا تقضى عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد، فاقرأوه فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات، أما أني لا أقول ألم حرف ولكن ألف ولام وميم ثلاثون حسنة^(٤).

(١) البحار ١٨٤/٨٩.

(٢) ابن الجزي / التسهيل لعلوم التنزيل ٢٦/١.

(٣) البحار ١٨٥/٨٩.

(٤) الثعلبي / الكشف والبيان ٢١٥/٣.

قانون اتصال المعجزة الحسية

المراد من المعجزة الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدي ، السالم من المعارضة ، وهي شاهد ودليل على صدق نبوة النبي والرسول ودعوته إلى الله ، وهي على أقسام :

الأول : المعجزة الحسية : وهي التي تدرك بالعيان فيعلمه الإنسان بواسطة حاسة البصر أو السمع أنها بينة وبرهان قاطع على صدق النبوة لأنها تغيير للماهية والحقيقة والنظام وبذا تختلف وتسمو بمراتب عن السحر الذي هو تخيل وخداع.

وتنقطع المعجزة الحسية بموت النبي الذي جاء بها ليقى سماع الناس لها وتلقي المؤمنين لها بالتصديق .

ومن معجزات الأنبياء سفينة نوح وكيف أنه كان يعمل في بنائها لسنوات في أرض يابسة ليس من نهر أو بحر قريب منه ، وينذر قومه من الشرك ومن عذاب الله إلى أن جاء الطوفان بغتة فأنجاه الله عز وجل ومن ركب معه في السفينة ، قال تعالى ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأْمُرْكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (١).

و(عن ابن عباس قال : كان في سفينة نوح ثمانون رجلاً أحدهم جرهم). وقال (محمد بن كعب القرظي: لم يكن في السفينة إلا ثمانية نفر : نوح ، وامراته ، وثلاثة بنين له سام وحام ويافث ، ونساؤهم. وقال الأعمش : كانوا سبعة نوح وثلاثة بنين له ، وثلاث كنانن له . وقال ابن إسحاق : كانوا عشرة سوى نسائهم، نوح وبنوه سام وحام ويافث وستة أناس ممن كان آمن به وأزواجهم جميعا.

وقال مقاتل: كانوا اثنين وسبعين نفراً رجلاً وامراً وبينه الثلاثة ونساءهم، فجميعهم ثمانية وسبعون، نصفهم رجال ونصفهم نساء^(١). وعن البطائني عن الإمام الكاظم عليه السلام (قال: إن سفينة نوح كانت مأمورة فطافت بالبيت حيث غرقت الأرض ثم أتت منى في أيامها، ثم رجعت السفينة وكانت مأمورة وطافت بالبيت طواف النساء، والحديث ضعيف سنداً بالبطائني).

قال السيد ابن طائوس في سعد السعود، وجدت في التوراة المترجم أن الطوفان بقي على وجه الأرض مائة وخمسين يوماً، وأن الذين كانوا معه في السفينة من الإنس بنوه الثلاثة: سام وحام وياث و نساؤهم، وأن جميع أيام حياة نوح تسعمائة وخمسين سنة، وأن حياته بعد الطوفان كانت ثلاث مائة وخمسين سنة^(٢).

ومعجزة النبي صالح الناقة التي خرجت من صخرة صماء وكانت تذكرهم كل يوم بأنها آية من عند الله إذ ترو الماء يوماً في كل يومين لتعطي القوم حلياً يكفيهم يومهم جميعاً.

وكانت معجزة إبراهيم عليه السلام سلامته من النار التي القاه فيها قوم ثمود، بعد قيامه بتحطيم أصنامهم، وفي التنزيل ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ^(٣).

وتعددت معجزات الرسول موسى عليه السلام، وأظهرها عصاه التي له فيها استعمالات اعجازية متعددة وصاحبه في حياته، ومنها قوله تعالى

(١) تفسير البغوي ١٧٧/٤.

(٢) البحار ٣٤٠/١١.

(٣) سورة الأنبياء ٦٨-٦٩.

﴿فَاَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾^(١).

أما معجزات النبي عيسى فهي متعددة منها ولادته من غير أب ، وتكليمه الناس وهو في المهد بما فيه ذكر الله وتعظيم شعائره ، فحينما أشارت مريم على الناس أن يكلموه وهو في المهد أصابتهم الدهشة والإنكار فبادر هو إلى تكليمهم ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَارًا شَعِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾^(٢).

أما معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الحسية فانها تمتاز بكثرتها وتعدد موضوعها ، ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تداخل معجزاته الحسية مع العقلية وهو من وجوه تفضيله ومنها ما وثق في القرآن ومنها ما ثبت في السنة النبوية القولية والفعلية ، لتدل آيات القرآن على لزوم التصديق بها ، والتدبر في دلالتها ، لقوله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٣).

الثاني : المعجزة العقلية ، وهي التي تخاطب العقول وتتصف بالبقاء والتجدد ، والحضور الدائم بين الأجيال المتعاقبة ، ولا تدرك بالحواس الخارجية كالسمع والبصر ، نعم تكون الحواس فيها عضداً للعقول ، ووسيلة للتدبر في شواهداها .

والقرآن هو المعجزة العقلية الخالدة التي تبهر العقول وتدل على صدق نزوله من عند الله عز وجل ، ليكون داعية إلى التوحيد والنبوة في كل زمان

(١) سورة الشعراء ٦٣.

(٢) سورة مريم ٣٠-٣٣.

(٣) سورة النجم ٣-٤.

، والعقل هو آلة الإدراك للمفاهيم والأمور الكلية ويدرك العقل والوجدان أن كل آية من القرآن خزينة متجددة من العلوم ، إلى جانب الثواب العظيم في قراءة آياته .

وقد اختص النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنزول القرآن على صدره .
الثالث : المعجزة الحسية العقلية : والتي تجمع بينهما في آن واحد ، كما في قوله تعالى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^(١) ، فالمعجزة الخالدة هي الآية أعلاه ، أما الإعجاز الحسي فيها فينقسم إلى شعبتين :

الأولى : المعجزة الحسية الذاتي وهي قيام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأخذ حفنة من تراب من الأرض ورماها في وجوه المشركين وهو يقول (شاهت الوجوه).

الثانية : المعجزة الحسية الغيرية ، بوصول ذرات هذه الحفنة إلى عيون ومناخر أفراد جيش المشركين مع أن عددهم أكثر من تسعمائة .

(وعن حكيم بن حزام قال : لما كان يوم بدر سمعنا صوتاً وقع من السماء إلى الأرض كأنه صوت حصاة وقعت في طست ، ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك الحصباء وقال : شاهت الوجوه . فانهزمنا ، فذلك قول الله تعالى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾^(٢) .

وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه عن جابر قال : سمعت صوت حصيات وقعن من السماء يوم بدر كأنهن وقعن في طست ، فلما اصطفت الناس أخذهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمى بهن في وجوه المشركين فانهزموا ، فذلك قوله ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ .

(١) سورة الأنفال ١٧.

(٢) سورة الأنفال ١٧.

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي : ناولني قبضة من حصباء ، فناولته فرمى بها في وجوه القوم ، فما بقي أحد من القوم إلا امتلأت عيناه من الحصباء ، فنزلت هذه الآية ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾^(١).

الإمتناع عن الدعاء على المشركين

لما أسلم الطفيل بن عمرو الدوسي ليرجع إلى قومه ويدعوهم بصدق وجد إلى الإسلام ويبذل لهم النصيحة فأسلم والداه ، ولكن أكثرهم أعرض عنه لاتباعهم الهوى .

قال الطفيل (ثم دعوت دوساً إلى الإسلام فأبطأوا عليّ، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقلت: قد غلبتني دوس فادع الله عليهم، فقال : اللهم اهد دوساً .

وقال لي : أخرج إلى قومك فادعهم وارفق بهم)^(٢).

ويدل خبر إيمان الطفيل على بداية قانون انحسار نفوذ وسلطان قريش ، لقانون غلبة المعجزة النبوية على سطوة المشركين ، كما في معجزة إبراهيم عليه السلام ونجاته من النار ، وفضح النمرود ، وكما في عصا موسى عليه السلام ، ولحق الخزي بفرعون ثم هلاكه وجنوده في البحر .

وفي رواية عنه (فقلت : يا رسول الله إنه قد غلبني على دوس الزنا فادع الله عليهم قال : اللهم اهد دوساً ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم)^(٣).

ليبين مسألة من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهي امتناعه عن الدعاء على المشركين إذا سئل أن يدعو عليهم ، إنما يقوم بالدعاء لهم بالهداية والإيمان مع علمه بايذائهم للمسلمين ، وقد تجلت هذه المسألة في معركة أحد .

(١) الدر المنثور ٤/٤٢٩.

(٢) المنتظم ١/٤٦٩.

(٣) ابن كثير / السيرة النبوية ٢/٧٢ .

و(عن أنس قال : لما كان يوم أحد شجّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في فوق حاجبه وكسرت رباعيته وجرح في وجهه ، فجعل يمسح الدم في وجهه؛ وسالم مولى أبي حذيفة يغسل عن وجهه الدم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم ، فأنزل الله تعالى ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾^(١) ^(٢)).

زواج النبي (ص) بأكثر من أربع

لقد ورد قوله تعالى ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ آذَنِي أَلَّا تَعُولُوا﴾^(٣)، فالأصل في الخطاب القرآني للمسلمين العموم والمسلمات إلا ما دلّ الدليل على خروجه منه بالتخصيص أو التخصيص وهو نكاح النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأكثر من أربع.

ولا يجوز لغيره من المسلمين الجمع بين أكثر من أربع حرائر في النكاح. لقد نزل تقييد النكاح بأربع نساء مع أولوية الزوجة الواحدة ، قال تعالى ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ آذَنِي أَلَّا تَعُولُوا﴾^(٤).

وقد لا تكفي الرجل المرأة الواحدة ، ولا يكتفي بها خاصة مع تعرضها للحيض والحمل والنفاس ، وكثرة أسفار الرجل ، ولوقوع الحروب والمعارك واصابة عدد الرجال بالنقص ، وكثرة الشهداء .

وللمندوحة والسعة لمن أنعم الله عز وجل عليه بالسعة في الرزق والقدرة على الإنفاق على العيال ، ولإرادة كثرة الإنجاب عند المسلمين لعمارة

(١) سورة آل عمران ١٢٨.

(٢) الثعلبي / الكشف والبيان ١٩٢/٣ .

(٣) سورة النساء ٣.

(٤) سورة النساء ٣.

الأرض بالصلاة والذكر وصيام شهر رمضان ، والتدافع في حج بيت الله الحرام .

ومن معاني تسمية مكة بكة بقوله تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١) ، أن الناس يتباكون ويزدحمون فيها رجالاً ونساءً ، ولا يقع هذا في بلد آخر .

ومع موضوعية مكة في تأريخ الإسلام ، والمناسك فلم يرد كل من لفظ بكة أو مكة في القرآن إلا مرة واحدة ، قال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾^(٢) .

وتفضل الله عز وجل وخصّ النبي محمداً بالزواج بأكثر من أربع نساء لحكمة بالغة .

ولتجلى العصمة النبوية في عدل النبي محمد بين أزواجه وحسن معاشرته لهن ، وصون الله له من الخطأ والتعدي في المقام .

وكما اختص النبي صلى الله عليه وآله وسلم بواجبات عبادية تشق على غيره مثل قيام الليل وصوم الوصال فإن الله عز وجل خصه بمزايا منها الزيادة على أربع في النكاح ، وليس عن شره في الجماع إنما إكرام من عند الله عز وجل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومحاكاة له مع الأنبياء السابقين .

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (قال سليمان بن داود : لأطوفن الليلة على سبعين امرأة)^(٣) .

وقيل كانت عنده سبعمئة امرأة ، ولا يخلو من مبالغة .

(١) سورة آل عمران ٩٦ .

(٢) سورة الفتح ٢٤ .

(٣) الثعلبي / الكشف والبيان ٣٩٥/١١ .

مصاهرة مقام النبوة

لقد أكرم الله عز وجل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوة الخاتمة لتترشح الكرامة والبركة على أهل البيت والصحابة ، والذين تجمعهم المصاهرة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلباس الإيمان ، قال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾^(١).

وقد تزوج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم جويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق الذين أرادوا الهجوم على المدينة وقتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه.

وأرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصحابي بريدة ليتحرى أمرهم ، فتأكد من قيام الحارث بجمع الجيوش للإغارة على المدينة ، وتأكد من سوء قصدهم وما عزموا عليه فباغتهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في شهر شعبان من السنة السادسة للهجرة على الأرجح ومعه خمسمائة من المهاجرين والأنصار .

ووقعت جويرية في سهم ثابت بن قيس ، فكاتبته على مبلغ من المال فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيته تستعين به لسداد مكاتبها .

(قَالَ فَهَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالَتْ وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ أَقْضِي عَنْكَ كِتَابَتَكَ وَأَتَزَوَّجُكَ ؛ قَالَتْ نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ قَدْ فَعَلْتُ . وَخَرَجَ الْخَبْرُ إِلَى النَّاسِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ ابْنَةَ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضَرَّارٍ .

فَقَالَ النَّاسُ أَصْهَارُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَرْسَلُوا مَا بَأْيَدِيهِمْ قَالَتْ فَلَقَدْ أَعْتَقَ بِتَزْوِيجِهِ إِيَّاهَا مِثْلَ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ)^(٢).

(١) سورة الفرقان ٥٤.

(٢) ابن هشام / السيرة النبوية ٢/ ٢٩٤ .

وقيل تعدد الأزواج للوثوق بعدله بينهم ، ولكنها أعم ، فهي نعمة خص الله عز وجل بها النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وتلقاها المسلمون بالقبول والتصديق.

ومجموع اللاتي تزوجهن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خمس عشرة امرأة ، وجمع بين إحدى عشرة ، ودخل في ثلاث عشرة ، وفارق امرأتين في حياته :

الأولى : الكلبية التي رأى النبي بياضاً بين خاصرتها إلى الضلع الخلف من لدن السرة ، فقال : الحقى بأهلك .

الثانية : التي تعوذت من النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما دخل عليها وهي اسماء بنت النعمان الكندية .

و(عن سهل بن سعد ، وأبي أسيد أنهما قالاً تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أميمة بنت شراحيل ، فلما أدخلت عليه بسط يده إليها فكأنما كرهت ذلك ، فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين رازقين^(١)).

وفي قصة ذات المرأة ورد في (حديث حمزة بن أبي أسيد عن أبيه أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أتى بالجونية فنزلت في بيت أميمة بنت النعمان بن شراحيل في نخل ومعهما دابتها فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هبي لي نفسك .

فقالت وهل تهب الملكة نفسها للسوقة فأهوى ليضع يده عليها لتسكن فقالت أعوذ بالله منك فقال " قد عدت بمعاذ ثم خرج فقال " يا أبا أسيد أكسها رازقين وألحقها بأهلها.

وفي صحيح مسلم : عن سهل بن سعد قال ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة من العرب فأمر أبا أسيد أن يرسل إليها فأرسل إليها فقدمت فنزلت في أجم بني ساعدة فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) تفسير ابن كثير ٦٤٢/١ .

حَتَّى جَاءَهَا دَخَلَ عَلَيْهَا فَإِذَا امْرَأَةٌ مُنْكَسَةٌ رَأْسَهَا فَلَمَّا كَلَّمَهَا قَالَتْ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ قَالَ : قَدْ أَعَذْتُكَ مِنِّي .

فَقَالُوا لَهَا : أَتَدْرِينَ مَنْ هَذَا ؟ قَالَتْ لَا قَالُوا : هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَكَ لِيَخْطُبَكَ قَالَتْ أَنَا كُنْتُ أَشَقَى مِنْ ذَلِكَ ^(١).

وهي أخبار في قصة امرأة واحدة ، والظاهر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يتزوجها فلم يقع طلاق وإنما دخل عليها بعنوان الخطبة والعقد الذي يتقوم بالقبول والإيجاب ، قال الله تعالى ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ ^(٢).

أزواج النبي (ص) أمهات المؤمنين

لقد أكرم الله عز وجل نساء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بمرتبة لم تنلها غيرهن من نساء الأرض بأن فزن بدرجة سامية وصفة أمهات المؤمنين ، قال تعالى ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ ^(٣).

ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن أزواجه أمهات أجيال المسلمين .

وحرمة نكاح المسلمين لهن ، وللتوقير والإكرام ، إذ أن مسألة التزويج وحرمة تنقطع بموتهن ، قال تعالى ﴿ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ﴾ ^(٤).

و(عن قتادة قال : قال طلحة بن عبيد الله : لو قبض النبي صلى الله عليه وآله وسلم تزوجت عائشة ، فنزلت ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ﴾ ^(٥) ^(١).

(١) زاد المعاد ٢٨٨/٥ .

(٢) سورة الروم ٢١ .

(٣) سورة الأحزاب ٦ .

(٤) سورة الأحزاب ٥٣ .

(٥) سورة الأحزاب ٥٣ .

وذكره ابن عباس بصيغة الكناية إذ (قال : قال رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : لو قد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجت عائشة . أو أم سلمة ، فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُذَوَّارَسُولَ اللَّهِ﴾^(١))^(٢) .

أما الإكرام والتعظيم فهو مستمر إلى يوم القيامة ، لأن المدار على عموم اللفظ وليس سبب النزول وحده لبيان أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولي وأبو المسلمين ، أبوة عقائدية بصيغة الإيمان ، و(عن ابن عباس : أنه كان يقرأ هذه الآية : النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وأزواجه أمهاتهم)^(٣) .

وفي قراءة أبي بن كعب (وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم) .
(وعن بجالة قال : مرَّ عمر بن الخطاب بـ غلام وهو يقرأ في المصحف : النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم فقال : يا غلام حكها فقال : هذا مصحف أبي فذهب إليه فسأله ، فقال أبي : إنه كان يلهيني القرآن ، ويلهيك الصفق بالأسواق)^(٤) .

والمدار على ما مرسوم في المصاحف .
(وعن عائشة أن امرأة قالت لها : يا أمي فقالت : أنا أم رجالكم ولست أم نسائكم .

بينما أخرج ابن سعد عن أم سلمة قالت : أنا أم الرجال منكم والنساء)^(٥) .

ليبيان العموم في قول أم سلمة .

(١) الدر المنثور ٨/ ١٩٤ .

(٢) سورة الأحزاب ٥٣ .

(٣) الدر المنثور ٨/ ١٩٤ .

(٤) الدر المنثور ٨/ ١٢٧ .

(٥) الدر المنثور ٨/ ١٢٦ .

(٦) أنظر الدر المنثور ٨/ ١٢٦ .

لقد اختص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من بين الأنبياء بأن أزواجه أمهات المؤمنين ، وهو من أسرار تعدد زوجات النبي لأكثر من أربعة ، إذ يترشح هذا التشريف على ذويهن وقبائلهن ، كما أنه مناسبة لرجوع المسلمين إلى نساء النبي لمعرفة سيرته في بيته ومع عياله ، وسماع أخبار من سنته وفرائد العلم التي تفضل بها ، مع حرمة الزواج من نسائه بعد وفاته.

والاقتباس عن سيرته في حسن العشرة ، وصلاح الأسرة ، قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(١).

إحصاء منافع تعدد زوجات النبي

مع تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكثير منهن دخل بهن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد جاوزن الخمسين من العمر عند الدخول .

ومن منافع هذه الكثرة أمور :

الأول : قانون تآلف القبائل ، ومحاربة الإرهاب ومنع قريش من التحريف والإفتراء على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةَ وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢).

الثاني : إكرام البيوت والقبائل بمصاهرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ومناسبة وجوه بين الناس التي تنقطع بمغادرته الحياة الدنيا .
(و) عن المسور بن مخزومة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي ، وسبيي ، وصهري .

(١) سورة الأحزاب ٢١.

(٢) سورة الروم ٢١.

وأخرج ابن عساكر عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل نسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا نسبي وصهري^(١).

الثالث : استماع أزواج النبي للتلاوة والسنة النبوية القولية .

الرابع : توثيق أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم للسنة النبوية الفعلية .

الخامس : صيرورة أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم أميرات بالمعروف وناهيات عن المنكر ، لذا اكرمهن الله عز وجل بمرتبة سامية هي أمهات المؤمنين ، قال تعالى ﴿النَّبِيِّ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾^(٢).

ومن معاني الأمومة في المقام دعوة أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى السلم والصلح والمواذعة ، ونبد الخصومات ، والسوء في القول والعمل .

السادس : إكرام أزواج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وأغلب أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم كبيرات في السن .
وهذه الأمور ليست علة تامة لزواج النبي لأكثر من أربعة ، إنما هو فضل من عند الله على رسوله ، وبيان الفارق الرتبي في حكم مخصوص ورخصة للنبي من بين عامة أفراد الأمة .

وهذا الزواج ليس مطلقاً بل هو مقيد أيضاً ، إذ نزل قوله تعالى ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾^(٣).

(١) الدر المنثور ٧/٢٢٤ .

(٢) سورة الأحزاب ٦ .

(٣) سورة الأحزاب ٥٢ .

ونزلت سورة الأحزاب بعد واقعة الخندق في السنة الخامسة للهجرة ، ونزلت آيات منها بعد صلح الحديبية.

وذكر أن (أول ما نزل بالمدينة سورة البقرة ، ثم الأنفال ، ثم آل عمران ، ثم الأحزاب ، ثم الممتحنة ، ثم النساء ، ثم الزلزلة ، ثم الحديد ، ثم محمد ، ثم الرعد ، ثم الرحمن ، ثم الإنسان ، ثم الطلاق ، ثم ألم يكن ، ثم الحشر ، ثم النصر ، ثم النور ، ثم الحج ، ثم المنافقون ، ثم المجادلة ، ثم الحجر ، ثم التحريم ، ثم الصف ، ثم الجمعة ، ثم التغابن ، ثم الفتح ، ثم التوبة ، ثم المائدة)^(١).

وآخر امرأة تزوجها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هي ميمونة بنت الحارث بمكة عندما حل من عمرة القضاء ، وعمرة القضاء في شهر ذي القعدة من السنة السابعة للهجرة .

إفاصات زواج النبي

ومن معاني زواج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأكثر من أربع مسائل :

الأولى : زواج النبي لأرامل بعض الشهداء ، فمع انه تزوج ثلاث عشرة امرأة فليس فيهن باكر إلا عائشة ، وفيه دعوة للمسلمين للعناية بالأرامل والعجائز بالزواج منهن أو بالإنفاق والإحسان إليهن . ولم يدخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بامرأتين غيرهن هما : عمرة وسبا .

ومنهم من قال أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تزوج أكثر من هذا العدد وأنه تزوج خمساً وعشرين امرأة . وكان في ملك يمينه احدى وعشرون امرأة . ولا أصل لهذا القول ، وخلاف الواقع .

(١) الناسخ والمنسوخ / الكرعي ١/١٢٩.

ولم تذكر إماء متعددة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إنما كانت أخباره الأسرية المتواترة تتعلق بازواجه وحسن عشرته معهن.

نعم كانت عنده سرية وهي ماريّا أم إبراهيم ابن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وأخرى وهي ریحانة الخندقية .

و(عن أنس قال : توفي إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ستة عشر شهرا فقال رسول الله : ادفنوه في البقيع فإن له مرضعا يتم رضاعه في الجنة .

وقال أبو يعلى : حدثنا أبو خيثمة حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب عن عمرو بن سعيد عن أنس قال : ما رأيت أحدا أرحم بالعيال من رسول الله كان إبراهيم مسترضعا في عوالي المدينة وكان ينطلق ونحن معه فيدخل إلى البيت وإنه ليدجن وكان ظنره فينا فيأخذه فيقبله ثم يرجع)^(١).

الثانية : إكرام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للنساء ، والعدل بين أزواجه مع كثرتهن .

الثالثة : طلب التعضيد والنصرة واستمالة القلوب بالمصاهرة ، ودفع الشرور والأذى بها .

الرابعة : إصلاح أهل البيت لتقوى الله ، لذا ورد قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾^(٢).

لتأكيد زهد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وانقطاعه إلى الدعوة إلى الله بالنفس والمال .

وقد تزوج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو في مكة خديجة بنت خويلد وكانت تكبره بخمس عشرة سنة ، ولم يتزوج عليها إلى أن ماتت

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ٦١٢/٤ .

(٢) سورة الأحزاب ٢٨ .

في السنة العاشرة للبعثة النبوية ، وكان كثيراً ما يذكرها ويثني عليها ويستغفر لها إلى آخر أيام حياته .

التورية على الكفار

التورية كتمان الشئ والتعريف والإشارة إلى غيره ، وكان النبي إذا أراد التوجه إلى جهة ورى بغيرها حقناً للدماء ، وللمنع من الملاقاة بالسيوف فيحتمل يعلم الكفار الذين اجتمعوا لقتاله وغزو المدينة بقربه منهم تفرقوا ، لتكون التورية من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن مصاديق قوله تعالى ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) .

قال ابن إسحاق بسند منقطع : عندما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في خير قدم عليه الحجاج بن علاط السلمي وأسلم ، وكان له مال كثير عند تجار مكة ، وله معادن في أرض بني سليم ، وزوجته في مكة أم شيبه أخت بني عبد الدار سدنة البيت ، وحملة لواء المشركين في معركة بدر وأحد .

فقال الحجاج يا رسول الله أن لي أموالاً عند أهل مكة ، وذهباً عند امرأتي ، وإذا علمت وأهلها بإسلامي يستحذون عليه ، ولا يعطوني منه شيئاً ، فاذن لي لاسرع السير قبل أن يسبق خبر إسلامي وفتح خير فيزداد حنق وغيظ قريش .

فاذن له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولكن الحجاج لم يكتف بالإذن إنما سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يأذن له بالنيل منه عند أهل مكة تورية وتقية .

(فقال: إنه لا بد لي يا رسول الله من أن أقول.

(١) سورة الأحزاب ٢٥ .

قال : قل^(١) فتوجه الحجاج إلى مكة يطوي الأرض ، ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم منع طرو الحرج والأذى على الصحابة .

ولما قارب الحجاج أطراف مكة وجد بشية البيضاء ، وهي قرية من التنعيم رجالاً من قريش يتسمعون الأخبار لأنهم علموا بخروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى خير .

وكان الركبان والمسافرون ينقلون الأخبار بين المدن ، ولم يكن هناك بريد لدولة في الجزيرة .

فعندما رأى رجال قريش الموجودون في ثنية البيضاء الحجاج بن علاط استبشروا .

وقالوا عنده والله الخبر ، ولم يعلموا باسلامه .
وقالوا أخبرنا (فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ الْقَاطِعَ قَدْ سَارَ إِلَى خَيْبَرَ ، وَهِيَ بَلَدُ يَهُودَ وَرِيفِ الْحِجَازِ)^(٢) .

أي أنهم لا يسمون النبي باسمه بل يسمونه القاطع وأنه قطع الأرحام باسلام طائفة من قريش ، وبسقوط قتلى من قريش في معركة بدر وأحد والخندق .

وفيه شاهد على شدة الحرب والإفتراء على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مما يدل على أن دخول الناس الإسلام تم بالمعجزة وسيلة وسبباً وسبيل هداية .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تلاوته وكل مسلم ومسلمة سبع عشرة مرة كل يوم ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٣) ، في الصلاة بقصد القرآنية والخشوع لله عز وجل .

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٤٠٧/٣ .

(٢) السيرة / ابن هشام ٣٤٥/٢ .

(٣) سورة الفاتحة ٦ .

ليكون دعاء لأنفسهم وللناس ، وهذا العموم من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لقوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾^(١) ، ومنه قانون دعاء المسلمين لأنفسهم وللناس بالهداية ورجاء رحمة الله .

إنما بعثه الله عز وجل ليقطع على الناس طريق النار ، يأخذ بأيديهم إلى الأمن والبركة في الدنيا ، واللبث الدائم في النعيم ، فاجابهم الحجاج : عندي من الخبر ما يسركم ، فسارعوا إلى ناقته والتفوا عليها ، وهم يلحون عليه بأخبارهم بما هو سار .

قال الحجاج (هُزِمَ هَزِيمَةً لَمْ تَسْمَعُوا بِمِثْلِهَا قَطَّ ، وَقَتْلَ أَصْحَابِهِ قَتْلًا لَمْ تَسْمَعُوا بِمِثْلِهِ قَطَّ ، وَأَسْرَ مُحَمَّدٍ أَسْرًا ، وَقَالُوا : لَا نَقْتُلُهُ حَتَّى نَبْعَثَ بِهِ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ ، فَيَقْتُلُوهُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ بِمَنْ كَانَ أَصَابَ مِنْ رِجَالِهِمْ . قَالَ فَقَامُوا وَصَاحُوا بِمَكَّةَ وَقَالُوا : قَدْ جَاءَكُمْ الْخَبْرُ)^(٢) .

وتباشروا بينهم ، وصاروا ينتظرون قتلهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مكة ، فقال لهم الحجاج أعينوني على جمع مالي بمكة وعلى غرمائي ، فأنى أريد أن أقدم المدينة (يثرب) وأصيب من أصحاب محمد الذين فروا وأسروا قبل أن يسبقني التجار .

فصاروا يجمعون له ماله ، وجاء إلى زوجته وسألها المال الذي جعله عندها فدفعته له : وفيه شاهد على شدة عداوة قريش للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه حتى بعد صلح الحديبية ، وشاع الخبر في مكة ليظهر المشركون الشماتة ويحزن المسلمون والمسلمات من أهل مكة ، وحزن بنو هاشم حزناً شديداً وصاروا حيارى .

وقد يقال هل تنطلي هذه التورية على قريش ولم يشكوا بأمر الحجاج هذا ، وهم أهل معرفة بأحوال الأمم ، وخبرة بالوقائع .

(١) سورة سبأ ٢٨ .

(٢) السيرة / ابن هشام ٣٤٥/٢ .

الجواب نعم لأنهم يظنون أن حصون خيبر لا تقهر ، ولعله بلغهم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حاصرها ، إذ دامت مدة الحصار أربعة عشر يوماً من أيام بقيت من محرم إلى شهر صفر من السنة السابعة للهجرة .

أكثر يهود الجزيرة من العرب

لقد توجه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى خيبر وهي أشد قرى وحصون الجزيرة منعة.

وفيهما نحو سبعمائة من الرجال بين دارع وحاسر ، وفيهم الفرسان الشجعان مثل مرحب وأخيه.

وليس كلهم من أصول يهودية ، فكثير منهم من العرب الذين اعتنقوا اليهودية لإدراكهم قبح عبادة قريش الأصنام ، ولإنقياد الإنسان بالفطرة إلى الديانة السماوية ومبادئ التوحيد ، وهو من العهد والميثاق الذي يتضمنه قوله تعالى ﴿وَفَخَّ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾^(١) ، عند خلق آدم أبي البشر.

وقد تظهر هذه الحقيقة وغيرها بخصوص الأنساب بالدقة المرتقبة لتحليل DNA ، وذكر أن بني النضير وبني قريظة ينتميان إلى قبيلة جذام اليمنية التي هاجرت إلى الحجاز .

وروى الترمذي (لَمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ فِي سَبَأٍ مَا أُنْزِلَ قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا سَبَأٌ : امْرَأَةٌ أَمْ أَرْضٌ .

قَالَ : لَيْسَ بِامْرَأَةٍ وَلَا أَرْضٍ وَلَكِنَّهُ رَجُلٌ وَلَدَ عَشْرَةَ مِنَ الْعَرَبِ ، فْتَيَّامَنُ مِنْهُمْ سِتَّةٌ وَتَشَاءَمُ أَرْبَعَةٌ .

فَأَمَّا الَّذِينَ تَشَاءَمُوا : فَلَخْمٌ وَجَذَامٌ وَعَامِلَةٌ وَغَسَّانٌ .
وَأَمَّا الَّذِينَ تَيَّامَنُوا : فَالْأَزْدُ وَالْأَشْعَرُونَ وَحَمِيرٌ وَمَذْحِجٌ وَكِنْدَةٌ وَأَنْمَارٌ ،
قَالَ الرَّجُلُ وَمَنْ أَنْمَارٌ .

قَالَ : الَّذِينَ مِنْهُمْ خَثْعَمٌ وَبَجِيلَةٌ)^(٢).

(١) سورة السجدة ٩.

(٢) الروض الأنف ١/١٦٠.

صدور الإذن من النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(١).

الثالث : استمرار كيد ومكر قريش ضد النبوة والإسلام .

الرابع : نصر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بمدد وعون من عند الله ولحوق الخزي للذين كفروا بنبوته وهم في الدنيا ، قال تعالى ﴿فَإِذَا قُتِلُوا فِي الْحَرْبِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

إنصراف النبي (ص) من عمرة القضاء

ولما تمت الأيام الثلاثة لوجود النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في مكة جاء حويطب بن عبد العزى وسهيل بن عمرو الذي عقد صلح الحديبية مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وطلبا منه الخروج بأصحابه من مكة وأراد منهم أن يمهلوه حتى يميني بميمونة فابوا.

فخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى سرف بكسر الراء ويبعد عن مكة نحو (٥) كم ويسمى في هذا الزمان مدينة (النوارية) إذ أقام به النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وبعث إلى ميمونة فبنى بها فيه في محضر من جميع الصحابة الذين معه وعددهم ألفان ، مما يدل على رضاهم بزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقبولهم له قبولاً حسناً ، وإدراك موضوعيته في الإصلاح بين القبائل ، ولم يسألوه عن زواجه من أكثر من أربع مع كثرة أسئلتهم في أمور الدين والشريعة .

وميمونة هي برة بنت الحارث الهلالية ، وهي إحدى أخوات أربع سماهن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (الأخوات المؤمنات). وفي كيفية زواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم منها وجوه :

(١) سورة النجم ٣-٤.

(٢) سورة الزمر ٢٦.

الأول : أن ميمونة مات عنها زوجها أبو رهم بن عبد العزى العامري وعمرها ست وعشرون سنة فامضت أمرها إلى شقيقتها الكبيرة أم الفضل ، فأخبرت زوجها العباس بن عبد المطلب .

فمضى العباس من فوره إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعرض عليه الزواج منها فاستجاب له .

الثاني : عندما قارب النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكة بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم جعفر بن أبي طالب لخطبتها له ، وهو زوج أختها لأُمها أسماء بنت عميس .

الثالث : قيل أنها التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمختار خلافة ، وقيل نزل فيها قوله تعالى ﴿وَأَمْرًا مُّؤْمِنَةً إِنِّ وَهَبْتُ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنِ ارَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) والمختار أن التي وهبت نفسها للنبي غيرها .

وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عِمَّاكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأَمْرًا مُّؤْمِنَةً إِنِّ وَهَبْتُ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنِ ارَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٢) .

(١) سورة الأحزاب ٥٠ .

(٢) سورة الأحزاب ٥٠ .

توالي النعم

هل في آية (الأنفال) بشارة توالي النعم والمكاسب على أجيال المسلمين كما في هذا الزمان ووجوب اصلاح ذات بينهم ، وعدم اتخاذها وسيلة للقتال بينهم ، إذ تبين الآية أولوية إصلاح ذات البين ، قال تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾^(١) ، الجواب نعم.

وذكرت كلمة الأنفال مرتين في أول هذه السورة ، ولم تذكر في آية أخرى من القرآن ، وكذا ذكر لفظ (غنمتم) في القرآن مرتين قال تعالى ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(٢).

وقال تعالى ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَآتُوا اللَّهَ إِنَّا اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٣) ، واختلف في معنى الغنيمة هل المراد خصوص ما أخذ من الكفار بقوة الخيل والقتال من السلاح ومتاع الدنيا ، وهو المشهور .

والمختار أن النسبة بين الغنيمة والأنفال عموم وخصوص مطلق ، وأن الأنفال تختص بالحرب وما يقع في أيدي المسلمين من أموال الكفار الذين يحاربونهم في الميدان أما الغنيمة فهي أعم ولا تختص بالحروب وزمان القتال.

وكذا ذات النسبة بين الغنيمة بمعناها اللغوي والفيئ بغلبة وحرب وكل منهما ورد في سورة الأنفال .

(١) سورة الحجرات ١٠.

(٢) سورة الأنفال ٤١.

(٣) سورة الأنفال ٦٩.

قانون التقييد في القتال

من إعجاز القرآن ورود العام والخاص ، والناسخ والمنسوخ ، والمطلق والمقيد ، والمحكم والمتشابه ، وقد يأتي التقييد في ذات الآية كما في قوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(١) ،
فورد تقييد القتال في الآية أعلاه من جهات :

الأولى : قانون حصر قتال المسلمين في سبيل الله .

ومن معانيه أمور :

الأول : النية والقصد وإرادة القربة إلى الله .

الثاني : عدم قصد الطمع وحيازة الغنائم .

الثالث : إجتنب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قتال الذين لا يحاربون

المسلمين .

ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عقده ميثاق المدينة مع اليهود الساكنين فيها من بني قريظة والنضير وقينقاع .

الثانية : قانون قتال الذين يقاتلون المسلمين دون غيرهم من الناس وإن كانوا كفاراً .

ولا يختص هذا التقييد بمضمون ذات الآية أعلاه ، وهل يشمل تقييد الإطلاق في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٢) .

وتقدير الآية أعلاه : قاتلوا الذين يلونكم من الكفار الذين يقاتلونكم .
أم أن قتالهم مقدمة لحفظ الثغور وأمن المسلمين في أوطانهم وزجر الكفار عن إعانة قريش في قتالها للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) سورة البقرة ١٩٠ .

(٢) سورة التوبة ١٢٣ .

أو أن الآية أعلاه ناسخة للآية المقدمة من سورة البقرة ، الجواب ليس من نسخ بين الآيتين .

وفي قوله تعالى ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ﴾^(١) (قال ابن عباس : مثل قريظة والنضير وخيبر وفدك ونحوها)^(٢).

الثالثة : قانون حرمة التعدي في حال الحرب والسلم لقوله تعالى ﴿وَلَا تَعْدُوا﴾.

الرابعة : قانون النهي عن التعدي والظلم في حال الحرب والسلم لبيان التضاد بين مبادئ الإسلام والتعدي ، ولأن المعتدين محرومون من حب الله .

ليبان أن من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مجيئة بالنهي عن التعدي والظلم .

ذريعة المشركين لقتال النبي (ص)

عند قدوم قافلة لأبي سفيان من الشام التي تتألف من ألف بعير محملة بالبضائع منها الذهب والفضة والأقمشة والحبوب والقطن أذعوا أن النبي محمداً في كتيبه يروم الإستيلاء على القافلة ، وأرادوا الكيد والمكر فأرسلوا إلى قريش ضمضم بن عمرو يستصرخهم لإنقاذ القافلة .

فاعلنت قريش النفير في ثلاثة أيام ليخرجوا لقتال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لبيان أنه من خصائص النبي محمد تلقي مكر المشركين لإيجاد ذريعة لقتاله والإجهاز عليه قبل أن يكثر أصحابه خاصة مع بلوغهم أخبار بناء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المسجد النبوي ، وإنشاء بعض الصحابة مساجد لهم في أحياء المدينة ، مع توالي أخبار توافد المهاجرين إلى المدينة وعناية الأنصار بهم ، وعملهم مجتمعين بقوله تعالى

(١) سورة التوبة ١٢٣.

(٢) الثعلبي / الكشف والبيان ٢٥٣/٦ .

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(١)، وقيام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالمواخاة بين كل اثنين من أصحابه بعد ستة أشهر من الهجرة .

فجهزت قريش جيشاً من ألف رجل مع تعيينهم لمن يريد التخلف ، فمثلاً مع علو شأن أمية بن خلف في قريش وكونه رئيس جمع فانه لما (أجمع القعود وكان شيخاً جليلاً جسيماً ثقيلاً فأتاه عقبة بن أبي معيط وهو جالس في المسجد بين ظهراي قومه بمجمرة يحملها فيها نار ومجمر حتى وضعها بين يديه ثم قال : يا أبا علي استجمر فإنما أنت من النساء .

قال : قبحك الله ما جئت به ، ثم تجهز وخرج مع الناس)^(٢).

وقد سبق وأن أئذره سعد بن معاذ وأخبره عن قول النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأنه يقتل أمية بن خلف ، حينما قدم سعد إلى مكة معتمراً بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة وكان ينزل على أمية بن خلف.

وكان سعد بن معاذ سيد الأوس ، وإذا مرّ أمية بن خلف بالمدينة فانه ينزل على سعد ، ويبدو أن أمية كان يجتنب الإحتكاك بين سعد ورؤساء قريش ، إذ ورد عن عبد الله بن مسعود في حديث (فقال أمية لسعد انتظر حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطفت قال فبينما سعد يطوف إذا أتاه أبو جهل فقال من هذا الذي يطوف بالكعبة.

فقال سعد بن معاذ انا سعد فقال أبو جهل أتطوف بالكعبة آمناً وقد أويتم محمداً وأصحابه فتلاحيا.

فقال أمية لسعد لا ترفع صوتك على أبي الحكم فإنه سيد أهل هذا الوادي.

فقال له سعد والله لئن منعني أن أطوف بالبيت لأقطعن عليك متجرك بالشام فجعل أمية يقول لسعد لا ترفع صوتك ويسكته.

(١) سورة الحجرات ١٠.

(٢) ابن كثير / السيرة النبوية ٢/ ٢٨٣ .

فغضب سعد فقال دعنا عنك فإني سمعت محمدا صلى الله عليه وسلم يزعم أنه قاتلك قال إياي ؟ قال نعم .
قال والله ما يكذب محمد إذا حدث^(١) .

ثم قامت امرأة أمية بنهيه عن الخروج لأنهم يدركون أن كلام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حق وصدق إذ كان يسمى في مكة قبل البعثة (الصادق الأمين) وهذه التسمية من خصوصياته .

رؤيا البشارة في المعارك

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم رؤيا الوحي التي هي أسمى مرتبة من الرؤيا الصادقة ، ومن رؤيا الوحي البشارة مقدمة لقتال المشركين ، وقد وثق القرآن بعض هذه الرؤى .

وقد نزلت آيات قرآنية بخصوص رؤيا البشارة في مقدمات معركة بدر ، قال تعالى ﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتُمْ كَيْدَ الْفَاسِقِينَ لَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ* وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّمِيزُ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ^(٢) ،

ومن مفاهيم رؤيا البشارة أنها رؤيا إنذار وتخويف وزجر للمشركين والنسبة بين ما رآه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من رؤيا الوحي وما ذكر منها في القرآن عموم وخصوص مطلق ، فهذه الرؤى أعم مما ذكر في القرآن .

ليكون من خصائص الآية القرآنية تصديق السنة النبوية .

لذا ورد بعضها في السنة النبوية مع ترتيب الأثر عليها كما في مقدمات معركة أخذ كما في الخبر (ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرى ليلة الجمعة رؤيا فأصبح ، فجاءه نفر من أصحابه فقال لهم : رأيت البارحة في

(١) السيوطي / الخصائص الكبرى ٣٣٥/١ .

(٢) سورة الأنفال ٤٣-٤٤ .

منامي بقرا تذبج، والله خير، ورأيت سيفي ذا الفقار اتقصم من عند ضبته، أو قال: به فلول، فكرهته، وهما مصيبتان، ورأيت أنى في درع حصينة وأنى مردف كبشا .

فلما أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم برؤياه، قالوا: يا رسول الله، ماذا أولت رؤياك .

قال : أولت البقر الذى رأيت بقرا فينا وفى القوم، وكرهت ما رأيت بسيفي .

ويقول رجال: كان الذى رأى بسيفه: الذى أصاب وجهه، فإن العدو أصاب وجهه يومئذ، وقصموا ربايعته وخرقوا شفته، يزعمون أن الذى رماه عتبة بن أبى وقاص، وكان البقر من قتل من المسلمين يومئذ. وقال: أولت الكبش أنه كبش كتيبة العدو يقتله الله، وأولت الدرع الحصينة المدينة، فامكثوا واجعلوا الذرارى في الآطام، فإن دخل علينا القوم في الازقة قاتلناهم ورموا من فوق البيوت^(١).

ليان ترتب الأثر على رؤيا النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومنه دعوته لأصحابه ليرضوا بخطته في ملاقات الغزاة ، ولكن الذين لم يشهدوا بدرأ قالوا (كنا نتمنى هذا اليوم وندعو الله، فقد ساقه الله إلينا وقرب المسير. وقال رجل من الانصار : متى نقاتلهم يا رسول الله إذا لم نقاتلهم عند شعبنا ؟ وقال رجال: ماذا نمنع إذا لم نمنع الحرب بروع ؟ وقال رجال قولاً صدقوا به ومضوا عليه، منهم حمزة بن عبدالمطلب، قال: والذى أنزل عليك الكتاب لنجادلهم.

وقال نعيم بن مالك بن ثعلبة، وهو أحد بنى سالم: يا نبى الله لا تحرمنا الجنة، فوالذي نفسي بيده لادخلنها.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: بم ؟ قال: بأنى أحب الله ورسوله ولا أفر يوم الزحف.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: صدقت ، واستشهد يومئذ .
وأبى كثير من الناس إلا الخروج إلى العدو، ولم يتناهاوا إلى قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم ورأيه، ولو رضوا بالذى أمرهم كان ذلك، ولكن
غلب القضاء والقدر^(١).

تقليل عدد المشركين

من خصائص النبي محمد ملاقاته وأصحابه لجيش المشركين في
عدة معارك ، وفي كل واحد منها يكون عدد الصحابة في الميدان أقل
من ثلث عدد جيش المشركين.

أما بالنسبة للعدة والسلاح فان الأضعاف في الفارق تزداد ،
فمثلاً عند المسلمين فرس واحد في معركة بدر ، وعند المشركين مائة
وقيل مائتين لم تركب ظهورها ، ومنافع الخيل في المعركة معروفة
فهو سبب في جلب النصر ، فنزلت معجزة من خصائص النبي محمد
صلى الله عليه وآله وسلم من جهتين :

الأولى : تقليل عدد جيش المشركين في أعين الصحابة ، فمع أن
عددهم تسعمائة وخمسون صاروا كأنهم سبعون أو مائة .

الثانية : تكثير عدد صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في
أعين المشركين .

قال السدي : قال أناس من المشركين : إن العير قد انصرفت
فارجعوا. فقال أبو جهل : الآن إذا (ينحدر لكم) محمد وأصحابه
فلا ترجعوا حتى تستأصلوهم ولا تقتلوهم بالسلاح خذوهم أخذاً
كي لا يعبد الله بعد اليوم ، إنما محمد وأصحابه أكلة جُزور
فاربطوهم بالحبال^(٢).

أما الإحتجاج بقوله تعالى ﴿وَيَقُلُّكُمْ فِيهِمْ﴾ فهذا خطاب

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ٢٤/٣ .

(٢) الثعلبي / الكشف والبيان ٥٥/٦ .

خاص للصحابة ، ولا يشمل الملائكة ، ويصح بأنه عند التقاء الصفين واثناء القتال ، كما أنه لا يتعلق بكثرة الصحابة الذين مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بل يخص كيفية في الأبصار بيديع قدرة الله عز وجل .

فحتى مع وجود الملائكة وبنحو محسوس عند الفريقين فان الله عز وجل قادر على أن يجعل الذين كفروا يظنون أنهم قليل .

ولو دار الأمر بين يقللكم أنتم والملائكة في أعينهم ، وبين يقللكم وحدكم ، فالصحيح هو الثاني ، لبيان أن التقليل من مصاديق قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(١) إذ أنه تقليل لكل طرف في عيون الطرف الآخر ، حتى قال المشركون : أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه أكلة رأس .

أي أنهم قليل يشبعهم رأس واحد ، فكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه يوم بدر قلة ويظهر بوضوح النقص في أسلحتهم وعدتهم والتمرين على السلاح ، وليس معهم إلا فرسان ، وفي قول فرس واحدة ، وكان مع المشركين مائة من الخيل للإغارة والهجوم .

وليس من مدد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، ولا بلدة غير المدينة يأوون إليها ولم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم غازياً أو مهاجماً في معركة بدر ، ولم يبدأ القتال ، فنزل الملائكة لدفع المشركين ومنعهم من قتلهم .

وأن سلاح الإيمان يجعل الصحابة في قوة ومنعة ، وهو قوله تعالى ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّيَمُّنُ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَاللَّهُ تَرْجِعُ الْأُمُورُ ﴾^(٢) .

(١) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٢) سورة الإنفال ٤٤ .

وفي الآية أعلاه (قال مقاتل : ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى في المنام أن العدو قليل قبل (لقاء) العدو فأخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه بما رأى. فقالوا : رؤيا النبي حق. القوم قليل .

فلما اتقوا بيد رقل الله المشركين في أعين المؤمنين وأصدق رؤيا النبي صلى الله عليه وآله وسلم .
قال عبد الله بن مسعود : لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل إلى جنبي : (نراهم سبعين) قال أراهم مائة فأسرنا رجلا فقلنا كم كنتم؟

قال : ألفاً. ويقللكم يا معشر المؤمنين في أعينهم^(١).
وبعد إبتداء معركة بدر صار المشركون ينظرون إلى المسلمين وكأنهم ضعف عدد المشركين لبعث الرعب والخوف في قلوبهم قال تعالى ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَاةٍ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيِ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾^(٢)^(٣).

وفي الآية أعلاه (قال مقاتل : ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى في المنام أن العدو قليل قبل (لقاء) العدو فأخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه بما رأى. فقالوا : رؤيا النبي حق ، القوم قليل .

فلما اتقوا بيد رقل الله المشركين في أعين المؤمنين وأصدق رؤيا النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) الثعلبي / الكشف والبيان ٥٥/٦ .

(٢) سورة آل عمران ١٣ .

(٣) أنظر الجزء السادس والخمسين من تفسيري للقرآن (معالم الإيمان) الذي يتضمن تفسير هذه الآية.

قال عبد الله بن مسعود : لقد قُلُّوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل إلى جنبي (نراهم سبعين) قال أراهم مائة فأسرنا رجلا فقلنا كم كنتم؟

قال : ألفاً. ويقللكم يا معشر المؤمنين في أعينهم^(١).

جدول تفصيلي لمعارك النبوة

من الإعجاز إزدياد عدد وعدة وخيل وإبل الجيوش زيادة طردية وتناقص عدد القتلى .

في المعركة اللاحقة عن المعركة السابقة في كل مرة كما في الجدول أدناه

ت	اسم المعركة	تأريخها	عدد المسلمين	عدد شهداء الإسلام	عدد المشركين	عدد قتلى المشركين
١	معركة بدر	١٧ رمضان الثانية للهجرة	٣١٣	١٤	٩٥٠	٧٠
٢	معركة أحد	١٥ شوال الثالثة للهجرة	٧٠٠	٧٠	٣٠٠٠	٢٢
٣	معركة الأحزاب	شوال الخامسة للهجرة	٣٠٠٠		١٠٠٠٠	
٤	معركة حنين	شوال الثامنة للهجرة	١٢٠٠٠	٤	٣٠٠٠٠	١٠

والأصل هو مع إزدياد الجيوش تشتد المعارك وتزداد الخسائر ، ولكن المعجزة حاضرة في المقام ، ومنه قوله تعالى ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّيَمُّنُ فِيْ أَعْيُنِكُمْ

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٥٥/٦.

قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِيهِمْ أَعْيُنُهُمْ لِيُقْضَىٰ إِلَهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ^(١).
 (وقال عبد الله بن مسعود : لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل
 إلى جنبي : (نراهم سبعين) قال أراهم مائة فأسرنا رجلا فقلنا كم كنتم .
 قال : ألفاً . ويقللکم یا معشر المؤمنین فی أعینهم .

قتل الذي يتوعد النبي (ص) بالقتل

لقد قتل المشرك أبي بن خلف بجريرة من يد النبي محمد بعد تقدمه نحو
 النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقتله وهو يقول (لا نجوت إن نجا).
 وهو الوحيد الذي قتله النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيده وكان قد
 أعلن في مكة قبل هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة
 عزمه على قتل النبي فتوعد النبي .
 ورد (عن عروة بن الزبير قال: كان أبي بن خلف أخو بني جمح قد
 حلف وهو بمكة ليقتلن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
 فلما بلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم حلفته قال: بل أنا أقتله إن
 شاء الله .

فلما كان يوم أحد أقبل أبي في الحديد مقنعا وهو يقول: لا نجوت إن نجا
 محمد .

فحمل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد قتله، فاستقبله
 مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار يقي رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بنفسه، فقتل مصعب بن عمير، وأبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ترقوة أبي بن خلف من فرجة بين سايغة الدرع والبيضة قطعنه فيها بالحربة
 فوقع إلى الأرض عن فرسه، ولم يخرج من طعنته دم .

فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو يخور خوار الثور فقالوا له (مَا أَجْزَعَكَ ،
 إِنَّمَا هُوَ خَدَشٌ فَذَكَرَ لَهُمْ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ أَنَا أَقْتَلُهُ إِنْ
 شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فَمَاتَ بِرَأْيِهِ)^(١).

قانون النجاة من النبل والسهام

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم سلامته من نبل وسهام المشركين يوم معركة أحد والتي كانت تصله كالمنطر ، إذ كان عددهم ثلاثة آلاف رجل ، وغايتهم الأولى قتل النبي محمد ، فوجهوا النبال والسهام نحوه يرشقونه بها من كل صوب مع قلة الصحابة الذين حوله يومئذ وقد اتخن بعضهم بالجراحات بسبب هذه النبال .

و(عن نافع بن جبير قال: سمعت رجلا من المهاجرين يقول: شهدت أحدا فنظرت إلى النبل تأتي من كل ناحية، ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسطها كل ذلك يصرف عنه .

ولقد رأيت عبدالله بن شهاب الزهري يومئذ يقول: دلوني على محمد لا نجوت إن نجا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه ما معه أحد، فجاوزه، فعاتبه في ذلك صفوان بن أمية .

فقال : والله ما رأيته، أحلف بالله إنه منا ممنوع، خرجنا أربعة فتعاهدنا وتعاهدنا على قتله فلم نخلص إليه)^(١).

ولقد أثخنت الجراحات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصارت السهام تتوجه إليه ، فدافع عنه عدد من الصحابة بأجسادهم وأجسامهم لم يستحضروا ذكر العيال والأولاد والأزواج .

وقام أبو دجانة يحمي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بجسده والسهام تقع عليه.

و(عن محمود بن عمرو بن يزيد بن السكن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما لحمه القتال يوم أحد، وخلص إليه ودنا منه الأعداء، ذب عنه المصعب بن عمير حتى قتل، وأبو دجانة سماك بن خرشة حتى كثرت فيه الجراح.

(١) زاد المعاد ٣/ ١٨٠ .

(٢) ابن كثير / السيرة النبوية ٣/ ٥٩ .

وأصيب وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتلثم ربايعيته وكلمت شفته وأصيب وجنته .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ظاهر يومئذ بين درعين . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من رجل يبيع لنا نفسه؟ فوثب إليه فتية من الأنصار خمسة منهم زياد بن السكن فقاتلوا حتى كان آخرهم زياد بن السكن فقاتل حتى أثبت، ثم تاب إليه ناس من المسلمين فقاتلوا عنه حتى أجهضوا عنه العدو.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزياد بن السكن : ادن مني ، وقد أثبتته الجراحة، فوسده رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمه حتى مات عليها^(١).

و(عن أنس بن مالك أن أبا طلحة كان يرمي بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، يوم أحد والنبي، صلى الله عليه وسلم، خلفه يتترس به. وكان راميا، فكان إذا ما رفع رأسه ينظر أين وقع سهمه، فيرفع أبو طلحة رأسه ويقول: هكذا بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا يصيبك سهم، نحري دون نحرك. وكان أبو طلحة يشور نفسه بين يدي رسول الله)^(٢).

اختتام المعركة بالدعاء

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم اختتامه المعركة بالدعاء والثناء على الله عز وجل ، قال تعالى ﴿قُلْ مَا يَعْجَبُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾^(٣).

وعن رفاعة الزرقعي وهو بدري (لما كان يوم أحد و انكفأ المشركون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : استووا حتى أثني على ربي عز وجل فصاروا خلفه صفوفا فقال :

(١) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ١٥٨/١ .

(٢) ابن سعد / الطبقات الكبرى ٥٠٦/٣ .

(٣) سورة الفرقان ٧٧ .

اللهم لك الحمد كله اللهم لا قابض لما بسطت ، ولا باسط لما قبضت ولا هادي لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ولا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت ولا مقرب لما باعدت ولا مبعد لما قربت اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك.

اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة والأمن يوم الخوف .

اللهم إني عائد بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعتنا .

اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين .

اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين .

اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك واجعل عليهم رجزك وعذابك اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إله الحق^(١).

شروط الكفار في عمرة القضاء

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن كل شرط يشترط عليه الكفار يكون لصالحه ، ولمنفعة الإسلام ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(٢)، ولقد اشترطت قریش على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في صلح الحديبية في السنة السادسة للهجرة أن يرجع وأصحابه إلى المدينة ، ولا يدخلوا مكة في تلك السنة كيلا تقول العرب أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم دخل مكة عنوة عليهم ، ولا أصل لهذا العذر ، وهو من مصاديق عدم أهليتهم لولاية البيت

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ٧٧/٣ .

(٢) سورة الأنفال ٣٠.

الحرام ، قال تعالى ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

وأن يدخل النبي وأصحابه مكة معتمرين في قابل ، ليس معهم إلا سلاح الراكب وهي سيوف صغيرة في أغمارها ، وظنت قريش أن هذا الشرط نصر لهم ، ولكن تبين خلافه ، إذ أنكرت العرب هذا الشرط وصدّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه عن العمرة ، وهو من رشحات ومصاديق قوله تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(٢) ، وإرادة صلح الحديبية في هذه الآية .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مصاديق قوله تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(٣) ، أن كل شرط شرطته قريش هو لصالح النبوة والإسلام بالدليل الواقعي الآني واللاحق ودخول الناس في الإسلام ، وضعف جبهة الكفار ، وصارت هذه الشروط حجة عليهم ومقدمة لفتح مكة .

وعندما جاء الموعد في السنة التالية وفي شهر ذي القعدة من السنة السابعة للهجرة كان نصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والتنزيل جلياً .
وحينما دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكة في عمرة القضاء (لم يكن أبو سفيان أسلم ولم يبق بمكة من أهلها أحد حين دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بل خرجوا منها ، وتغيّبوا عنها مدة مقامه عليه السلام بها تلك الثلاثة الايام)^(٤) .
ولم تخرج قريش كلها من مكة بل بقي شطر منهم ، خصوصاً المسلمين .

(١) سورة الأنفال ٣٤ .

(٢) سورة الفتح ١ .

(٣) سورة الفتح ١ .

(٤) السيرة النبوية لابن كثير ٦٩٧/٣ .

ترى لماذا خرجوا من مكة يومئذ ، قيل أنهم كرهوا رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مكة ، والمختار أنهم أيضاً خشوا استيلاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه على مكة ، وعجز قريش عن إيجاد الناصر لهم وأخذ رؤساء الشرك أسرى ، إذ صارت القبائل يومئذ على أقسام :

الأول : قبائل دخلت الإسلام مثل خزاعة بعد صلح الحديبية ، وكثير منهم الذين دخلوا الإسلام قبل صلح الحديبية .

الثاني : قبائل اختارت الوقوف والتريث حتى يتجلى الأمر بسيادة الإسلام .

ومن الخصال المستحدثة لهذه القبائل النفرة من عبادة الأوثان ، وإدراك قبحها ومجانبة قريش والإبتعاد عنها .

الثالث : الذين بقوا مع قريش مثل بنو الدليل من بني بكر ، وهل أدرك رجال قريش هذا التقسيم ، وأن العرب صارت تميل إلى الإسلام بوضوح ، الجواب نعم .

لذا قامت قريش باشعال فتنة بمد بني الدليل بالسلاح وقاتلوا معهم ضد خزاعة مباغته وخلافاً للشروط وحازوا خزاعة إلى الحرم وأجهزوا عليهم فيه بأصرار قبيح وجحود من رئيس بني الدليل نوفل بن معاوية ، ولم تكن بنو بكر كلها اشتركت في هذا العدوان .

دلائل عمرة القضاء

عندما حان شهر ذي القعدة من السنة السابعة للهجرة خرج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومعه ألفان من أصحابه عدا النساء والصبيان لأداء العمرة التي تسمى عمرة القضاء لأنه قاضي فيها قريشاً ولأنها قضاء عن العمرة التي صدّه المشركون عنها في العام الماضي وإن كانت عمرة تامة إذ حلّقوا رؤسهم بالحل بجوار الحرم فحملت الريح شعورهم وألقته بالحرم كما تسمى عمرة القصاص .

فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أمور :

الأول : عقد الصلح مع المشركين .

الثاني : الصبر عن أداء العمرة للعام التالي.

الثالث : أولوية الأمن وحقق الدماء وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا

أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١).

وعندما وصل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه إلى مكة خرجت قريش إلى عكاظ فأقاموا فيها ثلاثة أيام واشتروا عليه أن لا يدخلها بسلاح إلا بالسيف ، ولا يخرج بأحد من أهل مكة إن خرج معه ، فنحر الهدي مكانه وحلق ورجع حتى إذا كان في قابل من تلك الأيام دخل مكة ، وجاء بالبدن معه ، وجاء الناس معه.

فدخل المسجد الحرام فأنزل الله عليه ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَدْخُلْكَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِنِ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾^(٢)^(٣).

أي أن الله عز وجل هو الذي جعل رؤيا النبي صلى الله عليه وآله وسلم تصبح صدقاً وواقعاً.

ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم امتثال الصحابة وعامة المسلمين لمضامين رؤياه.

ليكون من بركات الوحي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وجوه :

الأول : التحدي للمشركين.

الثاني : حصول الفتح.

الثالث : العمرة في العام التالي.

(١) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٢) سورة الفتح ٢٧.

(٣) الدر المنثور ٩/٢٣٢.

ولا يضر به تساؤل بعض الصحابة بأنهم لم يعتمروا في ذات السنة وهي السادسة للهجرة ، ومع هذا أجابهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه لم يقل بوقوع العمرة في ذات السنة .

ونزل في طريق عودة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من الحديبية إلى المدينة قوله تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(١).

وعن عبد الله مسعود قاله (لما أقبلنا من الحديبية أعرسنا فمنا، فلم نستيقظ إلا بالشمس قد طلعت، فاستيقظنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم نائم، قال: فقلنا أيقظوه، فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال : افعلوا كما كنتم تفعلون، فكذاك من نام أو نسي.

قال : وفقدنا ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجدناها قد تعلق خطامها بشجرة ، فأتيته بها، فركب فيها نحن نسير، إذ أتاه الوحي .

قال : وكان إذا أتاه اشتد عليه؛ فلما سري عنه أخبرنا أنه أنزل عليه ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(٢) ^(٣).

ليبان معجزة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في بركات الرؤيا التي يراها وكيف وقف بعدها القتال بين المسلمين والمشركين حتى تم فتح مكة سلماً ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾^(٤).

ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قانون رؤيا النبي تنفزع عنها المعجزات المتجددة.

وهل من ملازمة بين الرؤيا الصادقة وبين وقوع مصداقها في الواقع ، الجواب لا ، لذا لا بد من الإجتهد بالدعاء لتنجز الرؤيا النافعة ورؤيا البشارة ، والدعاء لصرف رؤيا الإنذار.

(١) سورة الفتح ١.

(٢) سورة الفتح ١.

(٣) تفسير الطبري ١٩٩/٢٢.

(٤) سورة الأحزاب ٢٥.

التوجه نحو الحديبية

ورد في قوله تعالى ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنِ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَبَجَلْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَحًا قَرِيبًا﴾^(١).

في صحيحة ابن أبي عمير عن الإمام الصادق عليه السلام إنه قال (كان سبب نزول هذه السورة وهذا الفتح العظيم أن الله عز وجل أمر رسول الله صلى الله عليه وآله في النوم أن يدخل المسجد الحرام ويطوف ويخلق مع المخلقين .

فأخبر أصحابه وأمرهم بالخروج، فخرجوا، فلما نزل ذا الحليفة أحرموا بالعمرة وساقوا البدن، وساق رسول الله صلى الله عليه وآله ستة وستين بدنة وأشعرها عند إحرامه، وأحرموا من ذي الحليفة ملبين بالعمرة، وقد ساق من ساق منهم الهدى معرات مجلات .

فلما بلغ قريش ذلك بعثوا خالد بن الوليد في مائتي فارس كميناً ليستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله فكان يعارضه على الجبال، فلما كان في بعض الطريق حضرت صلاة الظهر فأذن بلال وصلى رسول الله صلى الله عليه وآله بالناس، فقال خالد بن الوليد: لو كنا حملنا عليهم في الصلاة لأصبناهم، فإنهم لا يقطعون صلاتهم، ولكن يجيئ لهم الآن صلاة أخرى أحب إليهم من ضياء أبصارهم، فإذا دخلوا في الصلاة أغرنا عليهم . فنزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله بصلاة الخوف في قوله ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾^(٢).

(١) سورة الفتح ٢٧.

(٢) سورة النساء ١٠٢.

الآية فلما كان في اليوم الثاني نزل رسول الله صلى الله عليه وآله الحديبية وهي على طرف الحرم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يستتفر الاعراب في طريقه معه ، فلم يتبعه منهم أحد.

ويقولون : أيطمع محمد وأصحابه أن يدخلوا الحرم وقد غزتهم قريش في عقر ديارهم فقتلوهم ، إنه لا يرجع محمد وأصحابه إلى المدينة أبدا فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وآله الحديبية خرجت قريش يحلفون باللات والعزى لا يدعون محمدا يدخل مكة وفيهم عين تطرف.

فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله أنه لم آت لحرب وإنما جئت لأقضي نسكي ، وأنحر بدني ، وأخلي بينكم وبين لحمتها : فبعثوا عروة بن مسعود الثقفي وكان عاقلا لييبا وهو الذي أنزل الله فيه ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(١).

ليبان أن نعمة الفتح المبين بقوله تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(٢) بشارة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بدخول المسجد الحرام فكان الفتح هو صلح الحديبية لبيان أن الإسلام دين السلام والأمن.

وهل من الفتح المبين هذا ورشحات هذا الزحف النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي وثقها القرآن إلى يوم القيامة أمور :

الأول : توجه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وألف وأربعمئة من أصحابه إلى الحديبية .

الثاني : سلامة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في الطريق والإقامة في الحديبية .

الثالث : عودة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من الحديبية بصلح ووقف للقتال .

(١) سورة الزخرف ٣١.

(٢) سورة الفتح ١.

الجواب نعم لبيان قانون منافع رؤيا النبي عامة ومتجددة وتبقى عبرة وموعظة.

مقدمات صلح الحديبية

بعد غزو عشرة آلاف من المشركين مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في شوال من السنة الخامسة للهجرة واضطرار النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه لحفر خندق حول المدينة بمشورة من سلمان الفارسي ومحاصرة المشركين المدينة نحو عشرين ليلة ، ثم انسحبوا بعد أن قتل الإمام علي عليه السلام فارس مضر عمرو بن عبد ود العامري ، وهبوب ريح شديدة عليهم ، قال تعالى ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾^(١).

رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام أنهم يدخلون المسجد الحرام بأمان ومنهم من حلق رأسه ومنهم من قصره لبيان أدائهم مناسك العمرة.

فأخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه بهذه الرؤيا المباركة ولم يكتفها ، وفيه معجزة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يمر عام على معركة الخندق ليبشر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه بالعمرة. قال لهم (إني قد رأيت أنكم ستدخلون المسجد الحرام محلقين رؤوسكم ومقصرين)^(٢).

وهذه الرؤيا شعبة من الوحي ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أمور :

الأول : ترتب الحكم على رؤيا النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
الثاني : تلقي الصحابة أخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتصديق.

(١) سورة الأحزاب ٢٥.

(٢) الدر المنثور ٩/٢٣٢.

الثالث : تأديب المسلمين بأن رؤيا النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم شعبة من الوحي ، فندب الصحابة معه لأداء العمرة ، فكان صلح الحديبية الذي هو نصر عظيم .

فدعى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أهل المدينة ومن حولها إلى التوجه إلى العمرة لبيان إقامته حكماً عاماً على الرؤيا وخرج معه ألف وأربعمائة من الصحابة ليس معهم سلاح إلا سلاح الراكب ، وهي سيوف صغيرة في أغمادها .

حتى إذا وصلوا إلى موضع الحديبية على حدود الحرم ، وتبعد عن مكة نحو (٢٢) كم تصدت خيل ورجال قريش لمنعهم من دخول الحرم ، ثم جرت مفاوضات بين النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ووفد قريش برئاسة سهيل بن عمرو وكاد أن يقع بينهم قتال ، وبعد أخذ ورد تم الصلح كما بيناه بالتفصيل في أجزاء من معالم الإيمان في تفسير القرآن منها الجزء (٢٦٠) والجزء (٢٦١) .

ومن شروطه أن يرجع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ثم يأتون في العام القادم للعمرة وهو الذي حصل وتسمى عمرة القضاء .
(فقالت قريش : نقاضيك على أن تنحر الهدي مكانه وتحلق وترجع ، حتى إذا كان العام المقبل نخلي لك مكة ثلاثة أيام ، ففعل .

الإنقلاب من الحديبية

لقد رجع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد صلح الحديبية إلى المدينة وأيهما أطول على الصحابة طريق الذهاب إلى الحديبية أم طريق العودة منها إلى المدينة ، الجواب هو الأول .

إذ صاحبهم في الذهاب الحرج واحتمال هجوم المشركين ، خاصة وأن جيشاً من خيالة قريش برئاسة خالد بن الوليد تلقوهم في الطريق ، بينما

عادوا من الحديبية بالعز والأمن والفتح إذ نزل وهم في طريق العودة قوله تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(١).

رجاء حسن العاقبة

ورد في التنزيل ﴿وَلَوْ كُنْتَ تُعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْرَهْتُمْ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٢).

في الآية دعوة سماوية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للبراءة من علم الغيب ، وتأديب للمسلمين.

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المنع من الغلو بشخصه الكريم إذ أكدت آيات القرآن عبوديته لله عز وجل وأنه سخر نفسه في الدعوة إلى الإيمان بالله عز وجل وطاعته ، وفي التنزيل ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾^(٣).

(عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أم العلاء -وهي امرأة من نسائهم- أخبرته -وكانت بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم- قالت: طار لهم في السكنى حين اقترعت الأنصار على سكنى المهاجرين عثمان بن مظعون. فاشتكى عثمان عندنا فمرضناه، حتى إذا توفي أدرجناه في أثوابه، فدخل علينا رسول الله فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب، شهادتي عليك، لقد أكرمك الله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : وما يدريك أن الله أكرمه. فقلت: لا أدري بأبي أنت وأمي .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أما هو فقد جاءه اليقين من ربه، وإنني لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي .

(١) سورة الفتح ١.

(٢) سورة الأعراف ١٨٨.

(٣) سورة الجن ١٩.

قالت: فقلت: والله لا أزكي أحدا بعده أبدا. وأحزني ذلك، فنمت فرأيت لعثمان عينا تجري، فجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته بذلك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ذاك عمله^(١). يقوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتأويل رؤيا الصحابييات ، ومنه تأويله لرؤيا أم الفضل في بشارة ولادة الإمام الحسين عليه السلام. (عن أنس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعجبه الرؤيا الحسنة ، فجاءت امرأة فقالت : يا رسول الله رأيت في المنام كأنني أخرجت فأدخلت الجنة ، فسمعت وجبة التجّت لها الجنة ، فإذا أنا بفلان وفلان حتى عدت اثني عشر رجلاً .

وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سرية قبل ذلك ، فجيء بهم عليهم ثياب طلس تشخب أوداجهم فليل: اذهبوا بهم إلى نهر البيدخ ، فغمسوا فيه ، فخرجوا وجوههم كالقمر ليلة البدر ، وأتوا بكراسي من ذهب فقعدوا عليها ، وجيء بصحفة من ذهب فيها بسرة ، فأكلوا من بسره ما شاؤوا ، فما يقبلونها لوجهة إلا أكلوا من فاكهة ما شاؤوا ، فجاء البشير فقال : يا رسول الله كان كذا وكذا . . . وأصيب فلان وفلان ، حتى عدّ اثني عشر رجلاً.

فقال : عليّ بالمرأة فجاءت فقال : قصي رؤياك على هذا فقال الرجل : هو كما قالت أصيب فلان وفلان^(٢).

الإستسقاء بالنبي

وعن مالك الدار وكان خازن عمر على الطعام (قال : أصاب الناس قحط في زمان عمر بن الخطاب فجاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله : استسق لأمتك ، فاتاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(١) تفسير ابن كثير ٢٧٧/٧.

(٢) الدر المنثور ٥٠/١.

في المنام فقال ائت عمر فأقرئه السلام وقل له إنكم مُسقون فعليكم بالكيس ، قال فبكى عمر وقال يا رب ما آلوا إلا ما عجزت عنه^(١).

(وَقَدْ رَوَى سَيْفٌ فِي الْفَتْوحِ أَنَّ الَّذِي رَأَى الْمَنَامَ الْمَذْكُورَ هُوَ بِلَالُ بْنُ الْحَارِثِ الْمُزْنِيُّ أَحَدَ الصَّحَابَةِ)^(٢).

وبلال بن الحارث هو حامل لواء مزينة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم فتح مكة .

ولقد استسقى أهل مكة بعبد المطلب ببركة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو لا زال في سن الصبا (اخرج ابن سعد وابن أبي الدنيا والبيهقي والطبراني وأبو نعيم وابن عساكر من طرق عن مخزومة بن نوفل عن امه رقيقة بنت صيفي وكانت لدة^(٣) عبد المطلب .

قالت تتابعت على قريش سنون جدبة أقحلت الجلد وأدقت العظم فينا أنا نائمة أو مهومة إذا هائف يصرخ بصوت صحل يقول يا معشر قريش إن هذا النبي المبعوث منكم قد أظلكم أيامه وهذا أبان مخرجه فحي هلا بالحياة والخصب ألا فانظروا رجلا منكم وسيطا عظاما جساما أبيض بضاً^(٤) أوطف الأهداب سهل الخدين أشم العينين له فخر يكظم عليه وسنة يهدي إليه فليخلص هو وولده وولد ولده .

وليهبط إليه من كل بطن رجل فليشنوا من الماء وليمسوا من الطيب ثم ليستلموا الركن وليطوفوا بالبيت سبعا .

ثم ليرتقوا أبا قبيس فليستسق الرجل وليؤمن القوم فغثتم^(٥) ما شئتم إذا قالت .

(١) تاريخ دمشق ٤٨٩/٥٦ .

(٢) ابن حجر / فتح الباري ٤٤١/٣ .

(٣) اللدة : الترب الذي يولد مع الشخص تقريباً ومثله السن ، ويكون في سنه وعمره والجمع لدات ولدون .

(٤) البض : الرقيق اللون لذي فيه أدنى شئ ، ولا يختص بالأبيض .

(٥) فغثتم : بكسر الغين أي سقيتم الغيث .

فأصبحت مذعورة قد اقشعر جلدي ووله عقلي واقتصصت رؤياي
فقممت في شعاب مكة فما بقي بها أبطحي إلا قالوا هذا شبيهة الحمد وتنامت
إليه رجالات قريش وهبط إليه من كل بطن رجل فشنوا من الماء ومسوا من
الطيب واستلموا وطاقوا ثم ارتقوا أبا قبيس .

حتى إذا استووا بذروة الجبل قام عبد المطلب ومعه رسول الله { صلى
الله عليه وآله وسلم } غلام قد أيفع أو كرب .

فقال عبد المطلب اللهم ساد الخلة وكاشف الكربة انت عالم غير معلم
ومسؤول غير مبخل وهذه عبداؤك وإماؤك بعذرات حرمك يعني أفنية
حرمك يشكون إليك ستتهم أذهبت الخف والظلف .

اللهم فامطرنا غيثا مغدقا ومريعا .

فما راموا حتى انفجرت السماء بمائها والظ الوادي بثجيجه فلسمعت
شيخان قريش ، وفي رواية ذكرت بعض اسمائهم وهم :

الأول : عبد الله بن جدعان .

الثاني : حرب بن أمية .

الثالث : هشام بن المغيرة ^(١) .

يقولون لعبد المطلب هنيئا يا ابا البطحاء هنيئا أي عاش بك أهل
البطحاء وفي ذلك تقول رقيقة

بشبية الحمد اسقى الله بلدتنا ... لما فقدنا الحيا وأجلود المطر

فجاد بالماء جوني له سبل ... سحا فعاشت به الأنعام والشجر

منا من الله بالميمون طائره ... وخير من بشرت يوما به مضر

مبارك الأمر يستسقي الغمام به ... ما في الآنام له عدل ولا خطر ^(٢) .



(١) المنتظم ٢١٨/١ .

(٢) الخصائص الكبرى ١٣٥/١ .

الإستسقاء والإستجابة له

وإذ غادر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى فقد ترك للمسلمين سنته وسنة الأنبياء السابقين بالإستسقاء وكيفيته وصلاته المخصوصة وهي ركعتان مثل صلاة العيد مع الإلحاح في الدعاء.

وتعددت طرق استسقاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم منها :

الأول : استسقى رسول الله في خطبة الجمعة وهو على المنبر.

الثاني : استسقى بالدعاء من غير اقتران هذا الدعاء بصلاة مخصوصة.

الثالث : استسقى وهو جالس في المسجد النبوي برفع يديه بالدعاء .

ومما حفظ من دعائه حيثئذ (اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا مَرِيحًا طَبَقًا عَاجِلًا غَيْرَ رَائِتٍ نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍ)^(١).

الرابع : الإستسقاء بسؤال بعض المسلمين .

وعن (أنس بن مالك قال : أَصَابَتِ النَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَبِغُوا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى الْمَنَبْرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ يَخْطُبُ النَّاسُ فَأَتَاهُ أَغْرَابِيٌّ .

فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْكَ الْمَالُ ، وَجَاعَ الْعِيَالُ فَادْعُ اللَّهَ لَنَا فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا وَضَعَهَا حَتَّى ثَارَتْ سَحَابٌ كَأَمْثَالِ الْجِبَالِ ، ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنِ الْمَنَبْرِ حَتَّى رَأَيْتُ الْمَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَى لَحِيَّتِهِ فَمَطَرْنَا يَوْمَنَا ذَلِكَ ، وَمِنَ الْغَدِ ، وَمِنْ بَعْدِ الْغَدِ وَالَّذِي يَلِيهِ حَتَّى الْجُمُعَةِ الْآخِرَى . فَقَامَ ذَلِكَ الْأَغْرَابِيُّ أَوْ قَالَ رَجُلٌ غَيْرُهُ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ تَهْدِمُ الْبِنَاءَ وَجَاعَ الْعِيَالُ فَادْعُ اللَّهَ لَنَا .

فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا .

قَالَ فَمَا يُشِيرُ بِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ السَّحَابِ إِلَّا أَنْفَرَجَتْ حَتَّى صَارَتْ الْمَدِينَةَ مِثْلَ الْجُوبَةِ ، وَسَالَ الْوَادِي وَادِي قَنَاةَ شَهْرًا ، وَلَمْ يَجِءْ أَحَدٌ مِنَ نَاحِيَةٍ مِنَ النَّوَاحِي إِلَّا حَدَّثَ بِالْجُودِ^(١).

الخامس : استسقاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو على المنبر في غير خطبة الجمعة.

ويأتي الماء وينزل المطر بفضل من الله ويصيب البر والفاجر رحمة من الله بالناس وفصل منه على خلفاء الأرض ، واستدامة ارزاقهم ، وتارة يأتي بدعاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والصالحين ، وفي قوله تعالى ﴿وَجَعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾^(٢).

ورد عن أبي هريرة^(٣) (قال : نزلت الآية في رجل من الأنصار في غزوة تبوك ، ونزلوا بالحجر فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يحملوا من مائها شيئاً ثم ارتحل ثم نزل منزلاً آخر ، وليس معهم ماء ، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام يصلي ركعتين ، ثم دعا فأرسل سحابة فأمطرت عليهم حتى استقوا منها.

فقال رجل من الأنصار لآخر من قومه يتهم بالنفاق : ويحك قد ترى ما دعا النبي صلى الله عليه وسلم فأمطر الله علينا السماء فقال : إنما مطرنا بنوء كذا وكذا ، فأنزل الله ﴿وَجَعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾^(٤)^(٥).

والمراد من النوء النجم ، ويكون بمعنى مفرد أنواء وهي منازل القمر الثمانية والعشرون منزلة ينزل القمر كل ليلة إحدى هذه المنازل أو قريباً منها ، قال تعالى ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾^(٦).

(١) البيهقي / السنن الكبرى ٢/ ٢١٢ .

(٢) سورة الواقعة ٨٢ .

(٣) في الأصل أبي (حرزة) سهو من النساخ .

(٤) سورة الواقعة ٨٢ .

(٥) الدر المنثور ٩/ ٤٠٠ .

وكان العرب في الجاهلية يظنون أنه إذا سقط نجم كذا طلع نجم آخر بدله فينزل المطر ، فينسبون المطر إلى هذه الأنواء .

صلاة الإستسقاء

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تشريعه صلاة الإستسقاء عند الحاجة إلى المطر وهي سنة مؤكدة بالتوجه إلى الله بالدعاء والصلاة ، وفيها إقرار بأن الغيث بيد الله عز وجل ، وبالحاجة العامة إلى فضل الله ورحمته ، وهي ركعتان بدون أذان. تستحب صلاة الإستسقاء عند الجذب وغور الأنهار وقلة الأمطار وكيفيتها مثل صلاة العيدين.

والإستسقاء طلب الماء من الله ، قال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَةً وَهُوَ الْكَافِيُ الْحَمِيدُ﴾^(١).

يسأل المصلون الله عز وجل في القنوتات الرحمة بارسال الغيث واستعطافه عز وجل على خلقه ، ومع الإستغفار من المعاصي والذنوب وأسباب منع قطر السماء، ويصح القنوت والدعاء بكل ما تيسر من وجوه السؤال والتضرع والسكينة، والأفضل المأثور الوارد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمعصومين عليهم السلام. يستحب فيها أمور منها :

الأول: ان يصوم الناس ثلاثة ايام، وان يكون الخروج في اليوم الثالث، وان يكون الثالث يوم الإثنين أو يوم الجمعة.

الثاني : استحباب الغسل للإستسقاء

الثالث : يستحب خروجهم الى الصحراء حفاة على سكينة ووقار إلا في مكة كيلا يخلو المسجد الحرام من عماره ، قال تعالى ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِي

(١) سورة يس ٣٩.

(٢) سورة الشورى ٢٨.

لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعَ السُّجُودَ ﴿١١﴾.

الرابع : يستحب اخراج الشيوخ والأطفال والعجائز معهم واهل الصلاح والتقوى ، وان يفرقوا بين الأطفال وامهاتهم.

الخامس : اذا خرج الإمام من الصلاة يستحب له بعد أن يستقبل القبلة تحويل رداءه بأن يجعل ما على يمينه على يساره وبالعكس ، لوجهين :

أولاً : التأسّي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ثانياً : تفاؤلاً بتحويل الجذب خصباً .

ثم يستقبل القبلة ويكبر مائة تكبيرة رافعاً بها صوته ، ثم يلتفت الى يمينه ويسبح مائة تسيحة ثم الى يساره ويهلل مائة تهليله ثم يستقبل الناس ويحمد الله مائة تحميدة ، والمأمومون يتابعونه في ذلك كله ، ثم يخطب الإمام ويبالغ في تضرعاته وان تأخرت الإجابة كرر ذلك حتى تدركهم الرحمة وينزل الغيث.

السادس : الخروج بهيئة الخضوع والمسكنة من غير زينة أو تبرج أو ترف ، وكذا بالنسبة للمركبة إلى موقع الصلاة .

السابع : عدم حصر التضرع على أوان الصلاة ، إذ يجتهد المسلمون بعدها بالإستغفار والتوسل والابتهاال إلى الله عز وجل ، وفي نوح ورد قوله تعالى ﴿ قُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ يَبِينُ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جُنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ (١).

الثامن : إذا لم ينزل المطر يستحب إعادة الصلاة .

(مسألة ٩٩٥) صلاة الإستسقاء سنة مؤكدة على الرجال والنساء خصوصاً اهل التقوى .



(١) سورة الحج ٢٦.

(٢) سورة نوح ١٠-١٢.

ذو الشهادتين

في ترجمة خزيمة بن ثابت الأوسي الأنصاري أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سماه "ذا الشهادتين" إذ كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرس يدعى المرتجز .

وعن الإمام علي عليه السلام (قال : كان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فرس يقال له المرتجز، وحمار يقال له عفير)^(١).

وقيل (وكان له فرس يقال له المرتجز سمي بذلك لحسن صهيله كأنه ينشد رجزا وكان أبيض وهو الذي شهد له فيه خزيمة بن ثابت فجعل شهادته شهادة رجلين)^(٢).

قال محمد بن عمر فسألت محمد بن يحيى بن سهل عن المرتجز فقال هو الفرس الذي اشتراه من الأعرابي الذي شهد له فيه خزيمة بن ثابت وكان الأعرابي من بني مرة .

إذ جاء خزيمة بن ثابت الأنصاري والأعرابي يقول لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم أبعك الفرس وذلك أنهم أعطوه به أكثر من الثمن الذي ابتاعه به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فرجع عن البيع ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول له قد بعته فقال الأعرابي من يشهد لك بذلك .

فقال خزيمة أنا أشهد أنك قد بعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لخزيمة كيف شهدت بهذا قال أشهد أن كل من قلت هو الحق والصدق فجعلت شهادة خزيمة كشهادة رجلين^(٣) ، ليكون التصديق بالوحي والتسليم برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مناسبة للإرتقاء في سلم المعارف ، وسبباً للإكرام الخاص ،

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ٧١٢/٤ .

(٢) عيون الأثر ٤٠٩/٢ .

(٣) تاريخ دمشق ٢٢٨/٤ .

وتسمية ذي الشهادتين بشارة لأجيال المسلمين والمسلمات بالأجر والثواب من عند الله عز وجل .

ويدل الحديث على موضوعية الوحي في إسلام الكثير من المسلمين ورسوخ الإيمان في صدورهم ، وصيرورته ملكة ومرتكزاً للمعاملة مع التزامهم بالامثال له أمراً ونهياً .

وجاءت إفاضات الوحي والتصديق به على نحو القضية الشخصية في الشرف العظيم الذي ناله خزيمة وبواسطته المسلمين جميعاً لتصديقهم بالوحي ورسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأمته التصديق بجميع الأنبياء والمرسلين ، قال تعالى ﴿قُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(١).

قانون تعزية النبي لأصحابه

من شمائل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومصاديق قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢)، مسائل :

الأولى : تفقد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه في الصلاة ، والحضور في المسجد النبوي .

الثانية : سؤال النبي عمن يفقده من الصحابة ثلاثة أيام ، ومعرفة سبب انقطاعه عن صلاة الجماعة ، وعن الحضور للمسجد النبوي ، والدعاء له .

الثالثة : عيادة المرضى والمساكين والدعاء لهم ، وعن أبي (أمامة بن سهل بن حنيف أن مسكينة مرضت ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمرضها .

(١) سورة العنكبوت ٤٦.

(٢) سورة القلم ٤ .

قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المساكين ويسأل عنهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا مات فأذنوني، قال: فخرج بجنائزها ليلاً، وكرهوا أن يوقظوا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر بالذي كان من شأنها. فقال: ألم أمركم أن تؤذنوني بها، فقالوا: يا رسول الله، كرهنا أن نخرجك ليلاً أو نوقظك.

قال: فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صف بالناس على قبرها^(١).

الرابعة: مجالسة أصحابه والمشي معهم.

الخامسة: إجابة دعوة الذي يدعونه إلى طعام، وإن جاء معه شخص آخر استأذن له النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يدخل.

السادسة: حسن مواساة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه، وتعزيته لهم عند المصيبة.

ومن خصائص تعزية النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أمور:

الأول: قانون تعزية النبي وحي.

الثاني: اقتران تعزية النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالدعاء.

الثالث: صيرورة تعزية النبي صلى الله عليه وآله وسلم والدعاء سنة نبوية حميدة.

و(عن بريدة قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فبلغه أن امرأة من الأنصار مات ابن لها فجذعت عليه، فقام النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه، فلما دخل عليها قال: أما أنه قد بلغني أنك جزعت؟ فقالت: ما لي لا أجزع وأنا رقوب لا يعيش لي ولد).

(١) ابن منظور / مختصر تاريخ دمشق ٦٩/٢.

فقال : إنما الرقوب التي يعيش ولدها ، إنه لا يموت لامرأة مسلمة ثلاثة من الولد فتحسبهم إلا وجبت لها الجنة . فقال عمر : واثنين؟ قال : واثنين^(١).

وعن قرة بن إياس المزني (قال كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَلَسَ يَجْلِسُ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَفِيهِمْ رَجُلٌ لَهُ ابْنٌ صَغِيرٌ يَأْتِيهِ مِنْ خَلْفِ ظَهْرِهِ فَيَقْعُدُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَهَلْكَ فَاَمْتَنَعَ الرَّجُلُ أَنْ يَخْضُرَ الْحَلَقَةَ لِذِكْرِ ابْنِهِ فَحَزَنَ عَلَيْهِ فَقَعَدَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : مَا لِي لَا أَرَى فَلَانًا . قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ بَنِيَّ الَّذِي رَأَيْتُهُ هَلْكَ ، فَلَقِيَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَهُ عَنْ بَنِيهِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ هَلْكَ فَعَزَّاهُ عَلَيْهِ .

ثُمَّ قَالَ : يَا فَلَانُ أَيَّمَا كَانَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ تَمْتَعَ بِهِ عُمْرُكَ أَوْ لَا تَأْتِيَ غَدًا إِلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدْتَهُ قَدْ سَبَقَكَ إِلَيْهِ يَفْتَحُهُ لَكَ ، قَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ بَلْ يَسْبِقُنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُهَا لِي لَهْوَ أَحَبُّ إِلَيَّ ، قَالَ : فَذَاكَ لَكَ^(٢).

منهاج الصفح

يبين قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣) ، منهاج نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعصمته من إيذاء الناس أو الإضرار ببعضهم ، لذا فانه يجتنب القتال ، ورد الأذى والكيد .

وكان يقابل الأذى بالعفو والصفح ، ولم يعرف الثأر والانتقام والبطش لسنته سبيلاً أبداً ، وهو من وجوه العصمة التي يتحلّى بها .

ومن الإعجاز في المقام أن كلمة (اصفح) وردت ثلاث مرات في القرآن كلها أمر من الله عز وجل إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو

(١) الدر المنثور ١/ ٣١٦ .

(٢) سنن النسائي ٧/ ٢٧٢ .

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧ .

من خصائصه ، وليس عند النبي إلا الإمثال التام لهذه الأوامر خاصة وأن قوله وفعله شعبة من الوحي :

الأولى : قوله تعالى ﴿ فَبِمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١).

الثانية : قوله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ (٢).

الثالثة : قوله تعالى ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣).

ووردت مرة واحدة بصيغة الجمع في أمر إلى المسلمين ﴿ وَذَكِّرْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٤).

لييان وجوه :

الأول : قانون رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم رسالة صفح ولأنه خاتم النبيين فقد أراد الله عز وجل أن يبقى الصفح والعفو هو ملاك الصلوات بين الناس .

الثاني : لو تعارض خبران في السنة النبوية تأخذ بالذي يتضمن الصفح.

(١) سورة المائدة ١٣.

(٢) سورة الحجر ٨٥.

(٣) سورة الزخرف ٨٩.

(٤) سورة البقرة ١٠٩.

الثالث : الأمر العام من الله للمسلمين بان يتخذوا الصفح والعفو منهاجاً فيما بينهم ومع الناس جميعاً وهو الذي تدل عليه صيغة العموم بقوله تعالى ﴿وَدَكِّيرُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

دعاء النبي (ص) لوفد الحاج

قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(٢)، ومن الإعجاز في هذه الآية ورودها بصيغة العموم الإستغراقي للناس جميعاً لشمول آدم وحواء بوجوب الحج ، وفي رواية أن آدم حج سبعمائة حجة ، ويخرج الكفار بالتخصيص لقوله تعالى ﴿فَلَا تَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٣)، ولإمتناع بالإختيار ينافي الإختيار.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج، وروي ان علي بن الموفق حج عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حججاً قال: فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام، فقال لي يا ابن الموفق حججت عني، قلت: نعم، قال: وليت عني، قلت: نعم، قال: فاني اكافئك بها يوم القيامة وأخذ بيدك في الموقف فادخلك الجنة والخلائق في كرب الحساب.

حكى معروف القاص : ان الحجيج كانوا يجتمعون في الدعاء بعرفات وفيهم رجل من التراكمة ساكت، لا يحسن ان يدعو فخرج صدره ووقع

(١) سورة البقرة ١٠٩.

(٢) سورة آل عمران ٩٧.

(٣) سورة التوبة ٢٨.

عليه البكاء .

فقال بلغته الهي انت تعلم اني لا احسن شيئاً من دعواتهم فاسألك ما يطلبون منك بما دعوا فرأى بعض الصالحين في منامه ان الله قبل حج الناس بدعوة تركماني الى نفسه بالفقر والفاقة^(١).

في اشارة الى قبول الله القليل والميسور المتحد ويعطي عليه الكثير المتعدد، وان الرؤيا تأتي بشارة ورحمة وحثاً على الإجتهد في الدعاء في الحج وغيره.

الصبر على شدة أذى المشركين

لقد لاقى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وأهل بيته أشد الأذى من كفار قريش مدة ثلاث عشرة سنة في مكة قبل هجرته إلى المدينة. وعندما اشتد أذى قريش عليهم قال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لطائفة من أصحابه (لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فَإِنَّ بِهَا مَلَكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ ، وَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا)^(٢). وفيه وجوه :

الأول : تأكيد اجتناب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الصدام مع المشركين .

الثاني : بيان صبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتأديب أصحابه على الصبر والتحمل .

الثالث : انشطار الصحابة الأوائل الى شعبتين :

الأولى : الذين بقوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مكة .

الثانية : الذين هاجروا إلى الحبشة .

الرابع : درء الفتنة ، وصرف الصحابة الأوائل عن التصادم مع المشركين.

(١) ربيع الابرار ٢/٢١٦.

(٢) ابن هشام / السيرة النبوية ١/٣٢١ .

الخامس : موضوعية نزول آيات القرآن في هداية الناس للإيمان ، فلم يشهر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه سيوفاً ، إنما كان سلاحهم آيات وسور القرآن التي تفضل الله بنزولها على التوالي والتعاقب .
ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بقاءه ثلاث عشرة سنة في مكة مع وطأة شدة الأذى من قريش له ولأصحابه وأهل بيته ، ولم يرد عليهم بالمثل .

نعم ، كانت آيات القرآن تترى في نزولها وهي تتضمن توبيخ وتبكيث الذين كفروا وتدعوهم للتوبة والإنابة ، وتأمّر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه بالصبر ، ومنه سورة العصر ، قال تعالى ﴿ وَالْعَصْرُ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴾^(١).

فمن خصائص النبي محمد من بين الأنبياء دفاع القرآن عنه .
وأمر طائفة من أصحابه بالهجرة إلى الحبشة مع بعدها ولم يأمرهم بالذهاب إلى بلدة قريبة مثل الطائف أو المدينة كي يكونوا قريبين منه لندبهم عند الحاجة .

وفيه شاهد على حسن توكله على الله عز وجل وأنه يرجو النصر وتبليغ الرسالة بمدد من عند الله عز وجل وتتجلى في هذا الأمر ودلالاته موضوعية الوحي ، ومصاحبته للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

لم يبدأ النبي محمد (ص) قتالاً

لقد وقعت عدة معارك بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وبين المشركين منها :

- الأولى : معركة بدر في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة .
- الثانية : معركة أحد في شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة .

الثالثة : معركة الخندق في شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة .
الرابعة : معركة حنين في شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة ، وبعد فتح مكة .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه لم يبدأ القتال في هذه المعارك إنما المشركون هم الذين كانوا يبدأون القتال بعد إصرارهم عليه .

لقد كانوا يبدأون برمي السهام والنبال ، فيصاب ويقتل عدد من المسلمين ، ومع هذا يصبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويكتفي بسلاح النداء العام (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)^(١) . وفيه وجوه :

الأول : إنه حجة على المشركين .

الثاني : بيان صدق نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(٢) .

الثالث : تجلي الشواهد لقانون : التنزيل أقوى وأمضى سلاح .
الرابع : تحلي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالرفقة والرحمة العامة ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣) ، وحرصه على حقن الدماء .

الخامس : إصابة المشركين بالخيبة والخسار عند انتهاء كل معركة ضد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿يَقْطَعُ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾^(١) .

(١) الثعلبي / الكشف والبيان ٣٢/٥ .

(٢) سورة النساء ١٧٠ .

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧ .

تدارس جبرئيل القرآن مع النبي (ص)

لقد كان جبرئيل يتدارس القرآن مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مرة في كل سنة ، وفي السنة التي انتقل فيها النبي إلى الرفيق الأعلى عارضه في القرآن مرتين ، و(عن فاطمة (عليها السلام) أسر إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة وأنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي)^(١).

والنسبة بين المعارضة بالقرآن وبين ختمه عموم وخصوص مطلق ، فالمعارضة أعم وتشمل التلاوة والاستحضار وتدارس آيات القرآن.

و(عن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير، وأجود ما يكون في شهر رمضان؛ لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة)^(٢).

وقد جمع عثمان المصحف على العرصة الأخيرة ، ويستحب ختم القرآن ودراسته والتدبر في معانيه في شهر رمضان خصوصاً أنه الشهر الذي أنزل فيه القرآن ، قال تعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٣).

(١) سورة آل عمران ١٢٧.

(٢) تفسير ابن كثير ٥٠/١ .

(٣) تفسير ابن كثير ٥١/١ .

(٤) سورة البقرة ١٨٥.

ومن الآيات أنه لم يذكر اسم أحد شهور السنة في القرآن غير شهر رمضان كما في الآية أعلاه.

قانون الإعتكاف

(عَكَفَهُ أَي حَبَسَهُ وَوَقَفَهُ، يَعْكَفُهُ وَيَعْكَفُهُ عَكَفًا. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا﴾^(١) وَيُقَالُ: مَا عَكَفَكَ عَنْ كَذَا. وَمِنْهُ الْإِعْتِكَافُ فِي الْمَسْجِدِ، وَهُوَ الْإِحْتِبَاسُ .

الاعتكاف لغة : الاحتباس ، ولزوم الشيء ، وحبس النفس عليه .
أما في الإصطلاح فالاعتكاف هو اللبث في المسجد بنية التقرب إلى الله تعالى .

والإعتكاف سنة ، وعليه إجماع علماء الإسلام ويدل عليه قوله تعالى ﴿وَلَا تَبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾^(٢).

وقد ورد ذكر الاعتكاف في الأمر من الله عز وجل إلى إبراهيم واسماعيل ، قال تعالى ﴿وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^(٣).

وبين الآيتين من جهة الموضوع وسعته عموم وخصوص مطلق فأية تخص أحكام البيت الحرام ، وآية مطلقة للدلالة على استحباب الإعتكاف في شهر رمضان وفي أي بلدة أو قرية وهذه المقارنة بينهما مستحدثة هنا في هذه المحاضرة .

وهو علم جديد في الدراسة المقارنة بين الآيات من جهة الموضوع والمناسبة وهو أعم من أسباب النزول.



(١) سورة الفتح ٢٥.

(٢) سورة البقرة ١٨٧.

(٣) سورة البقرة ١٢٥.

تعاهد الجمع بين الركوع والسجود

يدل قوله تعالى ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^(١)، على أمور :

الأول : قانون الملازمة بين الإيمان وأداء الصلاة .

الثاني : سبق وجوب أداء الصلاة لبعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهي من الحنيفية الإبراهيمية.

ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم التخفيف عنه ببعثته في مكة حيث ميراث إبراهيم وإسماعيل وإقامة الصلاة في البيت الحرام ، وأن الركوع والسجود ركنان في الصلاة قبل بعثته ولكن الناس غادروا إلى عبادة الأوثان فاعادهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحنيفية ، قال تعالى ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾^(٢).

وورد قوله تعالى في خطاب إلى بني إسرائيل ﴿ارْكُوعُوا مَعَ الرَّاٰكِعِينَ﴾^(٣) المطلوب هو الركوع والسجود .

لتتجلى علوم :

الأول : قانون الملازمة بين الركوع والسجود.

الثاني : سبق الصلاة والركوع والسجود لبعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثالث : قانون مصاحبة الركوع والسجود لبعثة الأنبياء .

الرابع : قانون كل من الركوع والسجود من أركان الصلاة .

الخامس : ترغيب الناس بدخول الإسلام .

(١) سورة البقرة ١٢٥ .

(٢) سورة الأحقاف ٩ .

السادس : النذب إلى صلاة الجماعة ، وما فيها من أداء المسلمين الركوع والسجود بنسق وهيئة واحدة ، وهو من مصاديق ﴿ارْكُوعُوا مَعَ الرَّائِضِينَ﴾ .

وعندما قدم وفد ثقيف الى المدينة لدخول الإسلام في السنة التاسعة للهجرة سألوا النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أن يعفيهم من الركوع ، فقال قانوناً متجدداً إلى يوم القيامة (لاخير في دين لا ركوع فيه)^(١) . وفي رواية (لاخير في دين لا صلاة فيه).

ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تعضيد القرآن في تثبيت الركوع الذي هو ركن في الصلاة لا تصح بتركه سهواً أو عمداً.

نعم أجابهم إلى مسألتهم باعفائهم من كسر أصنامهم بأيديهم وأن لا يحشروا لقتال وجهاد ولا يؤخذ من أموالهم العشر ، وهو من مصاديق ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(٢) .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم سرعان ما يتخلى هؤلاء عن شروطهم ، ليبادروا إلى أداء الصلاة والزكاة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الحكمة من الاعتكاف

الاعتكاف هو لزوم المسجد قربة إلى الله بقصد التعبد وتفريغ القلب والجوارح من شوائب الدنيا ، وهو سنة مشروعة ، وفعلته أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعده.

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال (اعتكف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في شهر رمضان في العشر الاولى ، ثم اعتكف في الثانية

(١) تاريخ المدينة ٥١٠/٢ .

(٢) سورة آل عمران ٩٧ .

في العشر الوسطى ، ثم اعتكف في الثالثة في العشر الاواخر ، ثم لم يزل صلى الله عليه وآله وسلم يعتكف في العشر الاواخر^(١).

والحكمة في تشريع الإعتكاف من وجوه :

الأول : التفرغ لعبادة الله .

الثاني : الإبتعاد عن مشاغل الدنيا .

الثالث : العناية بتلاوة آيات القرآن وتعاهد حفظه وسلامته من التحريف والزيادة والنقصان .

الرابع : الإنقطاع عن الناس لاجتناب الغيبة والنميمة والسلامة من الأذى والإيذاء .

الخامس : الاجتهاد في الدعاء ، قال تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٢).

السادس : أداء صلاة الفريضة في أوقاتها ، وتعاهد النوافل اليومية .

السابع : استحباب الصيام مع الإعتكاف في غير رمضان .

وقال الإمامية والمالكية بشرط الصيام في الإعتكاف ، وهو مشهور الحنفية .

ولا يرى الشافعي وأحمد بن حنبل شرطية الصيام ، وذهب بعض الشافعية إلى وجوبه ، وكذا في رواية عن أحمد بن حنبل . وكل من الصوم والإعتكاف عبادة مستقلة .

وبشرط الصيام عند الإعتكاف قال الإمام علي عليه السلام وابن عباس وابن عمر .

واعتكف النبي صلى الله عليه وآله وسلم (مرة في العشر الأول ثم الأوسط ثم العشر الأخير يَلْتَمِسُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ثُمَّ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ فَدَآوَمَ عَلَى اعْتِكَافِهِ حَتَّى لَحِقَ بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

(١) الوسائل ٥١٩/١٠ .

(٢) سورة غافر ٦٠ .

وَكَانَ يَأْمُرُ بِخَبَاءٍ فَيُضْرَبُ لَهُ فِي الْمَسْجِدِ يَخْلُو فِيهِ بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَكَانَ إِذَا أَرَادَ الْعَتِكَافَ صَلَّى الْفَجْرَ ثُمَّ دَخَلَهُ فَأَمَرَ بِهِ مَرَّةً فَيُضْرَبُ فَأَمَرَ أَزْوَاجَهُ بِأَخْبِيَّتِهِنَّ فَضُرِبَتْ فَلَمَّا صَلَّى الْفَجْرَ نَظَرَ فَرَأَى تِلْكَ الْأَخْبِيَّةَ فَأَمَرَ بِخَبَائِهِ فَقَوَّضَ ، وَتَرَكَ الْإِعْتِكَافَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ حَتَّى اعْتَكَفَ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ مِنْ شَوَّالٍ .

وَكَانَ يَعْتَكِفُ كُلَّ سَنَةٍ عَشْرَةَ أَيَّامٍ فَلَمَّا كَانَ فِي الْعَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ اعْتَكَفَ عَشْرِينَ يَوْمًا .

وَكَانَ يِعَارِضُهُ جَبْرِيلُ بِالْقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْعَامُ وَكَانَ يِعَارِضُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ أَيْضًا فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً فَعَرَضَ عَلَيْهِ تِلْكَ السَّنَةَ مَرَّتَيْنِ . وَكَانَ إِذَا اعْتَكَفَ دَخَلَ قُبَّتَهُ وَحْدَهُ وَكَانَ لَا يَدْخُلُ بَيْتَهُ فِي حَالِ اعْتِكَافِهِ إِلَّا لِحَاجَةِ الْإِنْسَانِ .

وَكَانَتْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ تَزُورُهُ وَهُوَ مُعْتَكِفٌ . فَإِذَا قَامَتْ تَذْهَبُ قَامَ مَعَهَا يَقْلِبُهَا ، وَكَانَ ذَلِكَ لَيْلًا ، وَلَمْ يَبَاشِرْ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِ وَهُوَ مُعْتَكِفٌ لَا بِقُبْلَةٍ وَلَا غَيْرِهَا .

وَكَانَ إِذَا اعْتَكَفَ طُرِحَ لَهُ فِرَاشُهُ وَوُضِعَ لَهُ سَرِيرُهُ فِي مُعْتَكِفِهِ ، وَكَانَ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ مَرَّ بِالْمَرِيضِ وَهُوَ عَلَى طَرِيقِهِ فَلَا يَعْجِزُ عَلَيْهِ وَلَا يَسْأَلُ عَنْهُ .

وَاعْتَكَفَ مَرَّةً فِي قُبَّةِ تُرْكِيَّةٍ ، وَجَعَلَ عَلَى سُدَّتِهَا حَصِيرًا^(١) .

وَكَانَ الْإِعْتِكَافُ عِبَادَةً مَعْرُوفَةً وَيَأْتِيهِ الْمُؤْمِنُونَ وَالنِّسَاءُ ، وَإِنْ قَلَّ فِي هَذَا الزَّمَانِ الْإِلْتِفَاتُ إِلَيْهِ وَاتِّخَاذُهُ وَسِيلَةً لِلتَّقَرُّبِ وَاعْلَانًا لَصَدَقِ الْعِبُودِيَّةُ وَالْإِخْلَاصُ فِيهَا وَالْإِنْقِطَاعُ إِلَى اللَّهِ .

وَعَنْ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ آبَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : اعْتِكَافُ عَشْرِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّتَيْنِ وَعُمَرَتَيْنِ .

(١) أَنْظَرِ زَادَ الْمَعَادَ ٨٣/٢ .

(مسألة ١) يصح الإعتكاف في كل وقت يصح فيه الصوم وخير أوقاته شهر رمضان وافضله العشر الأواخر منه^(١).

(مسألة ٢) الإعتكاف مستحب وقد يأتيه الوجوب بالعرض كما لو وجب بنذر أو عهد أو يمين أو شرط في ضمن عقد أو اجارة ونحوها.
(مسألة ٣) الاعتكاف المندوب يجوز قطعه في اليومين الأولين منه ، ومع تمامهما يجب الثالث.

(مسألة ٤) يعتبر في الإعتكاف الواحد وحدة المسجد.

(مسألة ٥) قبرا مسلم بن عقيل وهاني بن عروة ليسا من مسجد الكوفة.

(مسألة ٦) لا فرق في وجوب كون الاعتكاف في المسجد الجامع بين الرجل والمرأة، فليس لها الاعتكاف في المكان الذي أعدته للصلاة في بيتها ولا في مسجد القبيلة والحلة، إلا على القول بصحة الاعتكاف فيهما كمحل لإقامة صلاة الجماعة .

(مسألة ٧) يجوز للمعتكف الخروج من المسجد لإقامة الشهادة أو لحضور الجماعة أو لتشيع جنازة، وكذا في سائر الضرورات العرفية أو الأمور الشرعية الواجبة الراجعة.

يجوز الإتيان بالاعتكاف عن النفس وعن الميت نيابة.

توثيق معجزات الأنبياء

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم توثيق القرآن والسنة معجزات الأنبياء بما يعطيها صفة المعجزة العقلية الدائمة ، لنزول آيات القرآن من عند الله من سيرتهم ونهجهم المبارك ، ولسلامتها من التحريف والزيادة والنقص امس واليوم وغداً ، وانتفاع المسلمين والناس ، قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٢).

(١) هذه المسائل من رسالتي العملية (الحجة) الجزء الثاني .

(٢) سورة يوسف ١١١.

لقد أخبر القرآن عن خلق آدم عليه السلام في الجنة ، وأن الله كلمه قبلًا ، وعلمه الأسماء ، وأخبر عن معجزة سفينة نوح ، ونجاته وأهل بيته في السفينة بعد أن كان يصنعها في اليابسة .

وعن تكليم الله لموسى ورزقه معجزة العصا وتحولها إلى ﴿حَيَّةٌ تَسْعَى﴾^(١) ، ومعجزة نجاة بني اسرائيل وعبورهم القلزم وهو البحر الأحمر ، ومعجزات عيسى التي وردت مرتين في القرآن بصيغتين :

الأولى : تفضل الله عز وجل ببيان نعمته على عيسى ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتَبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَهَفْتُ بِنَبِيٍّ إِسْرَآئِيلَ عَنْكَ إِذِ جَثَّهُمْ بِالْبَيْتَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾^(٢).

الثانية : صيغة المتكلم على لسان عيسى عليه السلام كما ورد في التنزيل ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

(١) سورة طه ٢٠.

(٢) سورة المائدة ١١٠.

(٣) سورة آل عمران ٤٩.

وقد ورد لفظ ﴿اذْكُرْنِي الْكِتَابِ﴾ خمس مرات في القرآن كلها خطاب للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكلها بخصوص الأنبياء إلا واحدة بخصوص مريم عليها السلام لإفادة إكرامها .
والإخبار عن رسالة عيسى لولادتها له من غير أب كما ذكرت ولادة مريم ذاتها بصيغة الإكرام وبخصوص أمها ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتُ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(١).

فيوضات قصص الأنبياء

لقد جعل الله عز وجل القرآن ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢)، وفيه حجة على الناس ، ودعوة لهم للهداية والإيمان ، وتضمن القرآن قصص الأنبياء وما لاقيه من الأذى الشديد في سبيل الله ، وذكر القرآن أسماء خمسة وعشرين نبياً وهم :

الأول : آدم عليه السلام .

الثاني : إدريس عليه السلام .

الثالث : نوح عليه السلام .

الرابع : هود عليه السلام .

الخامس : صالح عليه السلام .

السادس : يونس عليه السلام .

السابع : إبراهيم عليه السلام .

الثامن : لوط عليه السلام .

التاسع : إسماعيل عليه السلام .

(١) سورة آل عمران ٣٦ .

(٢) سورة النحل ٨٩ .

- العاشر : إسحاق عليه السلام .
- الحادي عشر : يعقوب عليه السلام .
- الثاني عشر : يوسف عليه السلام .
- الثالث عشر : شعيب عليه السلام .
- الرابع عشر : أيوب عليه السلام .
- الخامس عشر : موسى عليه السلام .
- السادس عشر : هارون عليه السلام .
- السابع عشر : ذو الكفل عليه السلام .
- الثامن عشر : داود عليه السلام .
- التاسع عشر : سليمان عليه السلام .
- العشرون : اليسع عليه السلام .
- الحادي والعشرون : إلياس عليه السلام .
- الثاني والعشرون : زكريا عليه السلام .
- الثالث والعشرون : يحيى عليه السلام .
- الرابع والعشرون : عيسى عليه السلام .
- الخامس والعشرون : محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
- وقد تكررت أسماء أكثرهم في القرآن ، وذكر الله عز وجل ثمانية عشر نبياً في أربع آيات متجاورات من القرآن لبيان بديع صنعه في نظم وأسرار القرآن ، إذ قال تعالى ﴿وَبَلَّغْنَا آيَاتِنَا هَآءِذَا هَآءِ بِرَآءِهَا إِبْرَآهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ نَشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي

الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ *
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾.

ومن الآيات والمنافع في ورود قصص الأنبياء في القرآن وجوه :

الأول : بيان فضل الله عز وجل في بعث الأنبياء ، وكيف أن كل نبي له معجزة خاصة ملائمة لتحدي وإعجاز أهل زمانه .

الثاني : حب الله عز وجل للناس ورأفته بهم باتصال بعث الأنبياء بالمعجزات الخارقة لهدايتهم .

الثالث : تجديد مصداق خلافة الإنسان في الأرض بصيغة النبوة وإنقياد شطر من الناس لها .

الرابع : اختصاص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بنزول القرآن الذي يتضمن قصص الأنبياء .

الخامس : موضوعية السنة النبوية في بيان وتوثيق قصص الأنبياء سواء الذين ورد ذكرهم في القرآن وعددهم خمسة وعشرون نبياً أو الذين لم يرد ذكرهم في القرآن.

منها مثلاً ما ورد عن (جابر بن عبد الله قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحجر في غزوة تبوك قام فخطب الناس فقال : يا أيها الناس ، لا تسألوا نبيكم عن الآيات ، هؤلاء قوم صالح سألوا نبيهم عليه السلام أن يبعث الله عز وجل لهم آية.

فبعث الله لهم الناقة ، فكانت الناقة ترد من هذا الفج ، فيشربون من مائهم يوم وردها ، ويحتلبون من لبنها مثل الذي كانوا يرتوون من مائها يوم غبها.

قال : فكانت تصدر من هذا الفج ، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها ، فوعدهم الله تبارك وتعالى وعدا عليه غير مكذوب.

ثم جاءتهم الصيحة ، فأهلك الله تعالى من كان تحت مشارق السموات ومغاربها منهم ، إلا رجلا كان في حرم الله عز وجل ، فمنعه حرم الله من عذاب الله^(١).

و(عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان نبيا من الانبياء غزا بأصحابه فقال لا يتبعني رجل بنى دارا لم يسكنها أو تزوج امرأة لم يدخل بها أو له حاجة في الرجوع فلقي العد عند غيبوبة الشمس . فقال اللهم إنها مأمورة وإنني مأمور فاحبسها علي حتى تقضي بيني وبينهم فحبسها الله عليه ففتح عليه فجمعوا الغنائم فلم تأكلها النار. قال وكانوا إذا غنموا غنيمة بعث الله عليها النار فتأكلها فقال لهم نبينهم إنكم قد غللتهم فليأتني من كل قبيلة رجل فليبايعوني فاتوه فبايعوه. فلزقت يد رجلين منهم بيده فقال لهما إنكما قد غللتما. قالوا أجل غللتنا صورة رأس بقرة من ذهب فجاءا بها فألقياها إلى الغنائم فبعث الله عليها النار فأكلتها.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك إن الله أطعنا الغنائم رحمة رحمتنا بها وتحفيها خففه عنا لما علم من ضعفنا)^(٢).

السادس : بيان الشواهد لقوله تعالى ﴿وَوَكَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ

شَيْءٍ﴾^(٣).

ليبان خصيصة من خصائص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحلية الغنائم .

(١) الفاكهي / أخبار مكة ١٠٧/٤ .

(٢) النسائي / السنن الكبرى ٤٧٧/٥ .

(٣) سورة النحل ٨٩ .

السابع : إكرام المسلمين للأنبياء والتسليم بصدق نبوتهم ، وفي التنزيل ﴿أَمِنَ الرَّسُولُ بَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْكَ وَكُنِيَ وَرُسُلُهُ لَا تَفَرَّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾^(١).

الثامن : زيادة إيمان المسلمين بالافتداء بالأنبياء واستقراء الدروس من سيرتهم ، قال تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدُهُ﴾^(٢).

التاسع : الإنزجار عن فعل السيئات والمعاصي .

العاشر : ترغيب الناس بالصدود والإعراض عن عبادة الأوثان ، وبيان إنذار الناس منها في كل زمان .

الحادي عشر : بيان حضور المشيئة واللفظ الإلهي مع أجيال الناس ، وبعثة مائة وأربعة وعشرين نبياً من مصاديق قوله تعالى ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُرْكَوْا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^(٣).

وأخبر القرآن عن جهاد إبراهيم في حربه على عبادة الأصنام ، وقيامه بتكسير أصنام قومه ، والإحتجاج على الطاغوت ، وتفضل الله عز وجل بانقاذه من النار.

وليس من مسلم أو مسلمة وفي كل زمان إلا ويعلمان بأن الله انقذ إبراهيم من النار التي ألقى فيها مع أن النار علة الإحراق ، ومن الآيات الحاضرة في متديات ومجالس المسلمين ، قوله تعالى ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٤).

ليتجلى قانون التفقه في قصص الأنبياء من خصائص المسلمين .

(١) سورة البقرة ٢٨٥.

(٢) سورة الأنعام ٩٠.

(٣) سورة العنكبوت ٢.

(٤) سورة الأنبياء ٦٩.

الاضطرار للدفاع

لقد أكرم الله عز وجل الأنبياء بتبليغ الوحي والتنزيل ، وامتحنهم بالصبر في الدعوة إلى الله عز وجل ، ومن مصاديق المعجزة الحاضرة مع كل نبي مسألتان بينهما تضاد ، وهما :

الأولى : إتباع طائفة من الناس للنبي في دعوته ، وتصديقهم لمعجزته .

الثانية : عداوة المشركين للأنبياء .

وكل طائفة منهما من الكلي المشكك في العدد والفعل ، وقد أنعم الله عز وجل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بتنامي كثرة أصحابه مع شدة عداوة المشركين له ، وحملهم السيوف لقتله وأصحابه ، وفيه وجوه :

الأول : قانون إضطرار المسلمين للدفاع وعدم ترك الإيمان وسنته ، قال تعالى ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾^(١).

الثاني : قانون اجتناب المسلمين الهجوم والغزو .

الثالث : عدم الإبتداء بالقتال حتى عندما يكون هذا الإبتداء نوع مباغته للعدو ، وسبباً بتحقيق النصر على الذين كفروا .

فليس من طرف في القتال يطمئن إلى أن عدوه لا يباغته في ساعة غفلة أو ثغرة في صفوفه إلا بالنسبة لحال قتال المشركين مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذ أنه لا يبدأ القتال ، مع أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال :

الحرب خدعة .

مما يدل على أن الإبتداء بالقتال ليس من الخدعة لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يرجو تفرق جيش العدو وعدم وقوع القتال .

وإذا تفرق الجيشان فإن المشركين يرجعون إلى أهلهم بما سمعوه في الميدان من آيات القرآن ، ونداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتوحيد (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) الذي كان يصدق به في أزقة مكة .

(١) سورة آل عمران ١٣٩.

وكما يوجد بين ظهراني الصحابة في المدينة منافقون فان في مجتمعات المشركين مؤمنين يخفون إسلامهم ، وأناس لا يرضون بمحاربة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (والضد يظهر حسنه الضد).
ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تضاؤل عدد وأثر المنافقين .

وفي حديث عن عاصم بن عمر بن قتادة وزيد بن رومان أن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان في أيام الحج (يَسْأَلُ عَنِ الْقَبَائِلِ وَمَنَازِلِهَا قَبِيلَةَ قَبِيلَةٍ وَيَقُولُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلَحُوا وَتَمْلِكُوا بِهَا الْعَرَبُ وَتَذَلَّ لَكُمْ بِهَا الْعَجَمُ فَإِذَا آمَنْتُمْ كُنْتُمْ مُلُوكًا فِي الْجَنَّةِ).
وأبو لهب وراءه يقول لَا تُطِيعُوهُ فَإِنَّهُ صَابِيٌّ كَذَّابٌ فَيَرُدُّونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبَحَ الرَّدِّ وَيُؤْذُونَهُ وَيَقُولُونَ أَسْرَتُكَ وَعَشِيرَتُكَ أَعْلَمُ بِكَ حَيْثُ لَمْ يَتَّبِعُوكَ.

وهو يدعوهم إلى الله ويقول اللهم لو شئت لم يكونوا هكذا قال وكان ممن يسمى لنا من القبائل الذين أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم وعرض نفسه عليهم بنو عامر بن صعصعة ومحارب بن حصافة.
وفزارة وغسان ومرة وحنيفة وسليم وعيس وبنو النضر وبنو البكاء وكندة وكلب والحارث بن كعب وعذرة والحضارمة فلم يستجب منهم أحد^(١).

وقد ورد حديث (الحرب خدعة) في باب التخفيف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في معركة الخندق ، إذ جاءه نعيم بن مسعود يومئذ وقال (فقال : يا رسول الله إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة.

فقال لهم : إن قريشاً وغطفان جاءوا لحرب محمد .
وقد ظاهرتموهم عليه ، وإن قريشاً وغطفان ليسوا (كهيتكم) البلد
بلدكم به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تحولوا عنه إلى
غيره ، وإن قريشاً وغطفان أموالهم وأبناؤهم ونساؤهم بغيره ، وإن رأوا
نهوة وغنيمة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين
الرجل .

والرجل ببلدكم لا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا القوم حتى
تأخذوا رهناً من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم
محمدًا حتى تنجزوه .

فقالوا : لقد أشرت برأي ونصح . ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي
سفیان بن حرب ومن معه من رجال قريش : يا معشر قريش قد عرفتم ودي
إياكم وفراقي محمدًا .

وقد بلغني أمر رأيت أن حقاً علي أن أبلغكموه نصحاً لكم فاكتبوا
علي . قالوا : نفعل .

قال : تعلمون أن معشر اليهود قد ندموا على ما صنعوا في ما بينهم وبين
محمد .

وقد أرسلوا إليه أن قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك عنا أن
نأخذ من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم
(فنعطيكهم) فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقي منهم؟
فأرسل إليهم أن نعم^(١) .



(١) الكشف والبيان للثعلبي ٩٩/١١ .

خصائص معارك النبوة

ومن خصائص معارك النبوة مسائل :

الأولى : حضور المعجزة ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾^(١).

الثانية : تعدد مصاديق المعجزة الدفاعية إذ تكون على قسمين :

الأول : المعجزة الحسية ، ومنها نزول المطر ليلة معركة بدر حال النعاس عند الصحابة في معركة أحد عندما ترك الرماة المسلمون مواضعهم ، وجاءت خيل المشركين من خلف المسلمين وكثر القتل بين الصحابة ، إذ ورد (عن أنس أن أبا طلحة قال : غشنا ونحن في مصافنا يوم أحد ، حدث أنه كان ممن غشيه النعاس يومئذ).

قال : فجعل سيفي يسقط من يدي وأخذه ، وسقط وأخذه ، فذلك قوله ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ﴾^(٢) والطائفة الأخرى؛ المنافقون ليس لهم هم إلا أنفسهم ، أجبن قوم وأرعبه وأخذ له للحق يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية كذبهم إنما هم أهل شك وريبة في الله^(٣).

الثاني : المعجزة العقلية ، ومنها حال الفرع الذي ملأ قلوب الكفار ، ومجىء الوحي في المعركة ، ونزول الآيات التي تخص المعركة ، وهو على أقسام :

أولاً : نزول آيات من القرآن قبل المعركة بما يفيد الإخبار عن وقوعها وتثبيت قلوب المؤمنين ، والبشارة بالنصر ، منه قوله تعالى ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ

(١) سورة النساء ١١٣.

(٢) سورة آل عمران ١٥٤.

(٣) الدر المشور ٤٦٤/٢.

مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ .

ثانياً : نزول القرآن أثناء المعركة ، إذ يتغشى الوحي النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وهو في الميدان ، وهو من الإعجاز في نبوته لصيرورة أجنحة الملائكة واقية له ولأصحابه من سهام وسيوف المشركين .

وعن عبد الله بن عباس قال حدثنا (عمر بن الخطاب، قال: "لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ، نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، وَهُوَ وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿إِذْ تَسْتَعِينُونَ رَبُّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾ (٢)، فَأَمَدَهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ (٣) .

ثالثاً : نزول آيات من القرآن بعد المعركة بما يتعلق بموضوعها ، وتوثيق المعجزات فيها ، وتوكيد حقيقة اعتداء الذين كفروا وكون إصرارهم على القتال والظلم هو السبب في نشوب القتال ، فنزلت بهم الخسارة واختاروا الهزيمة ، ولحقهم الذل ، منها قوله تعالى بخصوص معركة أحد ﴿لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ (٤) .

ليكون هذا النعاس نوع أمانة ، وليبيان قانون وهو أن الله عز وجل يدافع عن المؤمنين ويصد الذين كفروا إذ تفضل بإنزال الملائكة لنصرتهم ، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّافٍ كَفُورٍ﴾ (٥) .

(١) سورة آل عمران ١٢٥-١٢٦ .

(٢) سورة الأنفال ٩ .

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ٢٦/٧ .

(٤) سورة آل عمران ١٢٧ .

(٥) سورة الحج ٣٨ .

الثالث : المعجزة الحسية العقلية ومنها نزول الملائكة مدداً وعونا للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه .

الثالثة : عصمة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الإنكسار والهزيمة في الميدان .

تقسيمات خصائص النبي محمد (ص)

لقد أكرم الله عز وجل جنس الإنسان بالخلافة في الأرض ، وأباح لهم الإجتهد في الإنتفاع من ثرواتها وكنوزها التي في أعماقها والظاهرة بالسقي والحرث ، وتبادل المنافع والسعي في جني الصالحات للفوز بالإقامة بالنعيم الدائم ، وأفاض الله عز وجل على الأنبياء بالوحي والتنزيل .

وخص المؤمنين بنعم ظاهرة وخفية منها صرف البلاء المستحق ، قال تعالى ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(١).

وخصائص النبي صلى الله عليه وآله وسلم المستقرأة من القرآن كثيرة ويمكن تقسيمها عدة تقسيمات منها :

الأولى : تعدد الوظائف الرسالية ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ * وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً^(٢) ، وقد جمعت هذه الآية خمسة منها وهي مجمعة ومتفرقة تدل على صبغة السلم في رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثانية : قانون اقتران وجوب طاعته بطاعة الله عز وجل ، قال تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾^(٣).

(١) سورة الرعد ٣٩.

(٢) سورة الأحزاب ٤٥-٤٦.

(٣) سورة المائدة ٩٢.

الثالثة : قانون حرمة محاربة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنها محاربة لله عز وجل ، قال تعالى ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ﴾^(١).

ومع هذا عفا النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن كفار قريش عندما فتح مكة ، ولم يكرهمهم على الإيمان بل سأله بعضهم أمهاله فأمهله ، وبذل للمؤلفة قلوبهم من غنائم حنين وأعطى كل واحد منهم مائة ناقة.

الرابعة : قانون آيات السلم وسيلة سماوية مباركة لإتباع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وترك محاربته .

الخامسة : النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الإمام في الإمثال للأوامر والنواهي الإلهية .

السادسة : الرفق العام وملكة الإحسان ، والخلق الحميد ، قال تعالى ﴿ وَكَوُنتَ فَرَطًا غَلِيظًا أَلْقَيْتُ الْقُلُوبَ لَاقِضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾^(٢).

المنبر النبوي

المنبر لغة هو (مرقاة الخاطب سمي منبراً لارتفاعه وعلوه)^(٣).

لقد كان كل فرد من السنة النبوية آية إعجازية تقتبس منها الدروس والمواعظ ، وضياء يبعث على الإيمان والاجتهاد في طاعة الله ، والإقتداء برسول الله في مناهج الصلاح ، ومنها منبر رسول الله .

ومن معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الحسية بعد الهجرة المنبر النبوي وتفرع ملايين المنابر عنه أمس واليوم وغداً ومنها منبر الجمعة المتجدد كل اسبوع في مشارق ومغارب الأرض ، في موضوعه ونفعه.

(١) سورة المائدة ٣٣.

(٢) سورة آل عمران ١٥٩.

(٣) لسان العرب ٥ / ١٨٩.

فبعد أن وصل إلى المدينة للنجاة من بطش قريش وإرادتهم قتله ، قام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ببناء المسجد النبوي ، وهو ثاني مسجد يبنى في المدينة بعد مسجد قباء ، والصلاة فيه عن ألف صلاة في مسجد آخر عدا المسجد الحرام .

وعن (محمد بن المنكدر قال : رأيت جابراً وهو يكي عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول : ههنا تسكب العبرات ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة)^(١).

وبنى النبي صلى الله عليه وآله وسلم مسجده في شهر ربيع الأول من السنة الأولى لهجرته ، وقيل كان طول المسجد سبعين ذراعاً وعرضه ستين ذراعاً أي نحو (٣٥×٣٠) م ، وكان محلاً لجمع التمر ليتيمين من بني النجار بطن من الخزرج من الأزد القحطانية .

قال الزهري بخصوص أول دخول النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة المنورة (فلبث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة وابتنى المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه . ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم راحلته فصار ومشى بين الناس حتى بركت به عند مسجد رسول الله بالمدينة وكان مربدا للتمر لسهل وسهيل غلامين يتيمين أخوين في حجر أبي أمامة أسعد بن زرارة من بني النجار .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين بركت به راحلته : هذا المنزل إن شاء الله ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الغلامين فساومهما بالمربد يتخذة مسجدا

فقالا : لا بل نهبه لك يا رسول الله

فأبى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يقبله منهما حتى ابتاعه منهما ،
وبناه مسجداً ، وطفق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينقل معهم اللبن
في بنائه وهو يقول :

هذا الجمال لا جمال خبير

هذا أبر ربنا وأطهر

إن الأجر أجز الآخرة

فارحم الأنصار والمهاجرة

ويتمثل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشعر رجل من المسلمين
لم يسم لي قال ابن شهاب : ولم يبلغني في الأحاديث أن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم تمثل ببيت من الشعر تاماً غير هؤلاء الأبيات ولكن يرجزهم
لبناء المسجد^(١).

وكانت المدينة صغيرة حتى أن البقيع هو خارج المدينة ، وأصبح جدار
المسجد ملاصقاً له بعد التوسعات .

نعم قام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد صلح الحديبية بتوسعة
المسجد الشريف بشراء قطعة أرض مجاورة لأنه أصبح لا يستوعب عدد
المصلين ، وكانت الإنارة بأسرجة توقد بالزيت ، ومشاعل من جريد النخل .
مثلما قام حينئذ يبعث الكتب إلى ملوك وأمراء عصره يدعوهم إلى
الإسلام.

وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يكثّر من صعود المنبر ، وهذا
الصعود وتعدده نوع جهاد ، ومدرسة عقائدية ، وفي هذا الصعود المتكرر
للمنبر وجوه محتملة :

الأول : يأتي الإذن الإجمالي للنبي في صعود المنبر ووعظ الناس ، وهو
يختار الوقت المناسب .

الثاني : لا يصعد النبي المنبر في كل مرة إلا بوحي وأمر وإذن من الله عز وجل.

الثالث : ليس من وحي في صعود النبي للمنبر، والقدر المتيقن من قوله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(١)، هو الكلام واللفظ ، وليس الفعل ومقدمات الكلام والإرشاد.

الرابع : التفصيل في حال الصعود من جهات :
الأولى : كل مرة يصعد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المنبر بالوحي.

الثانية : مرة يكون فيها مخيراً ، بين صعود المنبر وعدمه.
الثالثة : صورة يكتفي بها النبي بالكلام والبشارة والإنذار من غير إرتقاء للمنبر.

الرابعة : يصعد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المنبر إبتداء من غير وحي وأمر، ولكن كلامه على المنبر لا يكون إلا وحيًا.
والصحيح هو الجهة الأولى من الوجه الرابع أعلاه، فلا يصعد النبي المنبر إلا بالوحي والأمر من الله ، وهو من عمومات قوله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٢).

والمنبر من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولم يكن وارثاؤه أمراً معهوداً في الجزيرة ليقترن بالنبوة ، ويكون وسيلة لتبليغ الأحكام وصلة بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعامة الناس لا يحجبه عنهم حاجب أو بواب .

(١) سورة النجم ٣-٤.

(٢) سورة النجم ٣-٤.

ومن الإعجاز في نبوته ورود لفظ (يسألونك) في القرآن خمس عشرة مرة ، ولم يرد يشكون عندك ، لبيان أن المنبر آلة تلقي الاسئلة ، والنطق بالأجوبة والفتوى بالوحي والتنزيل .

وانتفع خلفاء وأئمة الإسلام وعامة المسلمين من المنبر وصلاة الجمعة انتفاعاً كبيراً.

وأنشئت ملايين المنابر، والملايين صيغة جمع ، وأقل الجمع اثنان ، ويستدل عليه ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾^(١) قد لا يكون هذا الإستدلال تاماً لأن المراد من الخصمين اسم جنس .

و(عن أبي ذر أنه كان يقسم قسماً إن هذه الآية ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ...﴾^(٢) إلى قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾^(٣) نزلت في الثلاثة والثلاثة الذين تبارزوا يوم بدر وهم : حمزة بن عبد المطلب ، وعبيدة بن الحارث ، وعلي بن أبي طالب ، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ، والوليد بن عتبة . قال علي عليه السلام : أنا أول من يجثو في الخصومة على ركبتيه بين يدي الله يوم القيامة)^(٤).

و(عن أبي العالية قال : لما التقوا يوم بدر قال لهم عتبة بن ربيعة : لا تقتلوا هذا الرجل ، فإنه إن يكن صادقاً فأنتم أسعد الناس بصدقه ، وإن يكن كاذباً فأنتم أحق من حقن دمه . فقال أبو جهل بن هشام : لقد امتلأت رعباً .

(١) سورة الحج ١٩.

(٢) سورة الحج ١٩.

(٣) سورة الحج ١٤.

(٤) الدر المنثور ١٢٨/٧.

فقال عتبة : ستعلم أينما الجبان المفسد لقومه . قال : فبرز عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة.

فنادوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه فقالوا : ابعث إلينا أكفاءنا نقاتلهم . فوثب غلمة من الأنصار من بني الخزرج ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اجلسوا .

قوموا يا بني هاشم . فقام حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث فبرزوا لهم ، فقال عتبة : تكلموا نعرفكم أن تكونوا أكفاءنا قاتلناكم . قال حمزة : أنا حمزة بن عبد المطلب . . . أنا أسد الله وأسد رسوله . فقال عتبة : كفء كريم! فقال علي : أنا علي بن أبي طالب . . . فقال : كفء كريم.

فقال عبيدة . أنا عبيدة بن الحارث . . . فقال عتبة : كفء كريم! فأخذ حمزة شيبة بن ربيعة ، وأخذ علي بن أبي طالب عتبة بن ربيعة ، وأخذ عبيدة الوليد .

فأما حمزة ، فأجاز على شيبة ، وأما علي فاختلفا ضربتين ، فأقام فأجاز على عتبة ، وأما عبيدة فأصيب رجله . قال : فرجع هؤلاء وقتل هؤلاء ، فنادى أبو جهل وأصحابه : لنا العزى ولا عزى لكم ، فنادى منادي النبي صلى الله عليه وآله وسلم : قتلنا في الجنة وقتلاكم في النار . فأنزل الله { هذان خصمان اختصموا في ربهم . . . } (١).

ويحتمل تنجز وأوان ملايين المنابر وجوهاً :

الأول : تحقق عدد ملايين المنابر الإسلامية قبل هذا الزمان .

الثاني : تحقق مصداق ملايين المنابر في هذا الزمان .

الثالث : يتحقق هذا الرقم والكم من المنابر في مستقبل الأيام .

وعلى المعنى المقصود بأنه المنبر المنصوب في المساجد ودور عبادة المسلمين فإن هذا العدد قد تحقق في هذا الزمان إذ أنه يشمل الكرسي الموقت لخطيب الجمعة ومطلقاً ، وهو من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإفاضات النبوة التي ترشحت بركتها على المسلمين والناس جميعاً.

قانون المنبر النبوي أعلام متجدد

لم يكن المنبر النبوي معجزة متحدة بل هو من المعجزة المتعددة في ذاته جامعة متنقلة وموضوعه وأثره ، ولم يعهد العرب المنبر ووظائفه ، وإن كان زمانه سابقاً لبعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وفيه مسائل:

الأولى : قانون المنبر النبوي تشريف وإكرام للنبي والمسلمين.

الثانية : قانون المنبر شاهد على عظيم منزلة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عند الله عز وجل.

الثالثة : قانون بيان موضوعية حال إرتقاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المنبر ، ولإنجذاب المسلمين له.

الرابعة : دعوة المسلمين والناس جميعاً إلى التدبر في كلام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر

ويدعو المنبر النبوي أهل العلم والمحققين إلى دراسات وبحوث علمية وتأليف مجلدات ورسائل دكتوراه خاصة بحال صعود النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المنبر من جهات :

الأولى : أسباب صعود النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المنبر.

الثانية : قانون حاجة المسلمين لصعود النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للمنبر.

الثالثة : قانون إصغاء المسلمين لكلام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر.

الرابعة: قانون المنبر وسيلة إعلامية عظيمة يصل صوت النبي من خلالها إلى أجيال المسلمين المتعاقبة جميعاً.

وهو من الشواهد على أن منبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم معجزة ومن وجوه المعجزة في المنبر النبوي المنابر التي تفرعت عنها في أرجاء الأرض ولا يحصي عددها إلا الله عز وجل وكذا ضروب وأسباب الصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي تلقى من فوقها وهي مستمرة إلى يوم القيامة.

الخامسة: قانون تثبيت النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لقواعد السلم بواسطة المنبر ليكون من عمومات قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(١).

الإعجاز في المنبر النبوي

وفيه وجوه :

الأول: قانون المنبر أداة للتبليغ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٢).

الثاني: الوحي والتنزيل الذي جاء للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو على المنبر، وسيأتي في الجزء الثاني إن شاء الله حديث حنين الجذع الذي كان يخطب إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما اتخذ المنبر.

الثالث: الآيات القرآنية التي تلاها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر مع ذكر المناسبة والموضوع، والإنتفاع من هذا الباب في علوم التفسير، وأسباب النزول في شطر منها.

(١) سورة البقرة ٢٠٨.

(٢) سورة الإسراء ١٠٥.

الرابع : شواهد النبوة والإمامة من منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الخامس : قانون فزع الكفار من المنبر، وخوف المنافقين من صعود النبي له.

السادس : تأريخ المنبر النبوي.

السابع : قانون دعاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو على المنبر، وموضوعه وقانون انتفاع المسلمين من هذا الدعاء ، ومنه دعاؤه للإستسقاء أثناء خطبته .

إذ قال (اللَّهُمَّ اغْنِنَا اللَّهُمَّ اغْنِنَا اللَّهُمَّ اغْنِنَا اللَّهُمَّ اسْقِنَا اللَّهُمَّ اسْقِنَا اللَّهُمَّ اسْقِنَا).

الثاني : وعد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الناس يوماً يخرجون فيه إلى المصلى فخرج لما طلعت الشمس متواضعاً متبذلاً متخشعاً مترسلاً متضرعاً فلما وافى المصلى صعد المنبر - إن صح وإلا ففي القلب منه شيء - فحمد الله وأثنى عليه وكبره وكان مما حفظ من خطبته ودعائه الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين لا إله إلا الله يفعل ما يريد.

اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ تَفْعَلُ مَا تُرِيدُ اللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَهُ عَلَيْنَا قُوَّةً لَنَا وَبَلَاغًا إِلَى حِينٍ .

ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ وَأَخَذَ فِي التَّضَرُّعِ وَالْابْتِهَالِ وَالِدَّعَاءِ وَبَالَغَ فِي الرِّفْعِ حَتَّى بَدَأَ بَيَاضُ إِبْطِيهِ ثُمَّ حَوَّلَ إِلَى النَّاسِ ظَهْرَهُ .

وَأَسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَحَوَّلَ إِذْ ذَاكَ رِدَاءَهُ وَهُوَ مُسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةِ فَجَعَلَ الْيَمَنَ عَلَى الْيُسْرِ وَالْيُسْرَ عَلَى الْيَمَنِ وَظَهَرَ الرِّدَاءَ لِبَطْنِهِ وَبَطْنُهُ لِظَهْرِهِ.

وَكَانَ الرِّدَاءُ خَمِيصَةً سَوْدَاءَ وَأَخَذَ فِي الدَّعَاءِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ وَالنَّاسُ كَذَلِكَ .

ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى بِهِمْ رَكَعَتَيْنِ كَصَلَاةِ الْعِيدِ مِنْ غَيْرِ أَذَانٍ وَلَا إِقَامَةٍ وَلَا نِدَاءِ الْبَتَّةِ جَهَرَ فِيهِمَا بِالْقِرَاءَةِ .
وَقَرَأَ فِي الْأُولَى بَعْدَ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى وَفِي الثَّانِيَةِ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ^(١) .

الثامن : قانون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المنبر النبوي .

التاسع : الغايات السامية من صعود النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المنبر .

العاشر : دلالات عدم ترك النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم صعود المنبر إلى حين مغادرته إلى الرفيق الأعلى

الحادي عشر : إخبار الصحابة وأهل البيت عن صعود النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المنبر .

الثاني عشر : تلقي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الأسئلة الخاصة والعامة على المنبر .

الثالث عشر : توجيه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الأسئلة الخاصة والعامة وهو على المنبر ، فإن لم يسألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم يبادر هو للسؤال لبيان موضوعية مسائل مخصوصة ، وعناية المسلمين بها .

الرابع عشر : فضائل صعود النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الخامس عشر : هل من شرائط وموانع لصعود النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المنبر ، الجواب لا ، وهو من خصائصه .

السادس عشر : إظهار النبي معاني الرحمة والإحسان والرفقة والخشية من الله وهو على المنبر ، وعن عبد الله بن عباس عن أخيه الفضل قال : جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم موعوكا قد عصب رأسه . فقال خذ بيدي فأخذت بيده فأقبل حتى جلس على المنبر ثم قال ناد في الناس .

فصحت في الناس فاجتمعوا إليه .
فقال أما بعد أيها الناس فاني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو وانه قد دنا منى حقوق من بين أظهركم .
فمن كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليستقض منه .
ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضي فليستقض منه ومن كنت أخذت له مالا فهذا مالي فليأخذ منه ولا يقول رجل إنني أخشى الشحاء من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ألا وان الشحاء ليست من طبعتي ولا من شأني ألا وان أحبكم إلى من أخذ حقا إن كان له أو حللني فلقيت الله وأنا طيب النفس^(١) .
السابع عشر : لا يصعد النبي محمد المنبر إلا بالوحي .

قانون المنبر النبوي أمن وسلامة

المنبر لغة مرقاة يرتقيها الخطيب والواعظ ليكون في حال يكون مرئياً ومسموعاً من الجميع .
ومن الإعجاز في السنة النبوية ، وموضوعية الوحي فيها اقتباس المسلمين والناس جميعاً الدروس والمواعظ من السنة القولية والفعلية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
ومن معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الحسية (المنبر النبوي) وهو حالة مستحدثة في الجزيرة لم يعهدها الناس .

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يواظب على ارتقاء المنبر وإلقاء المواعظ منه ، ويقوم بتفسير الآيات ، والإخبار عما يوحى إليه ، ويحيب على الاستئلة وهو على المنبر ، ولا يفعل أو يغضب عند مقاطعة الناس له ، لبيان وجوب عصمة المسلم من الغضب الذي قد يكون مقدمة للعنف والجدال بالمغالطة .

ولا يختص الجلوس تحت منبره بالمسلمين ، بل يجلس الكتابي والكافر ويحيب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الأسئلة وهو على المنبر لبيان أنه مدرسة نبوية ملاكها الهداية والإصلاح ، وتثبيت سنن السلم المجتمعي .

ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إحداث المنبر والأمن والسلامة وهو على المنبر والذي لم يتم إلا بواقية وحرز من الله عز وجل .

و(عن محمد بن المنكدر قال : رأيت جابراً وهو يكي عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول : ههنا تسكب العبرات ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة)^(١) .

ومن معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الحسية إنشاء المسلمين لملايين المنابر في المساجد ودور العبادة والمضائف، وحتى في البيوت لما فيه تعظيم شعائر الله .

وعدد المساجد في العالم نحو ثلاثة ملايين وستمئة ألف ، وفي اندونيسيا وحدها تسعمائة ألف مسجد ، وعند احتساب وتقدير عدد المنابر تحتسب المساجد والمنابر في بدايات الدعوة الإسلامية والتي في هذا الزمان وحده . لقد أراد كفار قريش قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في فراشه ، فنزل جبرئيل يحمل نبأ الهجرة إلى المدينة ، وأمره بالمغادرة فوراً ،

(١) الدر المنثور ١/٤٧٤ .

قال تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يَخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(١).

عام الوفود

هل من موضوعية لصلح الحديبية وفتح مكة والنصر في معركة حنين في توالي وفود القبائل على المدينة ودخولهم الإسلام بعد بضعة أشهر من النصر في معركة حنين ، الجواب نعم ، حتى سمي العام التاسع للهجرة عام الوفود .

لقد أدركت قبائل العرب أن النصر الثنائي للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بفتح مكة ثم معركة حنين إنما تم بمعجزة وتعصيد من الملائكة ، وأنها نهاية حقبة الوثنية والعصبية الجاهلية .

وهل علمت قبائل العرب بتفاصيل فتح مكة وكيف أنه تم سلماً من غير قتال يعتقد به ، فدخل أهلها الإسلام ، الجواب نعم وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾^(٢).

لتتضمن هذه الآية وحدة الموضوع في تنقيح المناط واشتراك مكة والقرى والمدن التي حولها التي يأتي أهلها للحج والعمرة بتلقي الإنذار النبوي .
لقد كان قدوم الوفود إلى المدينة لدخول الإسلام مستمراً منذ السنوات الأولى للهجرة النبوية ولكنهم كان على نحو الأفراد ، الشخص الواحد والإثنين والثلاثة ، ثم إزداد العدد بعد صلح الحديبية وما تضمنه من إيقاف القتال بين النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمشركين وجواز دخول الناس في عقد النبي محمد ومبادرة خزاعة للدخول فيه ، ليصبح بعد فتح مكة من غير قتال يذكر .

(١) سورة الأنفال ٣٠.

(٢) سورة الشورى ٧.

وبعد خروج ثلاثين ألفاً مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى تبوك للملاقاة الروم ، وعودتهم سالمين ، ازداد عدد الوفود القادمين على المدينة للقاء النبي محمد وإعلان إسلامهم ، وإسلام قومهم من خلفهم ، وبلغ عدد الوفود في السنة التاسعة للهجرة نحو سبعين وفداً منهم .

وفد بنو حنيفة وفيهم مسيلمة الكذاب ، وفد بني سعد بن بكر ، وفد نجران ، وفد الأشعرين من اليمن ، وفد قبيلة طي ، وفد ثقيف .

وكان النبي محمد يستضيف بعض الوفود ويعلمهم أحكام الإسلام ، ويأمر عدداً من أصحابه ليفقهوهم في الدين ، ويتلقى منهم الهدايا ، ويقدم لهم الهدايا .

و(عن ابن عباس قال قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله إن بيننا وبينك كفار مضر ولا نصل إليك إلا في أشهر الحرم فمرنا بأمر ننتهي إليه وندعو إليه من وراءنا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم شهر رمضان وخمس ما غنتم ونهاهم عن الدباء^(١) والحنتم^(٢) والمزفت^(٣) والنقيير^(٤))^(٥) .

وكان في وفد عبد قيس الجارود ، وكان نصرانياً فأسلم ، وبعث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم معهم العلاء بن الحضرمي عاملاً على الصدقات .

ويأتي إن شاء الله في أجزاء (معالم الإيمان في تفسير القرآن) التفصيل في قدوم الوفود إلى المدينة ، وكثرتها من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) الدباء : القرع ، والمقصود أنية من القرع تتخذ لشرب النبيذ وكان في الحديث حذفاً .

(٢) الحنتم : إناء يصنع من طين وشعر ودم كان يؤتى فيه بالخمير من الشام .

(٣) المزفت : إناء يطلّى بالمزفت القار ، ويتخذ أنية للتخمير .

(٤) النقيير : وضع الماء مع التمر أو الزبيب في جوف في جذع النخلة حتى يتخمّر .

(٥) تاريخ دمشق ١٨٥/٢١ .

وآله وسلم واطمئنان نفوس عامة الناس لرسالته وتلقي أحكام الإسلام بالقبول والرضا .

وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾^(١) ، لبيان أن نصر الله أعم من النصر في المعارك ، ومن مظاهره السامية نطق الناس بالشهادتين ، وتلقي أحكام الصلاة والصيام والزكاة والحج بالقبول والرضا والإمثال .

وقدم وفد بني أسد وفيه ضرار بن الأزور ، وطلحة بن خويلد ، وفيهم نزل قوله تعالى ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِذْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢) .

إذ أنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : أسلمنا وقاتلك العرب ولم نقاتلك ، عن ابن عباس .

وفي قول (أنهم قالوا في بعض الأوقات للنبي صلى الله عليه وسلم : إنا آمنا بك واتبعناك ولم نحاربك كما فعلت محارب خصفة وهوازن غطفان وغيرهم)^(٣) .

وفيه شاهد بان المشركين هم الذين كانوا يغزون المدينة ويبدأون القتال في محاربة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

إنذار النبي (ص) بقرب رحيله

لقد اختص الله عز وجل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بنزول القرآن ، وجعل نزوله نجوماً وعلى نحو التوالي مدة ثلاث وعشرين سنة ، وفيه وعد من الله عز وجل بسلامة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من

(١) سورة النصر ١-٢ .

(٢) سورة الحجرات ١٧ .

(٣) المحرر الوجيز ١٧٦/٦ .

القتل والموت إلى حين نزول تمام سور القرآن ، فنزل قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١).

و(عن أم حبيبة قالت : لما نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾^(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله لم يبعث نبياً إلا عمر في أمته شطر ما عمر النبي الماضي قبله ، وإن عيسى ابن مريم كان أربعين سنة في بني إسرائيل ، وهذه لي عشرون سنة وأنا ميت في هذه السنة .

فبكت فاطمة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أنت أول أهل بيتي لحوقاً بي فتبسمت .

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : لما أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة حنين أنزل عليه ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾^(٣) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا علي بن أبي طالب ، يا فاطمة بنت محمد جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبحان ربي وبحمده واستغفره إنه كان توابا)^(٤).

وورد (عن عكرمة قال : لما نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾^(٥) قال المشركون بمكة : لمن بين أظهرهم من المؤمنين ، قد دخل الناس في دين الله أفواجا ، فاخرجوا من بين أظهرنا ، فعلام تقيمون بين أظهرنا ، فنزلت ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ﴾^(٦))^(٧).

(١) سورة المائدة ٣ .

(٢) سورة النصر ١ .

(٣) سورة النصر ١ .

(٤) الدر المنثور ١٠/٣٧٤ .

(٥) سورة النصر ١ .

(٦) سورة الشورى ١٦ .

(٧) الدر المنثور ٩/٥٩ .

وهو خلاف منطوق آية النصر أعلاه والنصوص الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة وأهل البيت في المقام ، إذ نزلت هذه الآية وقد ساد الإسلام في الجزيرة .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في المقام إخباره عن قرب أجله وفيه مسائل :

الأولى : بيان فضل الله عز وجل على سيادة مبادئ وأحكام الإسلام في الجزيرة.

الثانية : نزول الفرائض العبادية كالصلاة والصوم والزكاة والحج ، وقيام المسلمين على أدائها وتعاهدها وتوارثها ، قال تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١).

الثالثة : دعوة الصحابة وأهل البيت لسؤال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن أمور الدين والدنيا .

الرابعة : إشعار المسلمين بنزول تمام القرآن .

دس السم للنبي (ص)

لقد نزل قوله تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(٢).

ليبان أنه بشر يأتيه الموت أو يقتل من قبل المشركين ، ونجاة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من القتل من قبل قريش قبل الهجرة ، وبعدها في معارك الإسلام الأولى معجزة له ، إذ كان القتل قريباً منه في كل معركة إلى جانب محاولات الإغتيال التي صرفها الله عز وجل عنه ، وهذا الصرف

(١) سورة المائدة ٣.

(٢) سورة آل عمران ١٤٤.

ودفع القتل عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من مختصاته لما فيه من صبغة الإعجاز .

و(عن ابن عباس قال ولد نبيكم يوم الاثنين ونبيء يوم الاثنين وخرج مهاجرا من مكة يوم الاثنين ودخل في المدينة يوم الاثنين وفتح مكة يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين).

وأخرج أبو نعيم عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : المدينة مهاجري ومضجعي من الأرض^(١).

وهل مات النبي صلى الله عليه وآله وسلم على فراشه أم قتل ، مشهور المسلمين أنه دس له السم ، وهو المختار .

و(عن عبدالله بن مسعود، قال: لئن أحلف تسعا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل قتلا أحب إلى من أن أحلف واحدة أنه لم يقتل، وذلك أن الله اتخذ نبياً واتخذ شهيدا)^(٢).

وقال محمد بن إسحاق (فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية، وقد سألت أي عضو أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقبل لها الذراع).

فأكثرت فيها من السم، ثم سمت سائر الشاة ثم جاءت بها وقال الواقدي (فعمدت إلى عنزٍ لها فذبحتها، ثم عمدت إلى سمٍ لابطى).

قد شاورت اليهود في سموم فأجمعوا لها على هذا السم بعينه، فسمت الشاة وأكثرت في الذراعين والكتفين.

فلما غابت الشمس صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المغرب وانصرف إلى منزله، ويجد زينب جالسةً عند رحله فيسأل عنها.

(١) الخصائص الكبرى ٤٠١/٢.

(٢) ابن كثير / السيرة النبوية ٤٤٩/٤.

فقالت : أبا القاسم ، هدية أهديتها لك. ومن خصائص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة^(١).
فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالهدية فقبضت منها ووضعت بين يديه.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه وهم حضور، أو من حضر منهم : ادنوا فتعشوا! فدنوا فمدوا أيديهم.
وتناول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذراع ، وتناول بشر بن البراء عظماً ، وأنهش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهشاً وأنهش بشر ، فلما ازدرد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكلته ازدرد بشر.
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كفوا أيديكم فإن هذه الذراع تخبرني أنها مسمومة^(٢).

ولأك منها مضغة فلم يسغها، ومعه بشر بن البراء بن معرور، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأما بشر فأساغها، وأما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلفظها ثم قال : إن هذا العظم يخبرني أنه مسموم.

ثم دعا بها فاعترفت ، فقال : ما حملك على ذلك ".
قالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك، فقلت: إن كان كذاباً استرحت منه، وإن كان نبياً فسيخبر.

ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم علمه بالسم الذي دس إليه ، وهذا العلم بالوحي ، وحديث ذات العظم والذراع المسموم ، وإن كان عذر زينب بنت الحارث ليس كافياً ، فقد يكون نبياً ولكنه يأكل المسموم ﴿لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾^(٣).

(١) وهل يدل هذا الخبر على جواز أكل طعام أهل الكتاب ، الجواب نعم .

(٢) مغازي الواقدي ١/٢٧٦.

(٣) سورة الأنفال ٤٤.

ويدل الحديث على خصيصة من خصائص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي عفوہ عن دس السم في طعامه عن قصد وإرادة قتله ، قال تعالى ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾^(١). فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومات بشر من أكلته التي أكل.

قال ابن إسحاق : وحدثني مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلى ، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد قال في مرضه الذي توفي فيه - ودخلت عليه أم^(٢) بشر بن البراء بن معرور : يا أخت^(٣) بشر إن هذا الاوان وجدت فيه انقطاع أبهري من الاكلة التي أكلت مع أخيك بخير. قال ابن هشام: الابهر: العرق المعلق بالقلب. قال : فإن كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مات شهيدا مع ما أكرمه الله به من النبوة^(٤).

وفي بحار الأنوار ٣٩٥/١٧ يذكر رواية عن الإمام علي عليه السلام أن التي وضعت السم في الشاه من أجل سم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هي زينب بنت الحارث ، وقال المجلسي (وفي خبر إن البراء بن معرور أخذ منه لقمة أول القوم: فوضعها في فيه، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: لا تتقدم رسول الله في كلام له جاءت به هذه وكانت يهودية، ولسنا نعرف حالها، فإن أكلته بأمر رسول الله فهو الضامن لسلامتك منه، وإذا أكلته بغير إذنه وكلك إلى نفسك، فنطق الذراع وسقط البراء ومات وروي أنها كانت زينب بنت الحارث زوجة سلام بن مسلم، والأكل كان بشر بن البراء بن

(١) سورة المائدة ١٣.

(٢) في الأصل أخت ، وفي البحار ٣٩٧/١٧ وأنه دخلت أمه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته .

(٣) في الأصل أم.

(٤) السيرة النبوية لابن كثير ٣/٣٩٩.

معرور، وأنه دخلت امه على النبي صلى الله عليه وآله عند وفاته فقال: يا ام بشر ما زالت اكلة خبير التي اكلت مع ابنك تعاودني، فهذا أوان قطعت أبهري، ولذلك يقال: إن النبي صلى الله عليه وآله مات شهيدا. وعن عروة بن الزبير أن النبي صلى الله عليه وآله بقي بعد ذلك ثلاث سنين حتى كان وجعه الذي مات فيه. وفي رواية أربع سنين وهو الصحيح^(١).

قانون الوحي حاجة

لقد جعل الله عز وجل الإنسان كائناً محتاجاً ووفق القياس الإقتراني :
الكبرى : كل مخلوق محتاج .
الصغرى : الإنسان مخلوق .
النتيجة : الإنسان محتاج .

والوحي للأنبياء حاجة للناس جميعاً لما فيه من سبل الهداية والبشارة والإنذار ، قال تعالى ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ . .﴾^(٢) وقد تلقى آدم الوحي بأبهى محل وهي الجنة قبل هبوطه إلى الأرض ليصاحبه في الحياة الدنيا ، ويكون ضياء في عالم البرزخ ويوم القيامة . ولم يبدأ الوحي مع نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وموضوع الوحي ملازم لوجود الإنسان على سطح الأرض وقبل أن ينزل لتفضل الله بتعليم آدم الأسماء في السماء وأمره لآدم أن يعلمها الملائكة ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾^(٣) وإن إنقطع الوحي فترات معينة، ولكنه رفع بانتقال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى .

(١) البحار ٣٩٦/١٧ .

(٢) سورة الأنعام ٤٩ .

(٣) سورة البقرة ٣٣ .

وقيل مما أوحى الله إلى أيينا آدم عليه السلام (أن المستبطين للعلوم عندي أفضل من عمار الأرض بالصنائع، ومن إستببط علماً ودونه في كتاب فهو بمنزلة آدم الصفي). .

وورد في حديث عن الإمام الباقر عليه السلام أن الله تعالى قال لآدم عليه السلام (روحك من روحي وطبيعتك على خلاف كينونتي)^(١). وذكر الطبري ما نسبته إلى القيل :أنه كان مما أنزل الله تعالى على آدم تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير، وحروف المعجم في إحدى وعشرين ورقة.

وعدم ذكر السند ونسبته إلى القيل نوع تضعيف للحديث إلا أن هذا كله لا يمنع من الإقرار بتلقي آدم الوحي للملازمة بين النبوة والوحي وللإجماع وورود النصوص على نبوته، بالإضافة إلى ظاهر وإطلاق قوله تعالى ﴿أَنبِ جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢)، وقوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^(٣).

والتعليم في قوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا . .﴾^(٤)، مرتبة أعلى من الوحي موضوعاً وكيفية لقيام الحجة في أهليته للخلافة في الأرض وإصلاحه وذريته لها.

ويتجلى قانون اتصال واستمرار النعمة ، فإذا أنعم الله عز وجل على عبد أو طائفة أو أمة بنعمة فانه لا يقطعها ، إلا مع الجحود

(١) البحار ٢٢٥/٥ .

(٢) سورة البقرة ٣٠ .

(٣) سورة البقرة ٣١ .

(٤) سورة البقرة ٣١ .

للإطلاق في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١).

وقد صاحبت النبوة آدم عليه السلام من حين هبوطه إلى الأرض ، ومن معاني هذه المصاحبة قانون ملازمة الوحي للنبوة .

قانون عصمة الإسلام والمسلمين من الإستئصال

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم سلامة أمته من الإستئصال عذاباً وسوء عاقبة .

وهذه السلامة من اللطف الإلهي بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وشكره وأمته على الجهاد في سبيل الله ﴿بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^(٢) ، وتعاهد أداء الفرائض العبادية من غير تحريف أو زيادة أو نقصان .

لقد جعل الله عز وجل القرآن مدرسة الإيتاعظ من الأمم السالفة ، قال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾^(٣).

ومن أظهر أسباب هلاك الأمم الكفر والجحود ، وطغيان الفساد ، وكثرة الفسوق والخبث ، وانقطاع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أو عدم الإصغاء له من عامة الناس ، وملاقاته بالسخرية والإستخفاف .

وهلاك الأمم على قسمين :

الأول : هلاك إستئصال وزوال .

الثاني : هلاك ضعف .

و(عن مسعر قال بلغني أن ملكاً أمر أن يخسف بقرية فقال : يا رب فيها فلان العابد فأوحى الله تعالى إليه : أن به فابدأ لم يتمعر وجهه في ساعة قط)^(١).

(١) سورة الرعد ١١.

(٢) سورة النحل ١٢٥.

(٣) سورة هود ١٠٢.

ومسعر بن كدام من التابعين توفي سنة ١٥٣ هجرية ، ولم يرفع الحديث .
 وورد عن أبي بكر قال (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
 : إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله
 بعذاب من عنده)^(٢).

و(عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
 مثل الفاسق في القوم كمثل قوم ركبوا سفينة فاقسموها فصار لكل إنسان
 منها نصيب فأخذ رجل منهم فأسأ فجعل ينقر في موضعه .
 وقال له أصحابه : أي شيء تصنع ، تريد أن تفرق وتفرقنا .
 قال : هو مكاني ، فإن أخذوا على يده نجوا ونجا وإن تركوه غرق
 وغرقوا)^(٣).

وفي عاد قال تعالى ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتَجَادِلُونِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾^(٤) ، في احتجاج وإنذار الرسول هود لقومه عاد ، وإقامة
 الحجة عليهم بعد أن امتنعوا عن عبادة الله عز وجل وحده .
 وتجراؤا وتحذوه ، وقالوا ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾^(٥) ، أي من العذاب .

وظاهر الآية أن الذي أنذرهم هود منه وتحذاهم بانتظاره هو هلاكهم ،
 إذ بعث الله عز وجل عليهم ريحاً شديدة البرودة ﴿سَخَرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ
 وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾^(٦) فماتوا جميعاً

(١) تفسير القرطبي ٢٢٣/٦ .

(٢) تفسير القرطبي ٣١٧/٦ .

(٣) الثعلبي / الكشف والبيان ١٥٩/٣ .

(٤) سورة الأعراف ٧١ .

(٥) سورة الأعراف ٧٠ .

(٦) سورة الحاقة ٧ .

إلا هوداً والذين آمنوا معه ، لتبقى مساكنهم على حالها عبرة وموعظة ، وشاهداً على خزي الكافرين في الدنيا ، وفيه إنذار للناس وهو شعبة من قانون ترتب العذاب العاجل على الكفر والجحود العام بعد رؤية الآيات والمعجزات الرسالية.

ويتعقب هذا العذاب أشد منه في القبر ، ثم يوم القيامة ، لقد نزلت آيات القرآن عبرة وموعظة للناس ، قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١).

قوانين هذا الجزء

مما يفتخر به المسلمون خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم التي تفضل الله عز وجل بها عليه سواء تلك التي في القرآن أو تتجلى في السنة القولية أو الفعلية أو التقريرية .

وقد تم والحمد لله تأليفي للجزء الأول من خصائص النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي بين يديك ، وتأتي أجزاء أخرى إن شاء الله ، وإذ يذكر المحقق الحلي صاحب شرائع الإسلام خمس عشرة خصلة هي مختصات النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وتبعه علماء آخرون بذكر هذا العدد ، أو زادوها إلى الضعف .

ولي أربعة عشر جزءاً في شرح شرائع الإسلام تدريسي في الحوزة العلمية قبل ثلاثين سنة طبعت منها أربعة أجزاء فقط بعنوان (دار السلام في شرائع الإسلام) وهي كل من الجزء ٦ ، ١٠ ، ١٤ .

ويتضمن هذا الجزء القوانين التالية :

الأول : قانون خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من التبيان القرآني .

الثاني : قانون خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هدى للمسلمين والناس .

الثالث : قانون تلقي المسلمين خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالقبول والرضا ، والتدبر في الجانب الإعجازي فيها .

الرابع : قانون اتصال المعجزة الحسية .

الخامس : توارث الأمم والشعوب قانون عالم الحساب والجزاء بعد الموت ، ويدل عليه الحوار الذي دار بين ابني آدم .

السادس : قانون الحروف المقطعة مقدمة لتلاوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للقرآن .

السابع : قانون الحروف المقطعة تنزيل من عند الله سبحانه .

الثامن : قانون الحروف المقطعة وسيلة لإنتباه الناس لتلاوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه للقرآن .

التاسع : قانون ضبط القرآن والسنة للمعاملات ، ومنع الجهالة والغرر فيها .

العاشر : قانون البعث على فعل الصالحات .

الحادي عشر : قانون استحضار الآخرة وعالم الجزاء في المعاملات اليومية .

الثاني عشر : قانون اليسر في جني واكتساب الحسنات .

الثالث عشر : قانون عالمية واستدامة الرسالة الخاتمة .

الرابع عشر : قانون الترغيب بتلاوة القرآن .

الخامس عشر : قانون تثوير القرآن .

السادس عشر : قانون استدامة سلامة القرآن من التحريف .

السابع عشر : قانون تعاهد المسلمين لعلوم القرآن ، والسعي في تثوير القرآن .

الثامن عشر : قانون الإجتهد اليومي في الدعوة إلى الله عز وجل .

التاسع عشر : قانون انحسار نفوذ وسلطان قريش ، لقانون غلبة المعجزة النبوية على سطوة المشركين .

العشرون : قانون تألف القبائل ، ومحاربة الإرهاب ومنع قريش من

التحريف والإفتراء على النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
الواحد والعشرون : قانون الذكر الحسن لمن عضد نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأعانه ونصره.

الثاني والعشرون : قانون سبق البشارات بنبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الثالث والعشرون : قانون دعاء المسلمين لأنفسهم وللناس بالهداية ورجاء رحمة الله .

الرابع والعشرون : قانون التقييد في القتال.
الخامس والعشرون : قانون حصر قتال المسلمين في سبيل الله .
السادس والعشرون : قانون قتال الذين يقاتلون المسلمين دون غيرهم من الناس وإن كانوا كفاراً .

السابع والعشرون : قانون حرمة التعدي في حال الحرب والسلام.
الثامن والعشرون : قانون النهي عن التعدي والظلم في حال الحرب والسلام لبيان التضاد بين مبادئ الإسلام والتعدي.

التاسع والعشرون : قانون تلاوة النبي (ص) القرآن في البيت الحرام .
الثلاثون : قانون تعدد وجوه الإعجاز في الآية القرآنية .
الواحد والثلاثون : قانون تجدد إعجاز الآية القرآنية في كل زمان .
الثاني والثلاثون : قانون تلاوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لآيات القرآن شاهد على نبوته .

الثالث والثلاثون : قانون تعاهد النبي (ص) الصلاة مع التهديد بقتله.
الرابع والثلاثون : قانون الإيمان حاجة.

الخامس والثلاثون : قانون السنة النبوية هداية وصلاح للناس .
السادس والثلاثون : قانون إزاحة الأصنام إلى الأبد.

السابع والثلاثون : قانون بعث النفرة من الأصنام.
الثامن والثلاثون : قانون التضاد بين علة خلق الناس وعبادة الأوثان .

التاسع والثلاثون : قانون الملازمة بين بعثة الأنبياء وصلاح الناس ، ولا يتم هذا الصلاح إلا بالتوحيد ، وترك عبادة الأوثان والتقرب إليها .

الأربعون : قانون جهاد الصبر .

الواحد والأربعون : قانون شمول خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للتكاليف الشاقة .

الثاني والأربعون : قانون التفاؤل ووجوب العناية بالبنات وحسن تربيتهن .

الثالث والأربعون : قانون دلالة آيات إكرام المرأة على النهي إيذائها .

الرابع والأربعون : قانون قبح الوأد واتصال مضامين هذا القانون إلى يوم القيامة ببركة القرآن .

الخامس والأربعون : قانون ملاحقة آية الوأد للذين كفروا في أسفارهم وتقلبهم في البلاد .

السادس والأربعون : قانون مصاحبة الرزق الكريم للإيمان إذ توالى النعم على المسلمين وأهل الجزيرة ببركة بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

السابع والأربعون : قانون إذا كذب قوم بالرسالة فإن الله عز وجل يأتي بقوم يؤمنون بها ، فتتوالى عليهم الخيرات .

الثامن والأربعون : قانون القرآن دستور سماوي ثابت اختص الله تعالى به النبي محمداً وأمة .

التاسع والأربعون : قانون ازالة أسباب الوأد والغزو بين القبائل .

الخمسون : قانون كل خصلة يختص بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من بين الأنبياء هي نعمة عظمى ، لا يقدر عليها غير الله تعالى .

الواحد والخمسون : قانون اختصاص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بتلقي نزول القرآن ، وانحصار هذا التلقي به وحده من بين الأولين والآخرين نعمة عظمى .

الثاني والخمسون : قانون كل إجابة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي من الوحي .

الثالث والخمسون : قانون انشقاق القمر دعوة للناس على اختلاف مشاربهم للإيمان ، والتباين في مداركهم لدخول الإسلام .

الرابع والخمسون : قانون النصر ببدء التوحيد .

الخامس والخمسون : قانون الإمتناع عن الفرار .

السادس والخمسون : معرفة المسلمين بقانون ثبات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في ميدان القتال .

السابع والخمسون : قانون ثبات النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الميدان طريق النصر والظفر .

الثامن والخمسون : قانون الثبات في ميدان القتال تدبير نبوي ، وفيه دعوة للمسلمين للإمتناع عن الفرار .

التاسع والخمسون : قانون نزول الملائكة لنصرة النبي (ص) .

الستون : قانون نصر الله للأنبياء .

الواحد والستون : قانون نصر الله للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثاني والستون : قانون الدعاء لجلب النصر .

الثالث والستون : قانون قلة عدد قتلى المسلمين في الميدان في مواجهة كثرة المشركين .

الرابع والستون : قانون لا يبدأ النبي القتال .

الخامس والستون : قانون تضائل النفاق .

السادس والستون : قانون فضح المنافقين والتحذير منهم .

السابع والستون : قانون غنى الإسلام والمسلمين عن المنافقين .

الثامن والستون : قانون تضائل النفاق وأثره في المجتمعات .

التاسع والستون : قانون تعدد منافع الآية القرآنية .

السبعون : قانون تقديم الأهم على المهم طوعاً وانطباعاً وقهراً ، وقانون إزاحة الخير للشر في النوايا والمقاصد وعالم الفعل .

الواحد والسبعون : قانون الوحدة العامة لآيات القرآن، وقانون القرآن سور جامع على الخير والصلاح.

الثاني والسبعون : قانون النجاة من النبل والسهام.

الثالث السبعون : قانون الملازمة بين الخلافة والوحي .

الرابع والسبعون : قانون توجه الأوامر والنواهي للإنسان وقانون الحساب يوم القيامة .

الخامس والسبعون : قانون الوحي معجزة.

السادس والسبعون : قانون وهو : بنزول القرآن ظلت معجزات الأنبياء معروفة وحاضرة.

السابع والسبعون : قانون القرآن أسمى تركة متوارثة.

الثامن والسبعون : قانون الوحي سبب لدخول الذوات وعامة الناس الإسلام ، وأن الناس دخلوا الإسلام بالمعجزة والوحي.

التاسع والسبعون : قانون إجتماع الوحي ونزول القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثمانون : قانون مصاحبة الوحي للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في العبادات والمعاملات .

الواحد والثمانون : قانون الوحي مدد وعون للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحضوره في الوقائع والأحداث .

الثاني والثمانون : قانون الوحي مادة تصديق الناس بدعوة الأنبياء .

الثالث والثمانون : قانون الوحي لطف عام .

الرابع والثمانون : قانون الوحي هداية للناس .

الخامس والثمانون : قانون من الإرادة التكوينية وهو الوحي مادة الصلة بين الله وبين الناس بواسطة الأنبياء .

السادس والثمانون : قانون الوحي هو المصداق المتجدد .

السابع والثمانون : قانون الوحي مادة خلافة الإنسان في الأرض .

الثامن والثمانون : قانون الوحي حجة.

التاسع والثمانون : قانون الملازمة بين الوحي والنبوة وإن كان بعض الأنبياء ممن يتنبأ في منامه ومنهم من يسمع الصوت ولا يرى الملك.
التسعون : قانون رؤيا الوحي ترغيب للناس للإنصات للنبي.
الواحد والتسعون : قانون الرؤيا مدد من الله للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الثاني والتسعون : قانون رؤيا النبي وحي .
الثالث والتسعون : قانون امتثال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للأوامر الإلهية التي تأتي بالوحي .
الرابع والتسعون : قانون منافع رؤيا النبي عامة ومتجددة وتبقى عبرة وموعظة.

الخامس والتسعون : قانون رؤيا النبي تنفرد عنها المعجزات المتجددة.
السادس والتسعون : قانون الوحي حاجة .
السابع والتسعون : قانون اتصال واستمرار النعمة ، فإذا أنعم الله عز وجل على عبد أو طائفة أو أمة بنعمة فانه لا يقطعها .
الثامن والتسعون : قانون ملازمة الوحي للنبوة .
التاسع والتسعون : قانون تعزية النبي لأصحابه .
المائة : قانون تعزية النبي وحي .

الواحد بعد المائة : قانون عصمة الإسلام والمسلمين من الإستئصال.
الثاني بعد المائة : قانون ترتب العذاب العاجل على الكفر والجحود العام بعد رؤية الآيات والمعجزات الرسالية.

الثالث بعد المائة : قانون رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم رسالة صفح ولانه خاتم النبيين فقد أراد الله عز وجل أن يبقى الصفح والعفو هو ملاك الصلات بين الناس .

الرابع بعد المائة : قانون الإعتكاف.
الخامس بعد المائة : قانون الملازمة بين الإيمان وأداء الصلاة .
السادس بعد المائة : قانون الملازمة بين الركوع والسجود.

السابع بعد المائة : قانون مصاحبة الركوع والسجود لبعثة الأنبياء .
الثامن بعد المائة : قانون كل من الركوع والسجود من أركان الصلاة .
التاسع بعد المائة : قانون التفقه في قصص الأنبياء من خصائص المسلمين.

العاشر بعد المائة : قانون اضطرار المسلمين للدفاع وعدم ترك الإيمان وسته.

الحادي عشر بعد المائة : قانون اجتناب المسلمين الهجوم والغزو .
الثاني عشر بعد المائة : قانون وهو أن الله عز وجل يدافع عن المؤمنين ويصد الذين كفروا.

الثالث عشر بعد المائة : قانون تفضل بإنزال الملائكة لنصرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه.

الرابع عشر بعد المائة : قانون توثيق السنة.
الخامس عشر بعد المائة : قانون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن رؤياه مدد وعون للمسلمين.

السادس عشر بعد المائة : قانون اقتران وجوب طاعة الرسول بطاعة الله عز وجل .

السابع عشر بعد المائة : قانون حرمة محاربة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنها محاربة لله عز وجل.

الثامن عشر بعد المائة : قانون آيات السلم وسيلة سماوية مباركة لاتباع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وترك محاربته.

التاسع عشر بعد المائة : قانون تلاوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للآيات حال نزولها دعوة لحفظها وكتابتها ، ومنع السهو أو الخطأ فيها.

العشرون بعد المائة : قانون في تلاوة وتفسير النبي صلى الله عليه وآله وسلم للقرآن سلام وأمن ، وغنى عن الغزو والقتال.

الواحد والعشرون بعد المائة : قانون المنبر النبوي أعلام متجدد .

الثاني والعشرون بعد المائة : قانون المنبر النبوي تشريف وإكرام للنبي والمسلمين.

الثالث والعشرون بعد المائة : قانون المنبر شاهد على عظيم منزلة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عند الله عز وجل.

الرابع والعشرون بعد المائة : قانون بيان موضوعية حال إرتقاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المنبر ، وإنجذاب المسلمين له.

الخامس والعشرون بعد المائة : قانون حاجة المسلمين لصعود النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للمنبر.

السادس والعشرون بعد المائة : قانون اصغاء المسلمين لكلام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر.

السابع والعشرون بعد المائة : قانون المنبر وسيلة إعلامية عظيمة يصل صوت النبي من خلالها إلى أجيال المسلمين المتعاقبة جميعاً.

الثامن والعشرون بعد المائة : قانون تثبيت النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لقواعد السلم بواسطة المنبر .

التاسع والعشرون بعد المائة : قانون المنبر أداة للتبليغ.

الثلاثون بعد المائة : قانون فزع الكفار من المنبر، وخوف المنافقين من صعود النبي له.

الواحد والثلاثون بعد المائة : قانون دعاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو على المنبر، وموضوعه وقانون انتفاع المسلمين من أدعية النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومنها دعاؤه للإستسقاء أثناء خطبته .

الثاني والثلاثون بعد المائة : قانون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المنبر النبوي.

الثالث والثلاثون بعد المائة : قانون المنبر النبوي أمن وسلامة.

الرابع والثلاثون بعد المائة : قانون الإسراء تفضيل .

الخامس والثلاثون بعد المائة : قانون منع الغلو بشخصه الكريم ، لذا وردت آية الإسراء بصفة العبودية.

تفريظ تفضل به العلامة المحقق السيد رضا الحكيم "حفظة الله" معالم الإيمان موسوعة نادرة

معالم الإيمان سر مكنون يروي عظمة القرآن الحكيم ، بعض أجزائه تشع بأنوار التوحيد ، باضواء التسامح والتعايش السلمي .
الإسلام هو دين السلام ، الأجزاء الأخرى تتميز بالتجديد والإبتكار ، لغته تتصف بالمتانة والصفاء ، لا تجد فيها زخارف ولا تراويق ، خاص في بحار كلمات الوحي الإلهي .

أخرج للأجيال لآلئ جديدة ، معاني غابت عن كثير من المفسرين عن العديد من كتاب الموسوعات التاريخية .

موسوعة (معالم الإيمان) تجاوزت المائتين والخمسة والستين مجلداً ، كل جزء فيها تجد لوحات نادرة عن الحياة الإجتماعية ، الحياة الجارية في عهد الرسالة ، في العصور بعد عهد الرسالة ، تجد أيضاً خلجان من الأدب الابداعي ، تجد حقول الفلسفة الإسلامية مزدهرة تفوح بعطر الكندي وابن سينا وابن رشد .

في موسوعة معالم الإيمان دراسة معمقة في الأدب النثري ، في الأدب الشعري ، قراءة في مجموعة العلاقات القبيلة والعشائرية ، تركيبها في الجزيرة العربية قبل وبعد الإسلام .

الشيخ صالح الطائي مرجع ديني ، غمامة تهطل بثقافة الإسلام ، واحة خضراء يستراح عندها عشاق التوحيد ، رؤاه تفجرت بفتوحات العقل الإسلامي ، اكتشافاته اللغوية الجديدة .

منعطف للعقول والإفئدة ، تتألق مثل تألق الكواكب والنجوم ، أبعد عن عيوننا خريف التاريخ المضطرب ، في يده اليمنى قلم يزيح عنا ظلمة الخرافات والأباطيل ، في يده اليسرى عصا حطم بها اصنام الماضي والحاضر ، رؤاه المسيجة بالياسمين اضححت تؤكد ان الإسلام دين السلام ، دين الكتاب وحوار الثقافات .

تفسيره (معالم الإيمان) دخل القلوب ، دخل الجامعات الحضارية ، زرع البيوت بالسنديان ، ملأ غرفنا بالأضواء البنفسجية ، ستبقى موسوعة (معالم الإيمان) مدرسة لنا ، كلية لأبنائنا ، مآذن لأحفادنا .

سيبقى الشيخ صالح الطائي يتألق حتى قيام الساعة .

السيد رضا موسى الحكيم

٢٠٢٥-٣-٢٥

من الردود الكريمة على عدد من أجزاء سفر (معالم الإيمان في تفسير القرآن)

- ١- سماحة الإمام شيخ الأزهر.
- ٢- سماحة العلامة الشيخ أ.د. مفتي جمهورية مصر العربية.
- ٣- سيادة رئيس مجلس القضاء الأعلى / العراق
- ٤- سيادة مستشار الأمن القومي السيد قاسم الأعرجي
- ٥- سيادة رئيس المحكمة الاتحادية العليا .
- ٦- الأمين العام لإتحاد المؤرخين العرب.
- ٧- سعادة أ.د. رئيس جامعة ديالى .
- ٨- سعادة أ.د. مدير جامعة الملك فيصل / المملكة العربية السعودية
- ٩- سعادة أ.د. مدير جامعة كردفان / الجمهورية السودانية.
- ١٠- سعادة أ.د. مدير الجامعة الإسلامية / المدينة المنورة.
- ١١- سعادة أ.د. رئيس الجامعة العراقية.
- ١٢- سعادة أ.د. مدير جامعة الأمير عبد القادر / الجمهورية الجزائرية
- ١٣- سعادة أ.د. رئيس جامعة البصرة / العراق.
- ١٤- سعادة أ.د. رئيس جامعة القادسية / العراق.
- ١٥- سعادة أ.د. رئيس جامعة الكوفة / العراق
- ١٦- سعادة أ.د. رئيس جامعة جدارا / المملكة الأردنية الهاشمية.
- ١٧- كلية الإمام الاوزاعي للدراسات الإسلامية/ بيروت.

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر
مكتبة الإمام الأكبر
شيخ الأزهر

٢٩ / ٥
٢٨ / ٤ / ٢٠٠٨

السيد صاحب الفضيلة المرجع الديني الشيخ/صالح الطائي

أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد،.....

فلقد تلقيت بحمد الله رسالتكم الرقيقة وبها الجزء الحادي والخمسون في تفسير آية واحدة من سورة آل عمران من القرآن الكريم. نتضرع إلى الله العلي القدير أن يلهمكم العلم النافع وان يجعله في ميزان حسناتكم.

وشكر الله لكم حسن عملكم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شيخ الأزهر
مختار
(الدكتور) محمد سيد طنطاوي

في: ١٣ من صفر ١٤٢٩ هـ

الموافق: ٢٠ من فبراير ٢٠٠٨ م

مصطفى عباس □

٦/١٩

بسم الله الرحمن الرحيم



المرجع الديني الشيخ/صالح الطائي

صاحب أحسن تفسير للقرآن وأستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد،

فإنه ليسعدني أن أتقدم لسيادتكم بخالص الشكر والتقدير
والإحترام على تفضلكم بإهدائنا نسخة من الجزء الثاني
والثمانين.

وأتمنى من الله أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية وأن يسبغ
عليكم نعمه ظاهرة وباطنه وان يوفقنا لما يحبه ويرضاه.

شاكرين لكم، ولكم تحياتي

أ. د. علي جمعة
مفتي جمهورية مصر العربية



جمهورية العراق
مجلس القضاء الأعلى

سماحة الشيخ صالح الطائي المحترم

تحية طيبة

إشارة إلى كتابكم المرقم (١٧/٧٢٨٥) المؤرخ في ١٧/١٢/٢٠١٧.

تلقينا ببالف الإعتزاز إهداءكم نسخة من كتابكم الموسوم (معالم الإيمان في تفسير القرآن) الجزء التاسع والخمسين بعد المائة، نقدم شكرنا وتقديرنا متمنين لكم دوام الموفقية.

مع التقدير

القاضي

فائق زيدان

رئيس مجلس القضاء الأعلى

٢٠١٧/١٢/٢٨

Republic of Iraq
Prime Ministers
National Security Advisory



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
رئاسة الوزراء
مستشارية الأمن القومي

العدد: ٣٢٥١
التاريخ: ٢٠٢١ / ١١ / ٦

مكتب المرجع الديني
الشيخ صالح الطائي (دامت بركاته)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ببالغ الإمتنان والغبطة تلقينا هديتكم الكريمة (الجزء السادس عشر بعد المائتين) من التفسير المبارك شاكرين حسن معالجتكم لهذا الموضوع المهم ونشد على عضدكم لتقدموا للأمة كل ما ينفعهم وينير بصيرتهم ويجلي الرين عن قلوبهم ليفهموا كتاب الله كما أراد سبحانه أن يفهموه ويعملوا بأحكامه ليكون لهم في الدنيا، مرشدا وفي الآخرة شفيعا. ونضع أنفسنا وامكاناتنا لخدمة هذا المجهود المبارك سائلين المولى القدير أن يوفقكم لكل خير.

مع خالص الدعاء

اخوكم

قاسم الاعرجي

مستشار الامن القومي



بسم الله الرحمن الرحيم

كوفي ماري عماري
 كافي كافي بالآتي بيني جاري
 القصة ١٠ / ماضي / ٨٦٥
 التاريخ ١٨٠٥ / ٥ / ٨٦٥



جمهورية إيران الإسلامية
 المحكمة الاتحادية العليا
 مكتب رئيس المحكمة

المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم

تحية طيبة

تلقينا ببالغ الاعتراف وإهداءكم القيم (الجزء الرابع
 والثلاثون بعد المائتين) من تفسيركم للقرآن،
 وهو بقانون (التضاد بين القرآن والإرهاب).
 ونقدم شكرنا وتقديرنا.

القاضي
 جاسم محمد عبود

رئيس المحكمة الاتحادية العليا

١٤ / ٥ / ٢٠٢٢



Council Of Arab Economic Unity
Subsidiary to Arab League
Union of The Arab Historians
General Secretary



مَجْلِسُ الْوَحْدَةِ الْاِقْتِسَادِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
الَّتَايِعُ لِمَجْمَعَةِ الدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ
اِتِّحَادُ الْمُؤَرِّخِينَ الْعَرَبِ
الْأَمَانَةُ الْعَامَّةُ

العدد : ث / ٨٩
التاريخ : ٤ رمضان ١٤٤٣
الموافق : ٢٠٢٢ / ٤ / ٥

إلى/ سماحة المرجع الديني للمسلمين الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
م/شكر وتقدير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :
وأسال الله تعالى أن يوفقكم ويحفظكم ويرعاكم أنه سميع مجيب الدعاء
تسلمت مع بالغ الشكر والتقدير والإمتنان والإعزاز اهداءكم لنا الجزء الواحد
والثلاثين بعد المائتين من تفسيركم للقرآن وهو بعنوان (آيات السلم محكمة غير
منسوخة) ، وأن هذا الإنجاز يعبر عن مستوى ما متعكم به الله تعالى من امكانات
متميزة في الإبداع الفكري والعلمي في مجال تفسيركم للقرآن الكريم ، ولم أقرأ أو
اسمع أن هنالك منجزاً في تفسير القرآن العظيم بمثل ما قدمتموه ، وأني لاعجز
عن التعبير عن مدى اعجابي واحترامي وتقديري لما حباكم به الله تعالى من
امكانية علمية فريدة ومتميزة .

داعياً الله تعالى لكم بموفور الصحة والسعادة والأجر الفضيل من أجل تقديم
المزيد من العطاء لخدمة الإسلام والمسلمين في زمن شح به العطاء والإنتاج الفكري
الإسلامي ، دعائي من الله تعالى لكم بمزيد من الصحة والعافية ومزيد من الإنتاج
الرائع المتميز .

وسلامي للعائلة العزيزة جميعاً الذين وفروا لك أجواء هذا العمل العلمي
التمميز وجزاهم الله خير الجزاء ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الأستاذ الدكتور محمد جاسم المصهداني
الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب
العميد / رئيس الهيئة العلمية لمعهد التاريخ العربي
والنرات العلمي للدراسات العليا



Republic of Iraq
Ministry of Higher Education &
Scientific of Research
University of Diyala



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
مكتب رئيس الجامعة

No.:
Date:

العدد ٨٠
التاريخ ٢٠٢٣ / ١ / ١١



سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

تلقينا بكل تقدير وامتنان اهدائكم نسخة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) الجزء الثالث
والأربعون بعد المائتين ، وتقدم بخالص الشكر والعرفان على هذا الاهداء ، داعياً الله العلي
التقدير ان يمدكم بعونه وتوفيقه ، وان يسدد خطاكم ويكمل اعمالكم بالنجاح انه سميع مجيب .
ومن الله التوفيق


أ.د. عبد المنعم عباس كريم

ع / رئيس جامعة ديالى

٢٠٢٣ / ١ / ١٠

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
Ministry of Higher Education
KING FAISAL UNIVERSITY
(037)



الجامعة العربية
وزارة التعليم
جامعة الملك فيصل
{ ٠٣٧ }

الموضوع:

فضيلة الشيخ / صالح الطائي
مكتب المرجع الديني وصاحب أحسن تفسير للمقرآن
وأستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
ص.ب. ٢١١٦٨ مملكة البحرين
السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد
تلقيت بكل الشناء والتقدير خطاب فضيلتكم رقم ١٦/١٨٦١
وتأريخ ٢٠١٦/٥/٢٠ المرفق طيه نسخة من كتاب بعنوان "معالم الإيمان
في تفسير القرآن - الجزء الثاني والثلاثين بعد المائة.
يطيب لي ويسعدني أشكر فضيلتكم جزيل الشكر على
إهتمامكم المتواصل بتزويد إدارة الجامعة بهذه النسخة ، وستحال إلى
مكتبة الجامعة للإطلاع عليها ، سائلا المولى جلت قدرته للجميع
التوفيق والسداد.
وتقبلوا خالص تحياتي وتقديري،،،

مدير الجامعة

د. عبدالعزيز بن جمال الدين الساعاتي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة كردفان UNIVERSITY OF KORDOFAN

Our Ref:
Date:

مكتب المدير
Vice Chancellor Office

المرّة: ج ك/م ١٧/ح/٣

التاريخ: ... 2016/8/16م

السادة / مكتب المرجع الديني

الشيخ صالح الطائي

صاحب أحسن تفسير للقرآن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تهديكم جامعة كردفان أطيب التحايا ، وتغمرنا السعادة بالإصدارات التي تتوالى إلينا بانتظام من مكتب المرجع الديني في (معالم الإيمان في تفسير القرآن) والذي كان آخر هذه الإصدارات (الجزء السادس والثلاثين بعد المائة) والذي تشرفنا بإستلامه بموجب خطابكم رقم ١٦/١٥٣٥ الصادر في ٢٠١٦/٧/١٣م، وذلك إثراءاً للمعرفة في مجال تفسير آيات القرآن، خدمة للباحثين والمهتمين بأمر التفسير القرآني، والتي أضحت متاحة في الأقسام المختصة بالمكتبات الأكاديمية في الجامعات ومراكز البحوث وجامعة كردفان تحظى بأعداد وافرة منها في مكتبها المركزية.

ختاماً لكم الشكر والعرفان على هذا الصنيع، نفعنا الله به، وأثابكم عليه خير الجزاء .

وتفضلوا بقبول فائق عبارات التقدير والإحترام

أ.د. أحمد عبد الله عجب الدور

مدير الجامعة



الرقم: ١١٤٦ / ١ / ١٥٢
التاريخ: ١٠ / ٢ / ١٤٣٦ هـ
الملاحظات:
الموضوع:



الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
وزارة التعليم العالي
إمارة المنطقة الشرقية
مكتب المصروف
(٠٣٢)

سلمه الله

معالي الشيخ / صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد

فأسأل الله لمعاليتكم العون والتوفيق، ويسرني إفادتكم بأني تلقيت بكل تقدير وإمتنان إهداءكم للجامعة نسخة من الجزء التاسع بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن).

ولإني إذ أقدم لمعاليتكم بخالص الشكر والعرفان على هذا الإهداء، لأدعو الله العلي القدير أن يمدكم بعونه وتوفيقه، وأن يسدد خطاكم ويكمل أعمالكم بالنجاح إنه سميع مجيب يحفظكم الله ويرعاكم.

ولكم تحياتي وتقديري

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مدير الجامعة الإسلامية

أ. د / عبدالرحمن بن عبدالله السند

MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
& SCIENTIFIC RESEARCH
THE IRAQIA UNIVERSITY
THE PRESIDENT OFFICE OF UNIVERSITY



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة العراقية
مكتب رئيس الجامعة

NO.:

DATE: / / 201

العدد : ٢٩٢ / ١
التاريخ : ٢٠١٦ / ٤ / ١٠ م
١٤٣٨ / ١ / ١٠ هـ

المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
تحية طيبة...

نشكر مبادرتكم الطيبة بإهداءكم لنا نسخة من كتابكم الموسوم الجزء
الثلاثون بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) سائلين الباري عز
وجل أن يوفقكم في مسيرتكم العلمية والعملية خدمة لبلدنا العزيز.
ومن الله التوفيق...

أ.د. علي صالح حسين

رئيس الجامعة العراقية

٢٠١٦ / ٤ / ١ م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



رئاسة الجامعة

قمتلينة نفي: 2015/03/25

جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية

قمتلينة

رقم 498... / رج / 2014

إلى السيد المحترم / الشيخ صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للقرآن
مكتب المرجع الديني

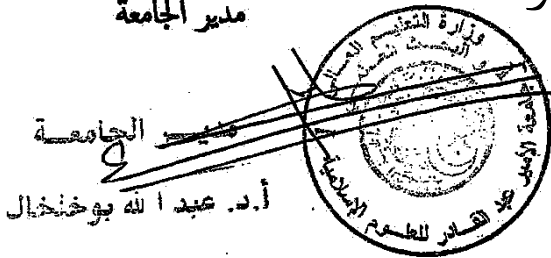
تحية طيبة وبعد :

تلقينا نحن أ.د. / عبدالله بوخلخال مدير جامعة الأمير عبد القادر للعلوم
الإسلامية قسنطينة، هديتكم القيمة المتمثلة في كتاب (معالم الإيمان في تفسير
القرآن) الجزء الثالث عشر بعد المائة.

وإذ نعبر لكم عن شكرنا على هذه الإلتقاة الكريمة، نهديكم نحن بدورنا
نسخة من مجلة الجامعة العدد ٣٣ ونسخة من نشرة أخبار الجامعة.

تقبلوا فائق الاحترام والتقدير.

مدير الجامعة



مدير الجامعة

أ.د. عبدالله بوخلخال

Ministry of Higher Education &
Scientific Research
Basrah University
Chancellor Office

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة البصرة
مكتب رئيس الجامعة

التاريخ: ٢٠١٤ / ١٤ / ٢٤

العدد: ٥٤١٧ / ٢٠٥٩٩

الى / الشيخ صالح الطائي المحترم

صاحب احسن تفسير للقرآن

م/شكر على إهداء

نهديكم أطيب التحيات ...

تسلمنا ببالغ الشكر والامتنان اهدائكم الجزء التاسع
بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) مثنين
لكم جهودكم المبذولة في التأليف والتصحيح والمراجعة
لتحقيق الارتقاء والسمو، متمنين لكم الموفقية والازدهار
خدمة للصالح العام.

والله الموفق



الاستاذ الدكتور

ثامر احمد حمدان

رئيس الجامعة

٢٠١٤ / ١٤ / ٢٤



Republic of Iraq
Ministry Of Higher Education
and Scientific Research
University of Al-Qadisiya
Chief of University Office



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية
مكتب رئيس الجامعة

Ret:

Date:

العدد: ١٥٢٦ / ٢

التاريخ: ١٩ / ٢ / ٢٠١٥

إلى / مكتب المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن

تحية طيبة ...

تسلمنا ببالغ الشكر والتقدير الجزء السابع بعد المائة من التفسير
وهو القسم الأول من تفسير (أن يمسسكم قرح فقد مس القوم
قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس) شاكرين لكم اهداءكم
متمنين لكم مزيداً من الإرتقاء والأزدهار والتطور.
...مع التقدير

٢

١

أ.د. أحسان كاظم شريف القرشي

رئيس الجامعة

٢٠١٥/٢/

Ministry of Higher Education
and Scientific Research
**UNIVERSITY OF
K U F A**
President's Office



وزارة التعليم العالي
والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مكتب رئيس الجامعة

Ref. :

Date: / /

((بجيشنا والحشد الشعبي وقوات البيشمركة العراق أقوى))
إلى / سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ صالح الطائي (دام ظله) المحترم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

ببالغ الإمتنان والتقدير تسلمنا نسخة من مؤلفكم القيم الموسوم (معالم الإيمان في تفسير القرآن) بجزئه العشرين بعد المائة وإننا وإذ تقدم لكم بالشكر والإمتنان على مبادرتكم الطيبة، فأنا نبتهل للباري جل في علاه أن يوفق سماحتكم لما يحبه ويرضاه، ومنه العون والسداد.

مع أسى آيات تقديري واحترامي...

أ. د. عقيل عبد ياسين
رئيس جامعة الكوفة
٢٠١٥ / ٨ / ١١

Jadara University

Office of the President



جامعة جدارا

مكتب الرئيس

Ref. _____

Date _____

الرقم ٨١٦٠:١٦٦٩ / ٧٦٩

التاريخ ٢٦/٥/٢٠١٢ م

الموافق ٢٦/٥/٢٠١٢ م

سبادة الأُمّ الشيخ صالح الطائي المحترم

صاحب أحسن تفسير للقرآن الكريم

وأستاذ الفقه والأصول والأخلاق

بكل فخر وإعتزاز تلقيت رسالتكم الموقرة التي تحمل العدد (٥٣٢)

تأريخ ٢٦/٥/٢٠١٢ م، ومرفقها الجزء التسعون من التفسير في

الآية (١٣٣) من سورة آل عمران.

وانني إذ أشكركم جزيل الشكر وعظيم الإمتنان على اهدائكم

هذا، سائلاً المولى عز وجل أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية، وأن

يجعلكم سنداً وذخراً للأمة الإسلامية متمنياً لكم كل التقدم

والإزدهار.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رئيس الجامعة

أ. د محمد الطعامة

بسم الرحمن الرحيم

كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية

بيروت في ٩/ربيع الأول/١٤٤٠هـ

الموافق ٢٤/١١/٢٠١٨م

سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم

صاحب أحسن تفسير للقرآن

مكتب المرجع الديني الشيخ صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تتقدم كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية بأطيب تمنياتها،

وتشكركم على الجزء (١٧١) الذي وصلنا من جانبكم من كتاب: "معالم

الإيمان في تفسير القرآن" والذي يتضمن قراءة في آيتين من القرآن بما يدل

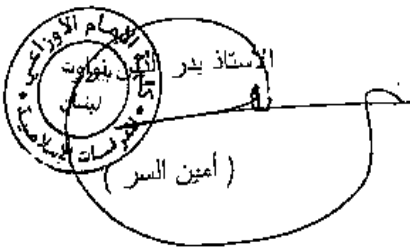
على أن النبي (ص) كان لا يسعى إلى الغزو ولم يقصده ولم يدع إليه.

آملين الإستمرار في إرسال الأجزاء التي ستصدر منها مستقبلاً،

شاكرين لكم حسن تعاونكم الدائم معنا وداعين الله تعالى أن يوفقنا وإياكم

لما فيه خير الإسلام والمسلمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الفهرس

المقدمة	٣
الخصائص لغة وإصطلاحاً	١٤
السكينة لأم النبي محمد (ص)	١٤
تعدد البشارة ببعثة النبي محمد (ص)	١٦
أخبار بعثة النبي (ص)	١٩
الحرز عند الولادة	٢٢
بشارة الرسول عيسى (ع)	٢٣
سلامة النبي (ص) وهو حمل في بطن أمه	٢٤
ابتداء النبوة بالرؤيا الصالحة	٢٥
الوحي لغة وإصطلاحاً	٢٩
آدم والوحي	٣١
قانون الوحي حجة	٣٣
فلسفة الوحي	٣٥
كيفية الوحي للنبي (ص)	٣٦
معجزة نزول القرآن	٣٨

اختصاص نبوة محمد (ص) بالحروف المقطعة	٣٩
اختصاص النبي بنزول القرآن	٤١
النسبة بين الوحي والقرآن	٤٤
النسبة المنطقية بين الوحي والتنزيل	٤٦
الوحي أول النزول	٤٧
ذهاب خديجة إلى ورقة	٥٠
لماذا الذهاب إلى ورقة	٥٢
الملازمة بين الوحي والتبليغ	٦١
قانون الوحي معجزة	٦٢
ذم تحريف الكتب السماوية	٦٤
النسبة بين الخلافة والوحي	٦٦
السنة النبوية وحي	٦٨
أقسام وكيفية الوحي للإنبياء	٦٩
إسلام طفيل الدوسي	٧١
خصائص النبوة الخاتمة في السور المكية	٧٤
عصمة القرآن	٧٦

- معجزة الصلة بين آيات القرآن ٧٨
- قانون تشوير القرآن ٨١
- تسليم الحجر والشجر ٨٢
- خصائص الدعوة النبوية في مكة ٨٤
- ملاقة أشد الأذى ٨٦
- الأذى الشديد عند قراءة القرآن ٨٨
- انشقاق القمر ٩٠
- الإعجاز الغيري في آية الواد ٩٣
- القضاء على الواد ٩٤
- مسائل نبوية في انقطاع الواد ٩٧
- أقسام معجزات النبي محمد (ص) ٩٩
- أسباب إيذاء قريش للنبي (ص) ١٠٠
- هجرة الحبشة ١٠٢
- حال النبي محمد (ص) عند الإيحاء له ١٠٣
- سرية الاجتماع ١٠٥
- اقتران الدعوة بشدة الأذى ١٠٩

- أسباب خشية الأنصار أيام العقبة ١١١
- الإسراء والمعراج ١١٢
- لقاء النبي محمد (ص) بآدم في المعراج ١١٤
- قانون الإسراء تفضيل ١١٧
- من فرائد الإسراء ١٢٠
- على فترة من الرسل ١٢١
- قانون توثيق السنة ١٢٣
- خصائص تفسير النبي (ص) للقرآن ١٢٦
- صدور الشهادة العامة ١٢٩
- قانون تلاوة النبي (ص) القرآن في البيت الحرام ١٣٠
- قانون تعاهد النبي (ص) الصلاة مع التهديد بقتله ١٣٤
- ثماني خصائص في حديث واحد ١٣٥
- قانون إزاحة الأصنام إلى الأبد ١٣٩
- رسالة النبي (ص) للناس جميعاً ١٤١
- توثيق محاربة الأنبياء للأصنام ١٤٤
- قانون بعث النفرة من الأصنام ١٤٦

- ١٤٨ صفات النبي (ص)
- ١٥٢ قانون الإيمان حاجة
- ١٥٣ شواهد على مكر وخبث المشركين
- ١٥٥ خصائص ليلة الهجرة
- ١٥٦ الهجرة نجاة من القتل
- ١٥٩ النبوة والغيب
- ١٦١ الإخبار عن المغيبات
- ١٦٣ قانون جهاد الصبر
- ١٦٦ معجزة نجات النبي (ص) من الإغتيال المتكرر
- ١٦٨ صوم الوصال
- ١٧٠ مسائل في صوم الوصال
- ١٧١ مسائل في الصوم
- ١٧٢ قانون النصر ببناء التوحيد
- ١٧٣ هجرة النبي إلى أنصار ومهاجرين
- ١٧٥ قانون الإجتهد اليومي في الدعوة إلى الله عز وجل
- ١٧٦ نشوء النفاق

- الأئفال من خصائص النبي (ص) ١٧٨
- يوم الفرقان ١٨١
- رمي قبضة تراب يوم بدر ١٨٣
- فضح النفاق في الكتاب والسنة ١٨٤
- قانون تضائل النفاق ١٨٦
- قانون نزول الملائكة لنصرة النبي (ص) ١٨٨
- قانون الإمتناع عن الفرار ١٨٩
- خية المشركين في معركة أحد ١٩١
- الشهادة على ثبات النبي (ص) في الميدان ١٩٢
- خصائص الميدان ١٩٣
- آية الدين مدرسة ١٩٥
- إنشاء النبي محمد (ص) سوق المدينة ١٩٨
- تنزيه الأسواق ٢٠١
- قانون عالمية واستدامة الرسالة الخاتمة ٢٠٢
- قانون الترغيب بتلاوة القرآن ٢٠٤
- قانون اتصال المعجزة الحسية ٢٠٧

- الإمتناع عن الدعاء على المشركين ٢١١
- زواج النبي (ص) بأكثر من أربع ٢١٢
- مصاهرة مقام النبوة ٢١٤
- أزواج النبي (ص) أمهات المؤمنين ٢١٦
- إحصاء منافع تعدد زوجات النبي ٢١٨
- إفاضات زواج النبي ٢٢٠
- التورية على الكفار ٢٢٢
- أكثر يهود الجزيرة من العرب ٢٢٥
- إنصراف النبي (ص) من عمرة القضاء ٢٢٧
- توالي النعم ٢٣٠
- قانون التقييد في القتال ٢٣١
- ذريعة المشركين لقتال النبي (ص) ٢٣٢
- رؤيا البشارة في المعارك ٢٣٤
- تقليل عدد المشركين ٢٣٦
- جدول تفصيلي لمعارك النبوة ٢٣٩
- قتل الذي يتوعد النبي (ص) بالقتل ٢٤٠

- ٢٤١ قانون النجاة من النبل والسهام
- ٢٤٢ اختتام المعركة بالدعاء
- ٢٤٣ شروط الكفار في عمرة القضاء
- ٢٤٥ دلالات عمرة القضاء
- ٢٤٨ التوجه نحو الحديبية
- ٢٥٠ مقدمات صلح الحديبية
- ٢٥١ الانقلاب من الحديبية
- ٢٥٢ رجاء حسن العاقبة
- ٢٥٣ الإستسقاء بالنبي
- ٢٥٦ الإستسقاء والإستجابة له
- ٢٥٨ صلاة الإستسقاء
- ٢٦٠ ذو الشهادتين
- ٢٦١ قانون تعزية النبي لأصحابه
- ٢٦٣ منهاج الصفح
- ٢٦٥ دعاء النبي (ص) لوفد الحاج
- ٢٦٦ الصبر على شدة أذى المشركين

- لم يبدأ النبي محمد (ص) قتالاً ٢٦٧
- تدارس جبرئيل القرآن مع النبي (ص) ٢٦٩
- قانون الإعتكاف ٢٧٠
- تعاهد الجمع بين الركوع والسجود ٢٧٢
- الحكمة من الاعتكاف ٢٧٣
- توثيق معجزات الأنبياء ٢٧٦
- فيوضات قصص الأنبياء ٢٧٨
- الاضطرار للدفاع ٢٨٣
- خصائص معارك النبوة ٢٨٦
- تقسيمات خصائص النبي محمد (ص) ٢٨٨
- المنبر النبوي ٢٨٩
- قانون المنبر النبوي أعلام متجدد ٢٩٥
- الإعجاز في المنبر النبوي ٢٩٦
- قانون المنبر النبوي أمن وسلامة ٢٩٩
- عام الوفود ٣٠١
- إنذار النبي (ص) بقرب رحيله ٣٠٤

- دس السم للنبي (ص) ٣٠٥
- قانون الوحي حاجة ٣٠٩
- قانون عصمة الإسلام والمسلمين من الإستئصال ٣١١
- قوانين هذا الجزء ٣١٣
- تقريظ تفضل به العلامة المحقق السيد رضا الحكيم "حفظه الله" ٣٢٢
- من الردود الكريمة على عدد من أجزاء هذا السفر المبارك ٣٢٣

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

١٠٤٦ لسنة ٢٠٢٥

طُبِعَ هَذَا الْجُزْءُ عَلَى نَفَقَةِ
الْأَمِيرِ الشَّيْخِ غَانِمِ الشَّيْخِ دُرِّ الْفَيَاضِ